في رحـــاب الاســـلام

في رحاب الإسلام

الدكتور

محمد سالم محيسن

أستاذ مشارك للدراسات اللغوية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
تخصص في القراءات وعلوم القرآن
دكتوراه في الآداب العربية
بمرتبة الشرف الأولى

١ جزء

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ الإسكندرية



المقـــدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا اللـــه •

وأشهد أن لا اله الا الله ورد فى محكم كتابه قوله تعالى :

« لا خــير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصـــدقة أو معروف أو اصلاح بين النـــاس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيـــه أجـــرا عظيمـــا »[1] •

وأشهد أن سيدنا « محمــدا » رسول الله القائل :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث :

صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » أ هـ [2]•

« وبعــد »

فهذه مجموعة من الموضوعات الاسلامية تتعلق بالدعوة الى اصلاح الفرد المسلم ، رأيت أن أقدمها لاخوانى المسلمين •

رجاء تحقيق الهدفين التاليين :

(١) سورة النساء ـ ١٤٤

(٢) رواه مسلم

أولا : رجاء أن ينتفع بها المسلمون ،

فعن « أبى هريرة » رضى اللـــه عنه قـــال :

قال رســـول الله ﷺ : « ما من رجل تعلم كلمـــة ، أو كلمتين ، أو ثلاثا ، أو أربعا ، أو خمســـا ، مما فرض الله عز وجـــل ، فيتعلمهن ، ويعلمهن الا دخل الجنـــة » أ هـ[٣] .

ثانيا : رجاء أن ينفعنى الله تعالى بذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب ســـليم .

فعن « أبى أمامة » رضى الله عنه قـــال :

« ذكر لرسول الله ﷺ رجـــلان :

أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال عليـــه أفضل الصلاة والســـلام : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ان الله وملائكته ، وأهل السموات والارض دتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » أ هـ[٤] .

وقد سميت هذه الموضوعات :

« فى رحـــاب الاســـلام »

وصل اللهم على نبينـــا وحبيبنا « محمـــد » وعلى آله وصـــحبه الطيبين الطـــاهرين .

---

(٣) رواه أبو نعيم باسناد حسن ، انظر الترغيب جـ١ ص ١٠١

(٤) رواه الترمذى ، وقال حسن صحيح انظر الترغيب جـ١ ص ١٠٦

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

المــــؤلف

د . محمد سالم محيسن

المدينـــة المنـــورة

الجمعة ٧ رجب سنة ١٤٠٢ هـ

الموافق ٣٠ ابريل سنة ١٩٨٢ م

« فضـل الامـة الاسـلامية »

الامة الاسلامية هى أمة نبينا « محمد » ﷺ ، منذ أن بعثه اللـه تعـالى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، لان رسالته عليه الصـلاة والسلام خاتمة الرسـالات .

قال الله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسـول الله وخاتم النبيين »(١) .

كما أنه ﷺ أرسله الله تعالى للناس كافة ، يؤيد ذلك قول اللـه تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا »(٢) .

واعلم أيها المسلم أن الله سبحانه وتعالى قد تفضل بمنه وكرمـه ــ وهو الذى لا يسأل عما يفعل ــ ففضل هذه الأمة المحمدية على سائر الامم المتقـدمة .

وقـد ورد فى ذلك العـديد من الآيات القرآنية ، والاحـاديث النبـــوية :

فمن الآيات القرآنية قول الله تعـالى :
« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنـون باللـه »(٣) .

---

(١) سورة الاحزاب ــ ٤٠
(٢) سورة سبأ ــ ٢٨
(٣) سورة آل عمران ــ ١١٠

فهذه الآية الكريمة تنص صراحة أن الامة الاسلامية هى أفضل أمة ظهرت فى الوجود ، منذ أن أنزل الله أبانا « آدم » عليه السلام الى الارض .

فان قيل :

نريد أن نقف ونتعرف على بعض الاسباب التى من أجلها فضل الله هذه الامة على غيرها من الامم ؟

أقول :

لقد أشادت الآية المتقدمة بجلاء ، ووضوح الى هذه الأسباب وهى ثلاثة :

الاول : الامر بالمعروف .

الثانى : النهى عن المنكر .

الثالث : الايمان بالله تعالى .

وأخالنى أجد الموقف يتطلب أن أتكلم بشىء من التفصيل ، وألقى الضوء على هذه الصفات الثلاث فأقول وبالله التوفيق :

من هذه الصفات :

أن هذه الامة أمة تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر .

والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر هو أسمى هدف ، وأنبل غاية من دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام . وقد جاء كل من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة حافلا بالعديد من النصوص فى هذا المقام .

يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[٤] .

وقوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[٥] .

ومن السنة المطهرة الاحاديث الآتية :

١ — قول « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه :

« سمعت رسوه الله ﷺ يقول :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » أ هـ[٦] .

٢ — وعن « حذيفة بن اليمان » رضى الله عنه :

عن النبى ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » أ هـ[٧] .

ولاهمية الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فى منهج الامة الاسلامية نجد أن الله تعالى غضب على « بنى أسرائيل » وطردهم من رحمته بسبب تقاعسهم ، وتهاونهم عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

(٤) سورة آل عمران ـ ١٠٤
(٥) سورة التوبة ـ ٧١
(٦) رواه مسلم
(٧) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن

يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »[٨] .

وعن « ابن مسعود » رضى الله عنه قـــال :

قال رسول الله ﷺ : « ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله ، وشريبه ، وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض » ... ثم قال : « والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنـــكر ، ولتأخذن على يد الظـــالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم » أ هـ[٩] .

ومن صفات الامـــة الاســـلامية :

أنها أمة تؤمن بالله تعالى ، وبكل ما أمر به ، أو نهى عنه ، وتؤمن بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، يشير الى ذلك قول اللـــه تعالى : « آمن الرســـول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنـــون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا ســـمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصـــير »[١٠] .

وقوله تعـــالى :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل

---

(٨) سورة المائدة ــ ٧٨
(٩) رواه أبو داود ، والترمذى
(١٠) سورة البقرة ــ ٢٨٥

واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »[11] .

وهذا هو التوحيد الخالص .

يشير الى ذلك قوله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة »[12] .

وقــوله تعــالى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبــادة ربه أحــدا »[13] .

وقال الامام « محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجــوزية » ت : ٧٥١ هـ .

« سمى دين الاسلام توحيدا لان معناه :

أن الله واحد فى ملكه ، وأفعاله ، لا شريك له ، وواحد فى ذاته ، وصفاته ، لا نظير له ، وواحد فى الهيته ، وعبادته ، لا ند له ....

ثم قال : التوحيد نوعان :

الاول : توحيد فى المعرفة ، والاثبات ، وهو توحيد الربوبية ، والاسماء ، والصــفات .

---

(١١) سورة البقرة ـ ١٣٦
(١٢) سورة البينة ـ ٥
(١٣) سورة الكهف ـ ١١٠

والثانى : توحيـد فى الطلب ، والقصد ، وهـو توحيد الألهيـة ، والعبادة :

فتوحيـد الربوبيـة :

هـو الاقرار بأن اللـه تعالى رب كل شىء ، ومالكه ، وخالقـه ، ورازقه ، وأنه المحيى ، المميت ، النافع ، الضار ، المتفرد باجابة الدعاء ، الذى له الامر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على كل شىء ، ليس له فى ذلك شريك •

وتوحيـد الاسـماء والصـفات :

هو الاقرار بأن الله بكل شىء عليم ، وعلى كل شىء قدير ، وأنه الحـى القيوم الذى لا تأخـذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافـذة ، والحكمة البالغـة ، وأنه سـميع نصير ، رءوف رحيم ، عـلى العرش استوى ، استواء يليق به تعالى ، وعلى الملك احتـوى ، وأنه الملك ، القدوس ، السـلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبـار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون •

وتوحيـد الالهيـة :

هو المبنى على اخلاص التـأله لله تعالى من المحبة والخـوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والدعاء لله وحده •

ويترتب على ذلك الاخلاص فى العبادات كلها ، ظاهرها ، وباطنهـا لله وحده لا شريك له ، فلا يجعل فيها شيئا لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبى مرسل ، فضلا عن غيرهما •

وهذا التوحيد هو الذى تضمنه قول الله تعالى :

« اياك نعبد واياك نستعين »[١٤] .

وقـولـه تعـالى :

« فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون »[١٥] .

وقـولـه تعـالى :

« رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعباده هل تعلم له سـميا »[١٦] .

«وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عبـاده خبـيرا »[١٧] .

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ، وهو معنى قول : « لا اله الا الله » .

فان الاله هـو المألوه المعبود بالمحبـة ، والخشية ، والاجـلال ، والتعظيم ، وجميـع أنواع العبادات . ولاجل هذا التوحيـد خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبه افترق الناس الى مؤمنين وكفار ، يشير الى ذلك قول الله تعـالى :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »[١٨] .

---

(١٤) سورة الفاتحة ــ ٥
(١٥) سورة هود ــ ١٢٣
(١٦) سورة مريم ــ ٦٥
(١٧) الفرقان ــ ٥٨
(١٨) سورة الذاريات ــ ٢١

وهذا التوحيد هو أول واجب ، وآخر واجب ، وأول ما يدخل به الانسان الاسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا ، قال ﷺ :

« من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » أ هـ[١٩] .

ومن الآيات القرآنية التى تحدثت عن فضل « الامة الاسلامية » قول اللـــه تعـــالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »[٢٠] .

فهـذه الآية الكريمة أشـــارت الى صفتين من صــفات « الامــة الاســـــلامية » :

الصفة الاولى : أنهم أمة وسط .

الصفة الثانية : أنهم أمة سيكونون شهداء على الناس يوم القيامة .

ويجدر بنا أن نتوقف قليلا كى نلقى الضـــوء على هاتين الصفتين ليتبين من خلال ذلك مـــدى الاهتمام بالامة الاســـلامية ، مع بيـــان فضلهـــــا :

فان قيـــل :

نريد أن نعرف معنى قوله تعالى : « أمة وسطا » ؟

---

(١٩) رواه أبو داود ، والحاكم وقال صحيح الاسناد
(٢٠) سورة البقرة ـ ١٤٣

أقـــــول :

معنى « وسطا » أى خيارا عدولا ، لان الخيار من الناس عدولهم.
وقد قال بهذا كل من :

١ ــ عبد الله بن عباس	ت ٦٨ هـ
٢ ــ أبى هــريره	ت ٥٧ هـ
٣ ــ أبى سعيد الخدرى	
٤ ــ مجاهــد بن جبــر	ت ١٠٤ هـ
٥ ــ قتادة بن دعامة السدوسى	ت ١١٨ هـ

فعن « أبى صالح » عن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه عن « النبى » ﷺ فى قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » قــال : « عــــدولا » .

وأقول : « انما وصـــفهم الله بأنهم وســط لتوسطهم فى الدين ، فلا هم أهل غلو فيه ، غلو النصارى ، الذين غلوا بالتوهب ، قــولهم فى نبى الله « عيسى » عليه السلام ما قالوه حتى جعلوه ابن اللــه ، كما قال تعــالى :

« وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن اللــه ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم اللــه أنى يؤفكون »[٢١] .

---

(٢١) سورة التوبة ــ ٣٠

والغلو : هو مجاوزة الحد فى مدح الشىء ، أو ذمه • وضابطه تعدى ما أمر الله به ، وهو الطغيان الذى نهى الله عنه فى قوله تعالى :

« يا أهل الكتـــاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على اللـــه الا الحـــق »[٢٢] •

قال الامـــام « ابن تيميـــة » :

« ومن تشبه من هذه الامة باليهود ، والنصارى ، وغلا فى الدين بافراط فيه ، أو تفريط ، وضاهاهم فى ذلك فقد شابههم ، كالخـــوارج المارقين من الاســـلام ، الذين خرجوا فى خلافة الامام « على بن أبى طالب » ت ٤٠ هـ رضى الله عنـــه وقاتلهم حين خرجوا على المســـلمين بأمر النبى عليه الصلاة والسلام ، كما ثبت ذلك فى الصحاح ، وكذلك من غلا فى دينـــه من الرافضة ، والقدرية ، والجهميـــة ، والمعتزلة ، والاشـــاعرة »[٢٣] •

وقال أيضا أى الامام « ابن تيمية » :

« فاذا كان على عهد النبى ﷺ من انتسب الى الاسلام ، وقـــد مرق منه مع عبادته العظيمة ، ، فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة فى هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام ، وذلك بأسباب منها :

الغلو الذى ذمه الله تعالى فى كتابه حيث قال :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينـــكم »[٢٤] •

---

(٢٢) سورة المائدة ـ ٧٧
(٢٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ـ ٢٦٥
(٢٤) سورة المائدة ـ ٧٧

وقال « ابن عباس » رضى الله عنهمـــا :

فى قـــوله تعالى : « وقـــالوا لا تذرن آلهتـــكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »[٢٥] .

قال « ابن عباس » : هذه اسماء رجال صالحين من قوم « نوح » عليه الســـلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن أنصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلســـون فيها أنصابا ، وسموها بأســـمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت من دون اللـــــه » أ هـ[٢٦] .

فان قيـــــل :

ما معنى قوله تعالى : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شـــهيدا » ؟

أقـــــول :

« معنى ذلك والله أعلم : وكذلك جعلكم الله يا أمة « محمد » أمـــة وسطا ، عدولا ، شهداء لانبيائه ، ورسله ، على أممهم بالبلاغ ، وأنهم أى الرسل قد بلغوا ما أمرهم الله به ، ويكون الرسول « محمد » ﷺ شهيدا عليكم بايمانكم به ، وبما جاءكم به من عند الله » .

أيها المســـلمون بعد أن قـــدمت لكم بعض الآيات القرآنيـــة التى تحـــدثت عن « فضل الامة الاســـلامية » انتقـــل للحديث عن بعض الاحاديث النبوية التى تضمنت خصائص هذه الامـــة ، وبيان فضلها :

---

(٢٥) سورة نوح ـ ٢٣
(٢٦) انظر : تيسير العزيز الحميد ـ ٢٦٦

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ، أوتى أهل التوراة فعملوا بها، حتى اذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا قيراطا قيراطا .

ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل ، فعملوا الى صلاة العصر ، ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطا قيراطا .

ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس ، فأعطينا قيراطين قيراطين .

فقال أهل الكتاب : أى ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين ، وأعطيتنا قيراطا قيراطا ، ونحن كنا أكثر عملا .

فقال الله عز وجل : « هل ظلمتكم من أجركم شىء ؟

قالوا : لا

قال : « فهو فضلى أوتيه من أشاء » أ هـ(٢٧) .

وعن « سعد » رضى الله عنه قال :

« أقبل النبى ﷺ ذات يوم من العالية ، فمر بمسجد بنى معاوية ، فدخل فركع ركعتين وصلينا معه ، ودعا ربه طويلا ثم أنصرف الينا وقال : « سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » أ هـ(٢٨) .

---

(٢٧) رواه البخارى ، ومالك ، وأحمد ، والترمذى

(٢٨) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى

وعن « أبى موسى الاشعرى » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « أمتى هــذه مرحومة ليس عليها عــذاب فى الآخرة ، عذابها فى الدنيا الفتن ، والزلازل ، والقتل » أ هـ(٢٩) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » أ هـ(٣٠) .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير ، أم آخــــره » أ هـ(٣١) .

وعن « أبن عمر » رضى الله عنهما

عن النبى ﷺ قال : « ان اللـــه لا يجمع أمتى ، أو قال : « أمــة « محمد » على ضـــلالة ، ويد الله مع الجمــاعة ، ومن شذ شـــذ الى النـــــار » أ هـ(٣٢) .

وعن « النضر بن شيبان » رضى الله عنه قال :

« قلت « لابى سلمة بن عبد الرحمن » :

حدثنى بشىء سمعته من أبيك ، سمعه أبوك من رسول الله ﷺ ليس بين أبيك وبين رسول الله ﷺ أحد فى شهر رمضان ، قال : « نعــم ،

---

(٢٩) رواه أبو داود ، والطبرانى ، والحاكم بسند صحيح
(٣٠) رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقى بسند صحيح
(٣١) رواه الترمذى بسند صحيح
(٣٢) رواه الترمذى

حدثنى أبى قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضـــان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صـــامه ، وقامه ، ايمـــانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » أ هـ[٣٣] .

(٣٣) رواه النسائى ، وأحمد

« فضل اتباع الكتاب والسنة »

القرآن الكريم ، والسنة المطهـرة ، هما المصدران الاساسيان فى التشريع الاسلامى، من تمسك بهما ، وعمل بما جاء فيهما فاز وسعد فى الدنيا والآخـرة .

ومن ترك التمسك بهما — والعياذ بالله تعالى :

خاب وخسر ، ومأواه جهنم وبئس القرار . وقد جـاءت السنة النبوية حافلة بالاحاديث التى تبين فضل التمسك بالكتاب ، والسنة .

واليك أيها المسلم قبسا من ذلك :

فعن « جبير بن مطعم » رضى الله عنه قال :

« كنا مع النبى ﷺ بالجحفـة[1]

فقال : « أليس تشهدون أن لا اله الا الله لا شريك له ، وأنى رسـول الله ، وأن القرآن جاء من عند الله ؟

قلنا : بلى ، قال : « فأبشروا فان هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرف بأيديكم ، فتمسكوا به ، فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا » أ هـ[2].

حقا : انها لبشرى عظيمة يزفها نبى الاسلام الى أمة الاسلام ، فالقرآن

---

(١) الجحفة : بضم الجيم : ميقات أهل الشام

(٢) رواه البزار ، والطبرانى فى الكبير ، انظر الترغيب ج ١ ص ٧٢

الكريم هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ، وتلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الاتقياء ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن جعله أمامه ساقه الى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه الى النار ، ومن تمسك به دخل الجنة وفاز مع الفائزين .

وقد جاء الحديث التالى مؤيدا للحديث المتقدم فى المعنى :

فعن « أبى شريح الخزاعى » رضى الله عنه قال :

« خرج علينا رسول الله ﷺ فقال :

« أليس تشهدون أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ؟
قالوا : بلى ، قال : « ان هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ، فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا » أ هـ[٣] .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ خطب الناس فى حجة الوداع فقال :

« ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك فما تحاقرون[٤] من أعمالكم ، فاحذروا ، انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه » أ هـ[٥] .

المعنى : الشيطان هو عدو الانسان الاول كما قال تعالى :

« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من

---

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد جيد ، انظر الترغيب جـ١ ص ٧٤
(٤) تحاقرون : أى تعدونه حقيرا صغيرا
(٥) رواه الحاكم ، وقال صحيح الاسناد ، انظر الترغيب جـ١ ص ٧٤

أصحاب السعير »(٦) ولشدة عداوة الشيطان للانسان فقد توعد بغوايته، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « قال رب بمـــا أغويتنى لاذينن لهم فى الارض ولا غوينهـــم أجمعين »(٧) . وقوله تعـــالى : « قـــال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين »(٨) .

واذا كان يوم القيامة فان الشيطان يتبرأ من الانسان ويلقى اللوم عليه كما قال تعـــالى :

« وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم(٩) وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل أن الظالمين لهم عذاب أليم »(١٠) .

فنظرا لعداوة الشيطان المتأصلة للانسان قد حذر النبى عليه الصلاة والسلام من اتباعه ، ولن يتحقق ذلك ، أى عدم اتباعه الا بتمســكنا بتعاليم « الكتـــاب والسنة » .

وعن « أبى أيوب الانصارى » رضى الله عنه قال :

« خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوب(١١) فقال : « أطيعونى

(٦) سورة فاطر ـ ٦
(٧) سورة الحجر ـ ٣٩
(٨) سورة ص ـ ٨٢ ـ ٨٣
(٩) بمصرخكم : أى بمغيثكم
(١٠) سورة ابراهيم ـ ٢٢
(١١) مرعوب : أى فزع

ما كنت بين أظهركم[١٢] وعليكم بكتاب اللــه أحلوا حــلاله ، وحرموا حرامه » أ هـ[١٣] .

المعنى : يخبر الصحابى الجليل « أبو أيوب الانصارى » بأن النبى ﷺ خرج عليهم ذات يوم وهو فزع ، والرسول عليه الصلاة والسلام لا يفزع الا من الامر الهام لانه بعث رحمة للعــالمين .

ثم وجه ﷺ نصيحته التى فيها نجاة أمته فأمرهم بطاعته والتمسك بتعاليم « القرآن » فيحلوا حلاله ، ويحرموا حرامه ، فمن فعل ذلك فقد ســعد ونجــا .

وعن « العرباض بن سارية » رضى الله عنه قال :

« وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب[١٤] وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظــة مودع فأوصنا ، قــال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبد ، وانه من يعش منكم فســيرى اختلافا كثيرا ، فعليــكم بسنتى وسنة الخلفــاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجــذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » أ هـ[١٥] .

ـ والله أعــلم ـ

---

(١٢) يعنى مادمت موجودا بينكم ، كما أنه تجب علينا طاعته ﷺ بعـد وفاته ، وذلك باتباع جميع تعاليمه .

(١٣) رواه الطبرانى فى الكبير ، ورواته ثقات ، انظر الترغيب جـ١ ص ٧٤

(١٤) وجلت : أى خافت وفزعت

(١٥) رواه أبو داود ، والترمذى وقال حسن صحيح ، انظــر الترغيب جـ ١ ص ٧٠

« العبادات تربى المسلم على الاخلاق الفاضلة »

أيها المسلمون ، ان من يعرف الله تعالى حق معرفته ، ويخشاه حق خشيته ، ويعبده حق عبادته ، ويوحده حق توحيده ، يشعر من قلبه أن عبادة الله تعالى تستوعب كيانه كله :

فكره ، وعقله ، وقلبه ، وجميع حواسه .

يشير الى ذلك الحديث القدسى التـالى :

فعن « أبى هريره » رضى الله عنه قـال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما أفترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لاعيذنه » أ هـ[1] .

فعبادة الانسان لله تعالى تأتى بعد أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الله أهل للعبادة ، وحينئذ تستقر تلك العبادة فى سويداء قلبه ، وتظهر آثار العبادة على لسانه حين يكرر آيات الحمد والثناء على خالقه .

ومن ينعم النظر فى العبادة يجدها موزعة على كل من :

---

(١) رواه البخارى ، انظر : رياض الصالحين ــ ١٨٦

١ – القلب ٢ – واللسان ٣ – وسائر الجوارح والحواس[٢]
ولكل من هذه الاشياء عبادة تخصها ، وتارة تشترك كلها ، أو بعضها فى نوع واحد من أنواع العبادة .

وهذا ما سيتضح أن شاء الله تعالى فيما يلى :

---

(٢) انظر كيف السبيل الى الله – ٤٥

« أثر الصـــلاة فى تربيـــة المســـلم »

وسيكون حديثى ان شاء الله تعالى عن الفقرات التالية :

أ) أسرار الصلاة ، وأثرها فى تربية الفرد والجماعة .

ب) السر فى تكرار الصلاة يوميا ، وأثرها فى تربية المسلم .

جـ) الصـــلاة تربيـــة روحيـــة .

د) أثر الصلاة فى تربية الجانب الروحى فى الفرد والجماعة .

هـ) أثر الصلاة فى تنمية الاخلاق الفاضلة عند المسلم .

واليك أيها المسلم تفصيل الحديث عن هذه الفقرات حسب ترتيبها :

أ) أسرار الصلاة ، وأثرها فى تربية الفرد والجماعة :

ان من منحه الله عقــلا سليما ، وقلبا خاشعا ، ونفســا مطمئنة ، يشعر بأن للعبادة مقاصد متعـــددة :

فى مقدمة هذه المقاصد ، وأعلاها درجة ، وأسماها منزلة ، حســن التوجه الى الله الواحد المعبود ، وافراده تعالى بالعبادة دون سواه ، وهذا ما يتجلى فى قول المؤمن : « اياك نعبد واياك نستعين »[1] .

---

(١) سورة الفاتحة ـ ٤

ولعل الغاية القصوى من العبادة هى كسب رضوان الله تعـالى فى الدنيا والآخرة ، ليكون من أولياء الله المقربين اليه ، الداخلين فى عطفه ، ولطفه ، وعفوه ، وغفرانه ، والخارجين من سخطه ، وغضبه ، وعقابه .

فالصـلاة مثـلا :

لعل الاصل فى مشروعيتها الخضـوع التام لله سبحانه وتعـالى باخلاص التوجه اليه ، والوقوف على قدم الذلة بين يديه ، وتذكير النفس بما لله تعـالى عليها من حقوق ، كما قال تعـالى : « وأقم الصـلاة لذكرى »[٢] .

وقال : « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »[٣] .

اذاً فالصلاة تشتمل على التذكير بأن الله تعالى أكبـر من كل شىء سـواه .

والانسان فى الصلاة يطلب من الله تعالى أن يكفر عنه خطاياه ، وأن يقبل منه عبادته ، ويجعله من الفائزين فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافـلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمـودا »[٤] .

فصفات المؤمن عبادة وأخـلاق :

وقد بين القرآن مرة جانب العبادة ، وأخرى جانب الاخلاق :

---

(٢) سورة طه ـ ١٤
(٣) سورة العنكبوت ـ ٤٥
(٤) سورة الاسراء ـ ٧٩

ففى سورة الذاريات مثلا نجد العناية بالعبـــادة فى وصف المتقين بارزا ، استمع الى قـــول الله تعالى : « انهم كانوا قبـــل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحارهم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحـــروم »(٥) .

وفى سورة الرعد نجد العناية بالجانب الاخـــلاقى بارزة فى وصف أصحاب العقول ، أقرأ قول اللـــه تعالى : « انما يتذكر اولوا الالبـــاب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضـــون الميثاق والذين يصـــلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيـــة ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »(٦) .

واذا ما أنعمنا النظر فى هذه الاوصاف الاخلاقية مثل : الوفـــاء ، وصلة الرحم ، والصبر ، والانفاق . . . الخ نجدها أخلاقا فيها معنى العبادة ، والتقوى ، لان الوفاء المقصود به الوفاء بعهد الله ، وأنهم حين يصبرون فانما يقصدون بذلك رضا الله تعالى ، فهـــم فى كل أخلاقهم ، وسلوكهم ، نجدهم يرجون بذلك وجه الله تعـــالى .

والخلاصـــة : ان كل ما يقال فى هذا الصـــدد ان العبادة عنـــد المؤمن لون من ألوان أخـــلاقه .

---

(٥) سورة الذاريات ــ ١٦ ــ ١٩
(٦) سورة الرعد ــ ١٩ ــ ٢٤

فكلها مكارم اخلاقية يتحلى بها الفضلاء من الناس • فالمؤمن يعتبر الاخلاق الحميدة ضربا من ضروب العبادة المفروضة ، فهو يؤديها ويعنى بها ، كما يؤدى غيرها من الفرائض التى أمر بها القرآن الكريم • استمع معى الى قول الله تعالى فى وصف المؤمنين :

« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكوابكانت قواريرا قواريرامن فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا »[٧] •

حقا ، ان الجزاء من جنس العمل « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[٨] •

فالصلاة كما أمر بها الله تعالى هى : ركوع ، وسجود ، ودعاء ، وتسبيحات ، وحركات ، وسكنات ، أداها النبى ﷺ أمام أصحابه

---

(٧) سورة الانسان ــ ٨ ــ ٢٢
(٨) سورة الزلزلة ــ ٧ ــ ٨

رضوان الله عليهم أجمعين ، وكان يقول لهم : « صــلوا كما رأيتمونى أصلى » فحفظوها عنه ، وتوارثها المسلمون جيلا بعد جيل الى وقتنـــا هذا وان شاء الله ستظل الى قيام الساعة .

وفى هذا يقــول اللـــه تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا وأعبدوا ربكم وافعلوا الخـــير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا باللـــه هو مولاكم فنعم المولى ونعـــم النصــــير »[٩] .

والصلاة ليست مجرد ابتهال ، ودعاء ، وحركات ، وسكنات ، بل هى أقوال وأعمال يشترك فيها الفكر ، والقلب ، واللســـان .

وقد اشترط الاسلام للصلاة النظافة ، والطهارة ، وأخذ الزينة عند كل مسجد ، قال تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد »[١٠]

كما أمر الله تعالى بالاتجاه فى الصلاة الى قبلة واحدة وهى الكعبة المشرفة ، قال تعـــالى :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهــك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره »[١١] .

---

(٩) سورة الحج ـ ٧٧ ـ ٧٨
(١٠) سورة الاعراف ـ ٣١
(١١) سورة البقرة ـ ١٤٤

كما وزعت الصلاة على أوقات الليل والنهار بمواقيت معينة ، وحدد لكل صلاة منها ركعات معدودة ، ورتبت كيفيتها على نسق موحد معلوم .

ان اقامة الصلاة بهذه الصورة ، وتلك الشروط التى رسمها « المنهج الاسلامى » لم يعرفه دين من الاديان السماوية السابقة .

والاصل فى الصلاة أنها تؤدى امتثالا لامر الله تعالى ، واداء لحقه على عباده ، وشكرا له على نعمائه ، ولقد عنى الدين الاسلامى بأمـــر الصلاة ، وطلب من كل مسلم ، ومسلمة أن يؤديها كاملة غير منقوصة ، وحذر الناس من تركها ، أو التقصير فيها .

قال تعالى : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »(١٢) كما اعتبرها الاسلام عماد الدين ، ومفتاح الجنة ، وخير الاعمال ، وهى أول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيـــامة .

فعن « جـــابر » رضى الله عنـــه قـــال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »(١٣) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قـــال :

« قال رسول الله ﷺ : « ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد أفلح ونجح ، وان فسدت فقد خاب وخسر »(١٤) .

---

(١) سورة الماعون ـ ٤ ـ ٥
(١٣) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٤٠
(١٤) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٤٠

ب) السر فى تكرار الصلاة يوميا وأثرها فى تربية المسلم :

لقد جعل الاسلام الصلاة على المسلمين كتابا موقوتا ، وأمرهم باقامتها حين يمسون وحين يصبحون ، وعشيا وحين يظهرون ، يكررها المسلم يوميا خمس مرات لتكون هناك دائما صلة روحية مع الله تعالى ، يتطهر بها من غفلات قلبه ، وأدران خطاياه .

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » أ هـ(١٥) .

وعن « عثمان بن عفان » رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أمرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها ، الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبرة ، وذلك الدهر كله » أ هـ(١٦) .

لقد خلق الله تعالى هذا الانسان ، وجعله خلقا عجيبا ، حيث جعل فيه الجانب الروحانى كالملائكة ، والجانب الشهوانى كالبهائم ، والجانب العدوانى كالسباع فى ضراوتها .

لذلك نجده كثيرا ما تغلبه شهوته ، ويستفزه الغضب فيقع فى الخطايا ، ويتردى فى الدنايا ، وليس العيب أن يخطىء الانسان ــ فكل

---

(١٥) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ــ ٤٣٠
(١٦) رواه مسلم ، انظر رياض الصالحين ــ ٤٣١

بنى آدم خطاء ــ ولكن العيب كل العيب هو أن يتمادى الانســـان فى الخطأ والا نحدار حتى يصير كالانعام بل أضل سبيلا •

ففى الصلاة اليومية فرصة كى يروض الانسان نفسه ، وينشئها على الفضائل ، لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر •

اذا فالصلاة التى يقف فيها الانسان بين يدى الله تعـــالى خمس مرات كل يوم فرصة جيدة كى يثوب فيها المخطىء الى رشده ، ويفيق المغرور من سيئاته ، ويرجع الانسان العاصى الى ربه وخالقه •

وفى كل هذا تربية عظيمـــة للنفس على الفضائل لا يعد لها تربيـــة أخرى ، كما قال تعـــالى :

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهـــا وقد خاب من دساها »(١٧) •

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قـــال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الله تعالى قال :

من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لاعيذنه » أ هـ(١٨) •

---

(١٧) سورة الشمس ــ ٧ ــ ١٠

(١٨) رواه البخارى ، انظر : رياض الصالحين ــ ٦٠

وعن « أبى عبد الرحمن » ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقــول :

« عليك بكثرة السجود ، فانك لن تسجد لله سجدة الا رفعك الله بهـا درجة ، وحط عنك بها خطيئة » أ هـ[١٩] .

جـ) الصــلاة تربيــة روحيــة :

ان اثر الصــلاة ليس مقصــورا على هذا الجــانب الذى سبق أن أشرت اليه وهو : غسل الادران ، وتكفير الخطايا والذنوب .ولكن للصلاة أثر آخر له قيمته ومنزلته فى تربية روح الانسان . ان فى الانسان روحا لا يكفيها غذاء العلماء ، ولا أدب الادباء ، ولا فلسفة المتفلسفين ، وانما لها غذاء آخر أسمى من كل هذا ، الا وهو : معرفة الله تعالى : وحسن الصلة به . فالصلوات الخمس هى الغذاء الروحى اليومى للانســان ، وفى هذا المقام تروى لنا « أم المؤمنين عائشة » رضى الله عنها فتقول :

« كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ومـا تأخر ؟

قال : « أفلا أحب أن أكون عبدا شـكورا » ؟[٢٠] .

ففى مناجاة العبد لربه فى صلواته غذاء روحى ، وشحنة قدسية تنـير القلب ، وتشرح الصدر . وفى الصلاة يقف الانسان بين يدى ربه بلا

---

(١٩) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٦٣

(٢٠) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ـ ٦٠

حجاب ، ويكلمه بلا واسطة ولا ترجمان ، ويناجيه مناجاة القريب غير البعيد . وصدق الله حيث قال : « واذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » وهو حين نستعين به تعالى فانما يستعين بعزيز غير ذليل ، وحين نسأله فانما يسأل غنيا غير بخيل .

يشير الى ذلك الحديث الآتى :

عن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ، ثلاثا ، غير تمام ، فقيل لابى هريرة : انا نكون وراء الامام ، فقال : أقرأ بها فى نفسك ، فانى سمعت النبى ﷺ يقول : « قال الله عز وجل : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل ، فاذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله عز وجل حمدنى عبدى ، واذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله عز وجل : اثنى على عبدى ، واذا قال : « مالك يوم الدين » قال الله : مجدنى عبدى ، وقال مرة : فوض الى عبدى ، فاذا قال : « اياك نعبد واياك نستعين » قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل » أ هـ(٢١) .

وعن « جندب بن سفيان » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « من صلى الصبح وهو فى ذمة الله ، فانظر يا أبن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشىء »(٢٢) .

---

(٢١) رواه مسلم ، انظر : الاحاديث القدسية ١ ـ ١٤٠

(٢٢) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٣٢

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال :

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجـات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط »[٢٣] .

د) أثر الصلاة فى تربية الجانب الروحى فى الفرد والجماعة :

مما لا ريب فيه أن من يؤدى الصلاة بشروطها وأركانها ، وآدابها ، فانه يشعر شعورا حقيقيا بأنها تمده بقوة روحية تعينه على مواجهـة متاعب الحيـاة ، ومصائب الدنيـا ، يتجلى ذلك فى قول الله تعـالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشـعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون »[٢٤] .

وقد جاء فى الاثر أن النبى ﷺ كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة .

فالمؤمن فى الصلاة يتجه الى ربه بنفسه ، وجوارحه كلها ، ويشـكو الى الله تعالى حزنه ، ويستفتح باب رحمته ، ويطلب منـه تعالى أن ينزل عليه الغيث ، وينشر عليه رضوانه ، وهذا لا يتأتى الا بالسكينة والخشوع ، وان شئت فاقرأ قول اللـه تعالى : « قد أفلح المؤمنـون الذين هم فى صلاتهم خاشعون »[٢٥] .

---

(٢٣) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٣٤

(٢٤) سورة البقرة ـ ٤٥ ـ ٤٦

(٢٥) سورة المؤمنون ـ ١ ـ ٢

فلا عجب اذن أن الله تعالى يمد المصليين الخاشعين بحيوية هائلة ، وقوة روحية ، ونفسية فياضة .

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال :

« يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقـــد ، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فاذا توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان » أ هـ(٢٦)

وعن « جـــابر » رضى الله عنه قـــال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان فى الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة ، الا أعطاه اياه ، وذلك كل ليـــلة »(٢٧) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قـــال :

قال رسول الله ﷺ : « اذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعا كتبا فى الذاكرين ، والذاكرات »(٢٨) .

هـ) أثر الصلاة فى تنمية الاخلاق الفاضلة فى الفرد والجماعة :

مما هو مشاهد فى الكثيرين من المسلمين أن فى الصلاة قوة تمد ضمير الانسان المؤمن بمـــا يعينه على فعل الخـــير ، وترك الشر ، ومجانبـــة الفحشاء ، والمنـــكر .

---

(٢٦) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٦٣
(٢٧) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٦٦
(٢٨) رواه أبو داود باسناد حسن ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٦٧

كما تقوى نفس المؤمن بما يصد عنه الجزع ، والفزع ، والهلع ، عند الملمات ، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمــون »(٢٩) .

كما أن الصلاة تنمى فى نفس المؤمن الدقة فى الحفاظ على الالتزام بالمواعيد ، وتدفعه بقوة روحية كى يتغلب على نوازع الكسل والضعف، كما أنها تحث الانسان دائما على المحافظة على سائر الاعمال المشروعة، وأن يقلع عن محدثات الامــور .

فعن « أبى نجيح العرباض بن سادية » رضى الله عنه قال :

« وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبد ، وان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفــاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضــلالة » أ هـ(٣٠) .

وعن « أبن عمر » رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــــال :

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، منكان فى حاجــة

---

(٢٩) سورة المعارج ـ ١٩ ـ ٢٣

(٣٠) رواه أبو داود ، والترمذى ، انظر : رياض الصالحين ـ ٨٧

أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بهـا كربـة من كرب يوم القيامـة ، ومن ستر مسـلما ستره اللـه يـوم القيـــامة » أ هـ[٣١] .

---

(٣١) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ـ ١٢٦

الزكاة تربى النفس على الفضيلة وتطهرها من الشح البغيض

أيها المسلمون ، ان الزكاة فى حقيقتها ، وفى واقع الامر هى حق الله تعالى فى أموال الاغنياء ، لان المالك الحقيقى للمال هو الله جلت قدرته ، وما الاثرياء الا وكلاء فى مال الله تعالى ، فمن أحسن الوكالة استمر فى وكالته ، ومن أساء اليها سحبت منه الوكالة .

ويشير الى هذا المعنى قول الله تعـالى :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »(١) .

ويؤيد هذا أيضا الحديث الآتى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قـال رسول الله صلى اللــه عليــه وســـلم :

« ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحـدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » أ هـ(٢) .

ويقول الله تعـالى :

« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »(٣) . ويقـول : « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ومـا تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »(٤) .

---

(١) سورة النور ـ ٣٣

(٢) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ـ ٢٥٩

(٣) سورة سبأ ـ ٣٩

(٤) سورة البقرة ـ ٢٧٢

وأن كلمة الزكاة فى اللغة العربية لها معنيان وهما :

الاول : الطهـــارة

الثانى : الزيادة والنمـــاء

ولقد اختار الاسلام هذه الكلمة ليعبر بها عن الفريضة الاسلاميـــة تعبيرا عاما وشاملا ، لان هذا اللفظ ــ الزكاة ــ يكشف عما يقصـــده الاسلام من وراء هذه الفريضـــة •

فالزكاة طهارة لنفس الغنى من الشح البغيض ، وصدق الله حيث يقـــول :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »(٥) وبالاضافة الى أن الزكاة طهارة لنفس معطيها ، هى فى الوقت نفسه طهارة لنفوس الفقراء من الحسد ، والضغينة على الاغنياء ، لان الاحسان من شأنه أن يستميل قلوب المحسن اليهم ، الى المحســـن •

كما أن من شأنه أن يملأ قلوب الفقراء بالمحبة للاغنياء •

ثم هى أى الزكاة طهارة للمال الذى تعلق به حق الغير ، وفى هـــذا يقول النبى ﷺ : « حصنوا أموالكم بالزكاة »(٦) •

وكما أن الزكاة تطهير لنفس المسلم من الشح هى أيضـــا تدريب له على صفة البذل والانفاق ، فمما هو معروف أن للعادة أثرها العميق فى خلق الانسان ، وسلوكه ، وتوجيهـــه • والمسلم الذى يتعود الانفـــاق

---

(٥) سورة الحشر ــ ٩

(٦) رواه أبو داود ، انظر : كيف السبيل الى الله ــ ١٩٢

واخراج الزكاة ، هذا المسلم يصبح الاعطاء ، والانفاق صفة أصلية من صفاته ، وخلقا عريقا من أخلاقه . وهذا هو المقصود من أثر اخـــراج الزكاة فى تربية المسلم على الفضيلة ، وتخليصه من الشح والرذيلة .

والانسان اذا تطهر من الشح والبخل ، واعتماد البذل والعطاء ، ارتقى من حضيض الشح الانسانى الى صفة الكرم والجود .

عن « أبى أمامة صدى بن عجلان » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« يا أبن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفـــاف ، وأبدأ بمن تعـــول ، واليد العليا خـــير من اليـــد السفلى » أ هـ[٧] .

والزكاة من جهة أخرى تعتبر تنبيها للقلب على واجبه نحو خالقه ، ورازقه ، كما تعتبر علاجا للقلب من الاستغراق فى حب الدنيا ، وحب المـــــال .

ولقد اقتضت حكمة الشارع تكليف مالك المال باخراج جزء من ماله، ليصير ذلك الاخراج كسرا لنفسه ، وشهواته من شدة الميل الى المال ، ومنعا من انصراف النفس بالكلية اليه ، وتبنيها على أن سعادة الانسان لا تحصل عند الاشتغال بحب المال ، وانما تحصل بانفاق المال فى طلب مرضاة الله تعالى ، اذا فايجاب الزكاة خير علاج لازالة مرض حب الدنيا عن القـــلب .

---

(٧) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٢٦٠

عن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليـــه وســـلم أنه قـــــال :

« لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » أ هـ(٨) .

ـ واللـــه أعـــلم ـ

(٨) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ـ ٢٥٩

« الصوم يربى المسلم على الفضائل »

أيها المسلمون ان الصوم عبادة تتمثل فى أمرين هامين وهما :

الاول : طاعة الله تعالى فى الامتناع عن جميع المفطرات •

والثانى : جهاد النفس ومخالفة أهوائها ، وشهواتها •

وكلا الامرين سر بين العبد وربه ، ولا يقبل الله فيهما الا الصــدق والاخـــلاص •

والصيام بمعناه الدقيق هو تكييف الانسان لنفسه بنفسه فى حالات نموه المادى ، والروحى،وحفظ التوازن بينهما بحيث لا تقوى روحهعلى حساب مادته ، ولا تطغى مادته على حساب روحه •

والذى يتطلبه الاســلام من المسلم أن يكون وسطا بين مــادته ، وروحانيته ، لانه ليس ملكا محضا فيستغنى عن الطعام ، والشراب ، ولا جسدا فقط بحيث يعيش للطعام والشراب ، فهذه صفة الكفار والعياذ بالله تعالى ، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم »[1] •

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

« جاء ثلاثة رهط الى بيــوت أزواج النبى صلى الله عليه وســلم

---

(١) سورة محمــد ــ ١٢

يسألون عن عبادة النبى عليه الصلاة والسلام ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فانى اصلى الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله ﷺ اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا ، وكذا ، أما والله انى لاخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم ، وأفطر ، وأصلى ، وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[٢] .

وعن « أبى أيوب » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح »[٣] .

مزايا الصوم :

الصوم له العديد من المزايا الروحية ، والاخلاقية . وسأشير الى بعض هذه المزايا فأقول وبالله التوفيق :

اولا :

اعداد الصائم نفسيا لتقوى الله تعالى بترك شهواته الطبيعية المباحة، والميسورة ، وذلك امتثالا لامر الله تعالى ، واحتسابا للاجر ، فتتربى بذلك فى الانسان ملكة ترك الشهوات المحرمة ، وحينئذ يقوى على

(٢) رواه الشيخان ، والنسائى ، وانظر التاج ٢ – ٢٧٨
(٣) رواه أحمد ، والترمذى بسند حسن ، انظر : التاج ٢ – ٢٧٨

النهوض بالطاعات ، ويعتاد الثبات على العبادة ، ولذا نجـد النبى ﷺ يقول فى الحديث القدسى :

قال الله تعالى : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فـانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، واذا كا ن يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب فان سابه أحد ، أو قاتله ، فليقل : انى أمرؤ صائم ، والذى نفس « محمد » بيده لخلوف فم الصـائم أطيب عند الله من ريح المسـك ، للصائم فرحتـان يفرحهما ، اذا أفطر فـرح ، واذا لقى ربه فـرح بصـومه » أ هـ[٤] .

ثانيـا :

تذكير الصائم بحال الفقراء عندما يحس ، ويشعر بآلام الجوع ، فقد يحمله ذلك على العطف ، على المحتاجين والفقراء ، والمساكين .

وفى هذا تربية للنفس على العطف ، والجود ، والسخاء ، وترويض لها على ترك البخل ، والشح ، فمن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما قال :

« كان رسول الله ﷺ ، أجـود الناس ، وكان أجـود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضـان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل ، أجود بالخـير من الريح المرسـلة »[٥] .

---

(٤) رواه مسلم ، انظر : الاحاديث القدسية جـ ١ ص ١٧٣
(٥) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٤٨٠

ثالثـــــا :

الصوم مظهر من مظاهر المساواة بين الاغنياء ، والفقراء ، والملوك ، والســـوقة •

والصوم يعلم الامة النظام فى المعيشة ، فالمسلون حين يفطرون فى وقت واحد ، لا يتقدم أحدهما على الآخر ، ويمتنعون جميعا عن المأكل ، والمشرب فى وقت واحد ، فما ذاك الا مظهر اجتماعى عظيـــم من مظاهر الوحدة والمســـاواة •

ومظهر المساواة ميـــزة ، وخاصية امتازت بها الامة الاســـلامية ، وتفردت به على جميع الانظمة ، والقوانين •

فليس هنـــاك دستور ، ولا قانون ، أمر بالمساواة ، ودعـــا اليها ، وطبقها الافراد مثل ما فعل الدين الاسلامى الحنيف ، وهذا يتجلى فى كثير من العبادات التى احدها الصيام •

رابعـــــا :

الصوم من أكبر الوسائل فى تخفيف حدة الفهم ، وذلك مما يدعـــو الى راحة المعدة وصحة الجسم ، ولذا نجد النبى ﷺ يحث على الجوع ، بل ينفذه ، وقد ورد فى ذلك العديد من الاحاديث منها :

١ ــ عن « عائشة » رضى الله عنها قالت :

« ما شبع آل محمــد ﷺ من خبز شـــعير يومين متتابعـــين حتى قبض »(٦) •

---

(٦) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ــ ٢٣٤

٢ ــ وعن « سهل بن سعد » رضى الله عنه قال :

« ما رأى رسول الله ﷺ النقى[٧] من حين ابتعثه الله تعالى دتى قبضه الله تعالى ، فقيل له : هل كان لكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل ؟

قال : ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى ، فقيل له : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟

قال : كنا نطحنه وننفخه ، فيطير ما طار ، وما بقى ثريناه »[٨] .

٣ ــ وعن « أبى محمد فضالة بن عبيد الانصارى » رضى الله عنه :

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« طوبى لمن هدى الى الاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع »[٩] .

٤ ــ وعن « أبى كريمة المقدام بن معد يكرب » قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ماملأ آدمى وعاء سرا من بطن ، بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه[١٠] .

---

(٧) النقر : بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء ، وهو الخبزالحوارى أى الابيض .

(٨) رواه البخـارى .
انظر : رياض الصالحين ــ ٢٣٦

(٩) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، انظر المصدر السابق

(١٠) رواه الترمذى ، وقال: حديث حسن ، انظر: رياض الصالحين ــ ٢٤٤

وقال الدكتور « هيـــج » :

« ان أسباب الامراض هى الحوامض السابتة التى تتسرب الى الدم من سوء التغذية ، وأكبرها خطرا « دمض البوليك » .

ثم قال : انه لا سبب لمرض ضعف الاعصاب المنتشر اليوم انتشارا مريعا بين جميع الطبقات الا « حامض البوليك »

وهو من الاسباب للاصابة « بالروماتيزم » وألم الرأس ، وضعف القلب ، والربو ، والتهـــاب الشعب ، والبول السكرى ، ثم قـــال : ان السميات التى تتخلف من المواد الغذائيـــة تثبت فى تفرعات الاوعيـــة الدموية ، وتسد الاوعية الشعرية ، فتقل قوة سريان للدم ، ويشـــتد ضغطه على الكلى والقلب .

ويكون سببا لضغط عام للبنية ولاختلال جميع الاعضاء ، ومتى اشتد الضغط على القلب يحدث له مرض ثم تنتشر ســـموم الاغذية بتوالى تواردها فى سائر الاعضاء فتمرضها .

ويعرض الشخص نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على مـــا تسمح به نظريته ، فتارة ينصحونه بتعاطى الادوية الممنوعة ، ومـــرة يأمرونه بالراحة ، وأخرى ينصحونه بالسياحة ، وهم فى ذلك كله بعيدون عن حقيقة الداء .

فلو علموا أنه ناشىء عن سوء الاغذية وأشاروا عليه بحمية صحية لشـــفى »[١١] وهل الحمية الا الامتناع عن الاكل فترة من الزمـــان ؟ وهذا ما يتحقق بالصوم . ولذا قال بعض الاطباء :

---

(١١) انظر : العبادات الاسلامية ــ ١٢٤

« ان الصيام شهر واحـــد فى السنة يذهب بالفضلات الميتة مـــدة سنة »[١٢] .

خامسا : فى الصوم فوائد روحية :

من أعظم الفوائد الروحية أن يصوم العبد ابتغاء وجه الله تعالى .

ولا شك أن من يصوم لوجه ربه فان صومه يكون مقبولا باذن الله تعـــالى .

اذاً فالصوم موســـم روحى يطلب من الصائم فيـــه ترك المعاصى والمآثم ، وفى ذلك تربية للنفس ، وترويض لها على خشية الله تعالى ، ومراقبته ، وصدق الرسول ﷺ حيث قال :

« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجـــة فى أن يدع طعامه وشرابه »[١٣] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد ، أو قاتله فليقل انى صائم »[١٤] .

سادسا : الفوائد المترتبة على الجوع :

مما هو معروف أن الصوم يترتب عليه الجوع وتخفيف المعدة من

---

(١٢)انظر : العبادات الاسلامية ــ ١٢٥
(١٣) رواه البخارى ، عن أبى هريرة
(١٤) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ــ ٤٨٥

كثرة الطعام ، وقد ثبت علميا أن الجوع يترتب عليه أمور فى غاية الاهمية فى تربية الفرد المسلم منها :

أنه يترتب على الجـوع صفاء القلب ، واذكاء القريحـة ، وانفاد البصيرة ، ولان الشبع يكثر البخار فى الدماغ الذى يبلد الذهن ، ويورث البلادة •

وبالجملة فمن يتأمل العبادات الاسلامية يجد أنها ترمى الى تربية المسلم تربية روحانية وجسمانية ، فضلا عن أنها تهدف دائما الى توحيد الله تعالى ، والبر بالمجتمع وجميع الافراد •

فما ذكرت الصلاة الا وذكرت معها الزكاة • ومـا ذكر الايمان الا وذكر معه صالح الاعمال • وما ذكر الصوم الا وذكرت معه الصدقة • فانظر الى صفة المسلم فى قوله تعالى :

« ان المسـلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنـات ، والقـانتين والقـانتات ، والصادقين والصـادقات ، والصابرين والصـابرات ، والخاشـعين والخاشعات ، والمتصـدقين والمتصدقات ، والصـائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين اللـه كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[١٥] •

ـــ والله أعلم ـــ

---

(١٥) سورة الاحزاب ـ ٣٥

« أثر الحج فى تربيــة المســلم »

سيكون حديثى ان شاء اللــه تعالى عن الفقرات التالية :

أ) حكمة مشروعية الحج .

ب) الحج مظهر من مظاهر العبودية لله تعالى .

جـ) الحج مظهر من مظاهر شكر النعمة لله تعالى .

د) الحج تهذيب للاخــلاق .

هـ) بعض أسرار مناسك الحج ويشتمل على ما يلى :

أولا : بيان الحكمة من جعل الحج فى هذه الاماكن بالذات .

ثانيا : بيان الحكمة من عدم لبس المخيط للرجال .

ثالثا : بيان الحكمة من الطواف بالبيت الحرام .

رابعا : بيان الحكمة من استلام الحجر الاسود .

خامسا : بيان الحكمة من الرمل فى الطواف .

سادسا : بيان الحكمة من السعى بين الصفا والمروة .

سابعا : بيان الحكمة من رمى الجمرات .

واليك أيها المسلم تفصيل الحديث عن هذه الفقرات حسب ترتيبها :

أ) حكمة مشروعية الحــج :

الحج دعوة من الله تعالى لمن يشاء من عباده المؤمنين . فقد ورد أن الله تعالى لما أمر نبيه « ابراهيم » عليه السلام بالاذان بالحج ، قــال

« ابراهيم » يارب وماذا يفيد صوتى المحدود مداه ، فقال الله تعالى له : أذن يا أبراهيم فمنك الاذان وعلى البلاغ ، وصدق الله حيث قال : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »[1] .

والحج من أسمى العبادات للتقرب الى الله عز وجل وقد ورد فى فضله الكثير من الاحاديث النبوية أشير الى بعضها فيما يلى :

١ — عن « ابى هريرة » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » أ هـ[2] .

٢ — وعن « أبى هريرة » عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » أ هـ[3] .

والحج مظهر من مظاهر الاسلام العظيمة ، ومؤتمر اسلامى جامع للالوف من المسلمين فى شتى بقاع الارض على اختلاف أجناسهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ، فكلهم يذهبون الى مكان واحد للقيام بمناسك واحدة ، وهذا مما لا ريب فيه له الاثر البالغ فى تربية المسلم على الاخلاق الفاضلة ، والعادات الحميدة ، وهو فى حقيقته ومغزاه ترويض للنفس على الانتصار على شهواتها ، وملذاتها ، كما أن فيه زيادة ارتباط

---

(١) سورة الحج ـ ٢٧
(٢) متفق عليه ، انظر : التاج ٢ ـ ١٠٦
(٣) متفق عليه انظر : التاج ٢ ـ ١٠٦

بين جماعة المسلمين ، وبه يتم التعارف بين أهل البلاد المختلفة تدقيقا لوحدة المسلمين التى أشار الله اليها فى قوله : « ان هذه أمتكم أمـــة واحدة »(٤) •

ومما هو معلوم أن أول أشهر الحج هو « شوال » وواضـــح أن « شوال » هو الشهر الذى يلى شهر رمضان الذى له الاثر البالغ فى الصفاء الروحى ، والتقويم الخلقى فى الانسان •

اذاً فأشهر الحج تبشر باستدامة هذه المكاسب التى اكتسبها المرء طوال شهر رمضان •

فاذا كان المؤمن فى رمضـــان قد تعلقت روحه بالله تعـــالى ، فانه بدخول شهر شوال يملأ قلبه بالشعور باستئناف رحلة جديدة يشترك فيها الروح ، والبدن معا ، ويترك الانسان وراءه الاهل والمال والوطن ، ويتحمل فى سبيل تحقيقها عناء الطريق ، ومصاعب السفر ، وفى كل هذا تربية للجسم والروح معا ، وترويض لهما على طاعة الله تعالى •

ب) الحج مظهر من مظاهر العبودية لله تعالى :

أما اظهار العبودية لله تعالى ، فانها تتجلى فى اظهار التذلل للمعبود وهو الله تعالى ، وذلك لان الحاج حال احرامه يظهر الشعث ، ويتخلى عن أسباب التزين ، والتمتع • وفى حال وقوفه بعرفة يبدو كعبد عصى مولاه فوقف بين يديه متضرعا حامد له ، مثنيا عليه ، مستقيلا لعثراته•

ولذا روى عن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :

---

(٤) سورة الانبياء ــ ٩٢

قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة » أ هـ(٥) .

وبالطواف حول البيت يكون الحاج بمنزلة عبـد معتكف على باب مولاه ، لائذ بحماه ، وفى هذا ترويض للنفس ، وتعويد لها على أنه ينبغى للانسان الا يلجأ الا الى الله تعالى لا لاحد سواه مهما كان .

عن « ابن عباس » رضى الله عنهما قال :

« كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال :

« يا غلام . أنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجـده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعـلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قـد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف » . هذه رواية الترمذى وفى رواية غيره .

« احفظ الله تجده أمامك ، تعـرف الى الله فى الرخـاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطـأك لم يكن ليصيبك ، وما أصـابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » أ هـ(٦) .

جـ) الحج مظهر من مظاهر شكر النعمة لله تعالى :

أما شكر النعمة فلأن الحج جمع بين العبادة الروحية ، والبدنية ،

---

(٥) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٤٩٤

(٦) انظر : رياض الصالحين ـ ٤٢ ـ ٤٣

والمالية ، ولهذا لا يجب الحج الا عند وجود الملل ، وصحة البدن بحيث يستطيع السفر ويؤدى مناسك الحج .

فكان فى الحج حينئذ شكر النعمتين معا . وشكر النعمة واجب لله تعالى على عباده . قال تعالى : «لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشــديد »(٧) .

وعن « أبى كبشة عمر بن سعد الانمارى » رضى الله عنه

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ، أو كلمة نحوها ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : انما الدنيا لاربعة نفــر :

١ — عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل .

٢ — وعبد رزقه الله علما ، ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء .

٣ — وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علمــا ، فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيــه حقا ، فهذا بأخبث المنازل .

---

(٧) سورة ابراهيم — ٧

٤ — وعبد لم يرزقه الله مالا ، ولا علما ، فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته ، فوزرهما سواء » أ هـ[٨] •

د) الحج تهذيب للاخـــلاق :

من يقصد الحج تراه قد انتقل من حالة الى حالة ، وصار من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الاخلاق الفاضلة ، الطاهرة ، الخالصـــة من كل الشوائب ، لان الحاج اذا قصد الحج فانه يتوب الى الله تعالى ، ويعزم على ألا يعود الى ارتكاب الذنوب •

وفى هذا تكفير لذنوبه اذا صدقت نيته فى التوبة ، قال الله تعــالى : « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[٩] •

وعن « أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قـــال :

« ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهــار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » أ هـ[١٠] •

هـ) بعض أسرار مناسك الحج ، وأثرها فى تربية المسلم :

ان من ينظر بقلب خاشع ، وفكر ثاقب الى مناسك الحج يستطيع أن يستكشف من خلال ذلك العديد من الحكم البليغة ، والاسرار العالية التى تفيد بلا شك فى تربية المسلم • وأنا لا أقصد من حديثى هذا العد

---

(٨) رواه الترمذى ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٦٢
(٩) سورة النور — ٣١
(١٠) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ١٢

والحصر لهذه الاسرار ، وانما أردت أن القى الضوء على هذه الاسرار، وأبين أثرها فى تربية المسلم ، وذلك فيما يلى :

أولا : ان قيـــل ما هى الحكمة من جعـــل الحج فى هـــذه الاماكن المخصوصة بالذات ؟

أقول : لعل ذلك يرجع الى عدة أسباب أذكر منها ما يلى :

١ — ان المسلمين اذا حجوا بيت الله الحـــرام تذكروا أيام أبيهـــم « ابراهيم » عليه السلام ، وتذكروا قوله : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى ذرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصـــلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »(١١) .

٢ — ان هذه الاماكن بذكر المسلم بالموطن الاول الذى ظهر فيه الدين الاسلامى الحنيف ، وتذكره بقول الله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحـــق ليظهره على الدين كله وكفى باللـــه شهيدا »(١٢) .

ثانيـــا : ان قيل ما هى الحكمة من عدم لبس المخيط للرجال أثناء الاحـــــرام ؟

أقـــول : لعل ذلك يرجع الى عدة أمور أذكر منها ما يلى :

١ — أن يكون المسلم فى أعلى درجات الخضوع ، والتذلل لله تعالى ،

---

(١١) سورة ابراهيم ـ ٣٧

(١٢) سورة الفتح ـ ٢٨

وكأن لسان حالة ينادى ويقول : رب انى لا أملك من الامر شيئا ، وان كل ما فى الوجــود لا أملك منه قليــلا ولا كثيرا ، وانك أنت المالك لكل شىء ، وها أنا بين يديك كيوم ولدتنى أمى ، ليس على من متاع الدنيا الا مــا استر به عورتى .

ولا شك أن هذه الحالة تمثل أسمى درجات الخشوع ، ولعلها تكون الغاية القصوى فى درجات التذلل والخضوع لله تعالى .

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الحالة لها الاثر الواضح فى تربية النفس ، وقهرها عن الكبر والعظمة ، وسائر الامراض النفسية . والعياذ بالله تعالى .

٢ ــ ان هذا اللباس البسيط الذى يلبسه الحاج فيه اشارة للمساواة بين المسلمين ، وفيه دلالة على أن الانسان خرج من زخارف الدنيا ، وزينتها ، وتوجه بقلب مخلص الى ربه وخالقه يناجيه بهذا اللباس الذى يستوى فيه الاغنياء والفقراء .

وبهذا يكون الحاج قد نزع عن نفسه مظاهر الفخار ، وجردها من كل ما يملك من الدنيا الا من هذا اللباس البسيط .

وفى هذا ترويض للنفس وتربيــة لها على عدم التعلق بالدنيــا ، والتفانى فيها .

وانما ينبغى له أن يأخذ منها ما يبلغه للدار الآخرة .

استمع معى الى قول « ابن عمر » رضى الله عنهما :

« اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك »(١٣) .

---

(١٣) رواه البخارى ، انظر : رياض الصالحين ــ ٢٢٧

وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال :

« أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال :

« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »(١٤) .

وعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الدنيـا حلوة خضرة ، وان الله تعـالى مستخلفكم فيهـا فينظـر كيف تعمـلون ، فاتقوا الدنيـا ، واتقـوا النســـاء »(١٥) .

ثالثـا : ان قيل ما هى الحكمة منا لطواف بالبيت ؟

أقـول : الطواف على ثلاثة أنواع :

الاول : طواف القدوم

الثانى : طواف الافاضة

الثالث : طواف الوداع

ولكل نوع من هذه الانواع حكم أشير اليها فيما يلى :

حكمة طواف القدوم :

مما هو معلوم أن بيت الله الحرام يعتبر أشرف بقعـة فى الارض على الاطلاق ، وهو أول بيت وضع فى الارض ، يشير الى ذلك قـول

---

(١٤) انظر : رياض الصالحين ـ ٢٢٧
(١٥) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ـ ٢٢٣

الله تعـــالى : « ان أول بيت وضع للناس الذى بمكه مباركا وهــدى للعــــالمين »[١٦] .

لهذا كان من الآداب أن يؤدى الحاج لبيت اللــه التحية المشـــعرة بالاجلال ، والاحترام ، وقد بين الشرع أن تحية البيت هى الطواف .

ومما لا ريب يه أن الالتزام بالآداب الاسلامية يغرس فى النفس الفضيلة ، وينشؤها على التجلى بالاخلاق الكريمة .

وهذا أثر طيب فى تربية المسلم .

فان قيل : ما هى حكمة طواف الافاضة ؟

أقــول : لعــل الحكمة من ذلك أن الحــاج يريد أن يبـــادر الى الطواف كى يسعد باتمام حجـــه .

ولهذا شرع له بعد أداء طواف الافاضـــة التحلل الاكبـــر ، بحيث يصبح الحاج فى حل من عمل جميع الاشياء التى كانت محظورة عليـــه طوال فترة الحـــج .

وهذه احدى الآثار الطيبة فى تربية المسلم على الصبر ، والتمســـك بآداب الاسلام .

حكمة طواف الوداع :

ان المسلم اذا أدى حجة ، وانتهى من جميع المناسك وعزم عـــلى الرحيل ، شرع له أن يطوف بالبيت مودعا له .

وهذا مظهر من مظاهر الحب والاجلال والتقدير .

---

(١٦) سورة آل عمران ـ ٩٦

والمقصود من كل هذا هو تقدير ، وتعظيم رب هـذا البيت الذى شرع الطواف ببيته الحرام • والامتثال لاوامر الله تعالى هو النتيجـة المرجوة من أثر العبادات فى تربية المسلم على طاعة الله تعالى •

رابعا : ان قيل : ما هى الحكمة من استلام الحجر الاسود ؟

أقــول : الحجر الاسود يعتبر من الاشياء التى اختص الله بهـا البيت الحرام على سائر الامكنة • وقد روى أن نبى الله « ابراهيم » عليه السلام لما انتهى فى البنـاء الى مكان الحجر الاسـود قال لولده « اسماعيل » عليه السلام : ائتنى بحجر أجعله علامة لابتداء الطواف ، فيخرج وجاء بحجر ، فقال : ائتنى بغيره ، فأتاه بحجر آخـر ، فقال ائتنى بغيره فأتاه بثالث فالقاه وقال : جاءنى بحجر من أغنانى عن حجرك، فرأى الحجر الاسود فى موضعه(١٧) •ولعل مما يؤيد هذه الرواية ما رواه « ابن عباس » عن النبى ﷺ حيث قال : « نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم »(١٨) •

ولعل الحكمة من استلام الحجر ، ما أشار اليها الحديث الذى رواه « ابن عباس » عن النبى ﷺ حيث قال فى الحجر : « والله لبيعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطـق به ، يشهد عـلى من استلمه بحق » أ هـ(١٩) •

وقد ورد أن النبـى ﷺ كان يقبله ، يرشـد الى ذلك ما روى عن

---

(١٧) انظر : العبادات الاسلامية ـ ٢٢٥

(١٨) رواه الترمذى وحسنه ، انظر التاج ٢ ـ ١٢٩

(١٩) رواه الترمذى وحسنه ، انظر التاج ٢ ـ ١٢٩

«عمر بن الخطاب» رضى الله عنه أنه جاء الى الحجر الاسود فقبله وقال : انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت النبى ﷺ يقبلك ما قبلتك »[٢٠] .

اذاً فتقبيل الحجر يعتبر نوعا من أنواع التربية الاسلامية اذ فيه ترويض للنفس على طاعة اللـه تعالى ، والزام لها على تنفيـذ أوامر الشرع الشريف .

خامسا : حكمة الرمل فى الطواف :

لعل الحكمة من الرمل هى التى أشار اليها « ابن عبـاس » رضى الله عنهما حيث قال :

« قدم النبى ﷺ وأصحابه ، فقال : المشركون : أنه يقدم عليـكم وفد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم النبى ﷺ أن يرملوا الاشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم .

وزاد فى رواية :

« فقال : المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الدمى وهنتهم ، انهم أجاد من كذا وكذا »[٢١] .

ومما هو معروف أن « الرمل » نوع من السير السريع .

ومما لا ريب فيه أن العبادات ، وبخاصة الحج تحتاج الى القـوة

---

(٢٠) رواه الترمذى وحسنه ، انظر التاج ٢ ـ ١٢٩

(٢١) رواه الخمسة ، انظر : التاج ٢ ـ ١٢٨

البدنية ، التى تعين على أداء مناسك الحج ، اذا فالرمل نوع من أنواع الرياضة البدنية التى تكون سببا فى تقوية جسم الانسان •

سادسا : حكمة السعى بين الصفا والمروة :

لعل الحكمة فى مشروعية السعى أن « هاجر » أم نبى الله اسماعيل عليه السلام ، حينما تركها زوجها « ابراهيم » خليل الرحمن فى هـذا المكان وكان معها ولدها « اسماعيل » وهو لم يزل طفلا صغيرا ، وقـد أعوزها الماء ، فقامت تسعى فى طلب الماء صارعة الى الله تعالى أن يهديها الى الماء تروى به ظمأها ، وظمأ ابنها ، فكانت تتردد فى سعيها بين الصفا والمروة ، حتى أذن الله تعالى وانفجرت الارض عن بئر زمزم ، فـاذا سعى الحـاج بين الصفا والمروة فـانه فى هذه الحـالة يكون متشبها « بهاجر » فى طلب الرحمة والمعونة من الله تعالى ، كما أنه يطلب من الله تعالى أن ينقذه من مخاطر العوز ، والاحتياج ، وأن يرحمه برحمتـه الواسعة ، كما رحم السيدة هاجر وابنها بماء زمزم •

وفى هذا تربية للنفس وترويض لها على الالتجاء الى الله تعـالى وخاصة فى حالات الشـدة •

سابعا : حكمة رمى الجمرات :

لعل الحكمة فى ذلك ترجع الى الاقتـداء بنبى الله « ابراهيـم » عليـه السـلام •

فعن « ابن عباس » رضى الله عنهما ، رفعه الى النبى صلى الله عليه وسـلم قـال :

« لما أتى ابراهيم خليل الله صلوات الله عليه وسلامه المناسك(٢٢)

---

(٢٢) جمع منسك وهو مكان النسك الذى يؤدى عنده أعمـال الحـج وشعائره •

عرض له الشيطان عند جرة العقبة[٢٣] فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الارض[٢٤] ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ فى الارض ، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات دتى ساخ فى الارض .

قال « ابن عباس » رضى الله عنهما : « الشيطان ترجمون[٢٥] وملة أبيكم ابراهيم تتبعون » أ هـ[٢٦] .

فان قيـــل : ما أثر رمى الجمار فى تربية النفس ؟

أقـــول : ان الاثر فى ذلك واضح كل الوضوح ، وهو أن يعود الانسان نفسه على أنه كلما وقعت له وسوسة من الشيطان أن يرجـــم ذلك اللعين ويقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

كما قال تعالى : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العـــليم »[٢٧] .

ــ والله أعلم ــ

---

(٢٣) وهى الجمرة الكبرى

(٢٤) أى غاص وغاب فيها

(٢٥) وهذا بيان لحكمة الرجم وهى أن المسلم حين يرمى الجمار انمـــا يقصد بذلك دحر الشيطان وابعاده من طريقه حتى لا يعوقه فى سيره الى الله عـــز وجـــل .

(٢٦) رواه ابن خزيمة ، والحاكم ، وقال صحيح ، انظر : الترغيب جـ ٢ ص ٣٤٢

(٢٧) سورة فصلت ٣٦

« صفات على المسلم أن يتحلى بها »

هناك صفات حسنها الشرع فعلى كل مسلم أن يتحلى بها كى يكون من الفائزين .

من هذه الصفات ما يلى :

أ) الاخـــلاص لله تعـــالى .

ب) الحب فى الله .

جـ) حســـن الخـــلق .

د) الحـــلم والرفـــق .

هـ) الحيـــــــــــــاء .

و) الشـفقة على خلق اللـــه .

ز) الصـــــــــدق .

ح) طلاقة الوجه وطيب الكلام .

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الصفات فى ضوء الكتاب والسنة مع بيان فضـــلها :

« الاخلاص لله تعالى »

الاخلاص هو روح العبادة والعمل ، وهو المقياس الحقيقى الذى بمقتضاه يقبل الله العمل ويكافئ عليه ، فمن رزقه الله الاخلاص فقد منحه الخير كله ، ولعظم شأن الاخلاص فى الدين الاسلامى فقد جاء الامر به ، والترغيب فيه فى كل من الكتاب والسنة :

فمن « القرآن » قول الله تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة »[1] .

وقوله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »[2] .

وأما السنة المطهرة فقد جاءت حافلة بالاحاديث التى ترغب فى الاخلاص ، وتبين فضله ، واليك أخى المسلم قبسا من ذلك :

فعن « أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل أمرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » أ هـ[3] .

---

(١) سورة البينة ٥

(٢) سورة الانعام ١٦٢ ـ ١٦٣

(٣) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى
انظر : رياض الصالحين ص ٤ والتاج ج ١ ص ٥١

أيها المسلم هذا الحديث لعظم شأنه فى « منهج الاسلام » قــال عنه كل من : « الامام الشافعى ، والامام أحمد بن حنبل » : فى هــذا الحديث ثلث العلم ، لاكسب العبد اما بقلبه ، أو بلسانه ، أو بجوارحه ، والنية عمل القلب » أ هـ .

وفى رواية للشافعى : « فى هذا الحديث نصف العلم ، فان الدين عمل باطن ، وعمل ظاهر ، والباطن النية ، وهى عمل القلب الذى هــو أشرف الاعضاء ، فهى أفضل الاعمــال » أ هـ .

وقال « أبو داود » : « هذا الحديث من الاحاديث التى عليهــا مدار الاســلام » أ هـ .

ثم قــال « أبو داود » : « يكفى الانسان لدينه أربعة أحاديث :

الاول : « انما الاعمال بالنيات » الخ

والثانى : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

والثالث : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

والرابع : « ان الحلال بين والحرام بين » الخ .

وهناك أمران تجدر الاشارة اليهما فى هذا المقام :

الامر الاول : النية ، وهى لغة القصد ، وشرعا : قصد الشىء مقترنا بفعله ، وزمن النية أول العبادة ليكون العمــل مقترنا بها من أوله ، الا اذا تعذر مقارنتها للاول كالصوم مثلا ، فانه لما تعــذر مقارنتها أول النهار أوجبها الشارع من الليل .

ومزية النية : صحة العبــادة ، وتمييزها عن العــادة ، فان الشىء

الواحد يكون بالنية عبادة ، وبدونها عادة ، مثل الجلوس فى المسجد بنية الاعتكاف يكون عبادة ، وبدون النية كقصد الاستراحة مثلا يكون عادة .

الامر الثانى : الاخلاص ، وهو لغة التصفية وتمييز الشىء عن غيره ، وشرعا : اتقان العبادة لله تعالى كأنك تراه .

ومزية الاخلاص : لذة المناجاة ، ومضاعفة الثواب ، وصفاء الباطن ، وتنوير القلوب حتى تكون على استعداد للتأثر بالعبر والمواعظ .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » أ هـ(٤) .

المعنى : دل هذا الحديث بجلاء ووضوح على أن سبب قبول العبد ليس قوة جسمه ، ولا حسن صورته ، ولكن العبرة فى ذلك العمل القائم على الاخلاص لله تعالى .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض » أ هـ(٥) .

حقا : انها لنهاية سعيدة ، وبشرى طيبة لمن أخلص النية والعمل

---

(٤) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ٧

(٥) رواه ابن ماجة ، والحاكم ، انظر : الترغيب جـ١ ص ٣٢

لله تعالى ، وأدى الفرائض التى أوجبها عليه « منهج الاسلام » ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فمن فعل ذلك حتى يفارق الدنيا ، فارقها والله عنه راضى ، وهنيئا لمن رضى الله عنه .

وعن « الضحاك بن قيس » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الله تبارك وتعالى يقول : « أنا خير شريك ، فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى ، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم ، فان الله تعالى لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له ، ولا تقولوا : هذه لله وللرحمة ، فانها للرحمة ، وليس اليه منها شىء ، ولا تقولوا : هذه لله ولوجوهكم ، فانها لوجوهكم ، وليس لله منها شىء » أ هـ(٦) .

المعنى : الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالعبادة وحده ، لانه صاحب النعم التى لا تحصى ولا تعد ، وهو وحده الذى أوجد العالم من العدم ، فمن أشرك بالله تعالى فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

والله سبحانه وتعالى لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا له ، أما من أشرك فى عمله شيئا مع الله تعالى فعمله غير مقبول ، وسيوكله الله الى شريكه الذى لا يغنى عنه من الامر شيئا .

وعن « ثوبان » رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء » أ هـ(٧) .

---

(٦) رواه البزار ، والبيهقى ، انظر : الترغيب جـ١ ص ٣٥
(٧) رواه البيهقى ، انظر : الترغيب جـ١ ص ٣٤

« الحب فى الله تعـالى »

قام ديننا الاسلامى الحنيف على دعائم قوية ، قوامها الحب الخالص بين أفراد الامة الواحدة ، لان الامة الاسلامية كالجســد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالدمى والسهر •

وقد قرر بنى الاسلام أن المرء لا يكمل ايمانه الا اذا أحب لاخيــه ما يحب لنفسه ، وأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم •

ونحن اذا ما نظرنا الى حسن الصلة التى حث عليها الدين الاسلامى ورغب فيها بين الافراد ، والجماعات ، وجدنا أن ذلك لن يتم على الوجه الاكمل الا اذا كان هناك حب متبادل بين الجميع •

ومن ينعم النظر فى السنة المطهرة يجدها حــافلة بالاحاديث التى تحث على الحب فى الله ، وتبين فضله • واليك أخى المسلم قبسا من هذه الاحــــاديث :

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان :

من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النــــار •

وفى رواية : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وطعمه : أن يكون

الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب فى الله ، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب اليه من أن يشرك بالله شيئا » أ هـ[١] .

المعنى : قال « الامام النووى » ت ٦٧٦ هـ :

« هذا الحديث عظيم ، وأصل من أصول الدين » أ هـ اذ من اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث بأن خالطت قلبه وجد بسببها حلاوة الايمـــان بحيث يستلذ بفعل الطاعات ، ويتحمل المشاق فى سبيل ترك المنهيات .

ومحبة العبد لله ورسوله تتمثل فى تنفيذ منهج الاسلام ومحبة المؤمن لاخيه المؤمن تكون بالاخلاص له ، وتقديم المساعدة له ، وحفظ سره ، ومداومة صلته وبره ، الى غير ذلك من الصفات الحميدة التى بينها منهج الاســـــلام .

وعن « ابى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أن اللـــه تعالى يقول يوم القيـــامة : أين المتحابون بجلالى[٢] .

اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى » أ هـ[٣] .

وعن « العرباض بن سارية » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : « المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل الا ظلى » أ هـ[٤] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، انظـر : الترغيب جـ٤ ص ٢٤

(٢) أى بعظمتى وابتغاء وجهى .

(٣) رواه مسلم ، انظر الترغيب جـ٤ ص٢٦

(٤) رواه أحمد باسناد جيد ، انظر : الترغيب جـ٤ ص٣٧

حقا : انها لمنزلة عظية ، ودرجة رفيعة التى سيفوز بها المتحابون فى الله حيث يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله .

ونظرا لاهمية الحب فى الله فى منهج الاسلام فقد قرر النبى ﷺ أن من خصال الايمان الدالة على قوته ورسوخه أن يحب الرجل أخاه ابتغاء مرضاة الله ، يوضح ذلك الحديث التالى :

فعن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان من الايمان أن يحب الرجل رجلا لا يحبه الا لله من غير مال أعطاه فذلك الايمان » أ هـ(٥) .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ما تحابا رجلان فى الله الا كان أحبهما الى الله عز وجل أشدهما حبا لصاحبه » أ هـ(٦) .

المعنــى : ان الحب من الصفات القلبية التى لا يطلع عليها الا الله تعالى ، فهو وحده الذى يعلم المخلص فى حبه من المنافق ، ولما كان منهج الاسلام يدعو دائما الى الاخــلاص فى كل شىء ، وينهى عن الرياء ، والنفاق ، فقد قرر نبى الاسلام أنه ما تحاب رجــلان فى الله الا كان أحبهما الى الله عز وجل أشدهما حبا لصاحبه ، وهنيئا لمن أحبه اللــه تعالى . ألا يعتبر ذلك دعوى الى التنافس فى الحب فى الله تعالى ؟

وأعلم أيها المسلم أن الحب والصداقة يترتب عليهما واجبات ، فعلى

---

(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر : جـ٤ ص٢٨

(٦) رواه ابن حبان والحاكم ، وقال صحيح الاسناد ، انظـر : الترغيب جـ٤ ص٢٩

كل صديق أن يسعى دائما فى تقديم كل ما فيه الخير والمصلحة لصديقه وأن يخصه بفعل كل جميل ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » أ هـ(٧) .

وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب رجلا لله فقال : أنى أحبك لله فدخلا جميعا الجنة ، فكان الذى أحب أرفع منزلة من الآخر ، وأحق بالذى أحب لله » أ هـ(٨) .

حقا : انها لنهاية سعيدة ، وخاتمة طيبة ، ومنزلة رفيعة ينبغى أن يتنافس فيها المسلمون ، حيث سيكون الذى يحب صديقه أكثر ، فى منزلة أرفع عند الله تعالى .

وعن « أبى مسلم الخولانى » قال :

« لمعاذ بن جبل » : « والله أنى لاحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك ، ولا قرابة بينى وبينك ، قال : فلا شىء ، قلت : لله ، قال : فجذب حبوتى ثم قال : أبشر ان كنت صادقا ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المتحابون فى الله فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء . قال : « ولقيت « عبادة بن الصامت » فحدثته بحديث « معاذ » فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه

---

(٧) رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح ، انظر الترغيب جـ٤ ص٢٩
(٨) البزار باسناد حسن ، انظر : الترغيب جـ٤ ص ٣٠

تبارك وتعالى : حقت محبتى على المتحابين فى ، وحقت محبتى على المتناصحين فى ، وحقت محبتى على المتباذلين فى ، هم على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء والصديقون » أ هـ(٩) .

المعنى : تضمن هذا الحديث الشريف الاشارة الى الاجر الذى سيمنحه الله تعالى للمتحابين فى جلال الله ، من ذلك :

أن الله تعالى سيجعل لهم أمكنة مرتفعة من نور يجلسون عليها ، وما ذلك الا اشارة لعلو منزلتهم عند الله . ومنها : أن الله تعالى سيظلهم يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يأثر عن ربه تبارك وتعالى يقول : « حقت محبتى للمتحابين فى ، وحقت محبتى للمتواصلين فى ، وحقت محبتى للمتزاورين فى ، وحقت محبتى للمتباذلين فى » أ هـ(١٠).

وعن « شرحبيل بن السمط » أنه قال :

« لعمرو بن عبسة » : هل أنت محدثى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه نسيان ، ولا كذب ، قال : نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل : قد حقت محبتى للذين يتحابون من أجلى ، وقد حقت محبتى للذين يتباذلون من أجلى ، وقد حقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى » أ هـ(١١) .

---

(٩) رواه ابن حبان فى صحيحه ، انظر الترغيب جـ٤ ص٣٣
(١٠) رواه أحمد باسناد صحيح ، انظر الترغيب جـ٤ ص ٣٤
(١١) رواه أحمدوالحاكم وقال صحيح الاسناد ، انظر الترغيب جـ٤ص٣٥

المعنى : هذان الحديثان متفقان فى المعنى والمدلول ، وذلك أن محبة الله تعالى قد حقت ووجبت للمتصفين بالصفات الآتية :

أولا : المتحابون فى الله تعالى

ثانيا : الذين يتزاودون فى الله تعالى

ثالثا : الذين يتواصلون فى الله تعالى

رابعا : الذين يتباذلون فى الله تعالى

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « ان لله جلســاء يوم القيامة عن يمــين العرش ، وكلتا يدى الله يمين ، على منابر من نور ، وجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء ، ولا صديقين ، قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى ، المتحابون بجلال اللــه تبارك وتعالى » أ هـ(١٢) .

حقــا : انها لمنــزلة من أرفع المنازل ، وغاية ســعيدة ينبغى أن يتنافس من أجلها كل مؤمن ، حيث سيفوز المتحابون فى الله تعالى بهذا الاجر العظيم : اذ سيجلسهم الله عز وجل على منابر من نور على يمين العرش تكريما لهم ، وتكون وجوههم مضيئة كالبدر ليلة التمام ، لا يخافون حين يخاف الناس ، ولا يفزعون اذ يفزع الناس ، وصدق الله حيث قال : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيهــا خالدون »(١٣) .

---

(١٢) رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسنــــاد ، انظـــر الترغيب جـ٤ ص ٣٥

(١٣) سورة آل عمران ١٠٧

ويؤيد هذ الحديث فى المعنى الاحاديث الآتية :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء يغبطهم الانبياء والشهداء ، قيل : من هم لعلنا نحبهم ؟

قال : « هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ،لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، ثم قرأ : « ألا ان أولياء الله لا خـــوف عليهم ولا هـــم يحـــزنون » أ هـ[14] .

وعن « أبى أمامة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان لله عبادا يجلسهم يوم القيامة عـــلى منـــابر من نـــور يغشى وجوههـــم النور حتى يفـــرغ من حســـاب الخـــــــلائق » أ هـ[15] .

وعن « عمـــر » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان من عباد الله لاناسا ما هـــم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا : يا رسول الله فخبرنا من هم ؟

قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله أن وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، ولا يخافـــون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية :

---

(١٤) رواه النسائى ، وابن حبان ، انظر الترغيب جـ٤ ص ٣٦
(١٥) رواه الطبرانى باسناد جيد ، انظر الترغيب جـ٤ ص ٣٦

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » أ هـ(١٦) .

وعن « أبى الدرداء » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور ، على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء ، قال : فجثى أعرابى على ركبتيه فقال :

يا رسول الله جلهم لنا نعرفهم ، قال : « هم المتحابون فى الله من قبائل شتى ، وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » أ هـ(١٧) .

— والله أعلم —

---

(١٦) رواه أبو داود ، أنظر الترغيب جـ ٤ ص ٣٨

(١٧) رواه الطبرانى باسناد حسن ، انظر الترغيب جـ٤ ص ٣٧

« أمور رغب الاسلام فى فعلها »

هناك أمور جاء الشرع بها ، ورغب فيها ، وحث عليها ، وبين فضلها، وهى كثيرة ، ومتنوعة ، وحسبى أن أشير هنا الى بعضها مع بيان فضلها .

لعلك أيها المسلم تسارع الى فعلها ما استطعت الى ذلك سبيلا ، والامور هى :

أ) الاصلاح بين الناس .
ب) افشاء السلام .
جـ) اماطة الاذى عن الطريق .
د) الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .
هـ) بر الوالدين .
و) الجهاد فى سبيل الله .
ز) ستر عورة المسلم .
ح) السعى على طلب الرزق .
ط) الصدقة .
ك) صلة الرحم .
ك) العفو عن عثرات المسلم .
ل) قضاء حوائج المسلمين .

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الامور فى ضوء الكتاب والسنة مع بيان فضلها :

« الاصـــلاح بين النـــاس »

كل مجتمع من المجتمعات لابد أن ينشب بين أفـــراده المنازعات ، والخصومات ، نتيجة لاختلاف الاهواء ، والرغبات ، والاتجاهات •

والمنازعات يتسبب عنها عادة تصدع فى بناء الامة الاسلامية •

وحفاظا على اعادة البناء الى حالته الطبيعية حتى يظل متماســكا قويا جاء الدين الاسلامى بالحث على اصلاح ذات البين :

قال الله تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمـــر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انمـــا المؤمنون اخـــوة فأصلحوا بين أخـــويكم واتقوا اللـــه لعلكم ترحمون »[1] •

المعنى : وان اقتتلت طائفتان من المؤمنين فالواجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بالحق الذى شرعه الله تعالى •

فان اعتدت احدى الطائفتين على الاخرى ، ولم تقبل فالواجب على عامة المسلمين قتال الفئة الباغية ، وردعها عن ظلمها ، حتى ترجـــع الى تحكيم شرع اللـــه •

---

(١) سورة الحجرات ٩ ـ ١٠ •

فان فاءت وعادت الى الهـدوء والسكينة ، فيجب الصـلح بينهما بالعدل لتزول الاحقاد ، ويعود الصفاء ، ويحل محل الخصام .

قال تعالى : « فاتقوا اللـه واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا اللـه ورسوله ان كنتم مؤمنين »(٢) .

وقال تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصـدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه أجرا عظيما »(٣) .

المعنى : النجوى تكون فى الشر ، وتكون أيضا فى الخير . والنجوى المحمودة التى يقرها الدين الاسلامى هـى المشتملة على الامر بالبـر والتقـوى .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجـوى من الشيطان ليحزن الذين آمنـوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(٤) .

ومن أنواع النجوى المحمودة الاصـلاح بين الناس ، ومن يفعـل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف يؤتيه الله أجرا عظيما .

ونظرا لاهمية الاصلاح بين الناس فى الدين الاسلامى قد جـاءت

---

(٢) سورة الانفال ١ .
(٣) سورة النساء ١١٤ .
(٤) سورة المجادلة ٩ ــ ١٠ .

السنة المطهرة حافلة بالاحاديث التى تبين فضل الاصلاح بين الناس •

واليك أيها المسلم قبسا من ذلك :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « كل سلامى[٥] من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وتميط الاذى عن الطريق صدقة » أ هـ[٦] •

المعنى : نعم الله تعالى على الانسان لا حصر لها ، وتلك النعم المتعددة يجب على الانسان أن يقدم شكرها لله تعالى ، لان ذلك يستلزم حفظها ودوامها ، وصدق الله حيث قال : « لان شكرتم لأزيدنكم ولان كفرتم ان عذابى لشديد »[٧] •

والحديث الشريف بين أنه على كل مفصل من مفاصل الانسان — وهى كثيرة ومتعددة — صدقة لله تعالى مقابل شكر هذه النعم الجليلة، اذ كل مفصل من المفاصل يؤدى وظيفة خاصة على الوجه الاكمل ، ووفقا لنظام مرتب دقيق •

ثم بين النبى عليه الصلاة والسلام عددا من الاعمال هى بمثابة ضريبة على تلك المفاصل •

---

(٥) السلامى بضم السين وتخفيف اللام : أصله عظام الاصابع وسائر الكف ، ثم استعمل فى سائر عظام البدن ومفاصله •

(٦) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٢٨ •

(٧) سورة ابراهيم ٧ •

فاذا قام الانسان بهذه الاعمال ابتغاء وجه الله تعالى اعتبر مؤديا للصدقات الواجبة على مفاصله • والاعمال التى أشار اليها الحـديث هـى :

الاول : الاصلاح بين النـاس •

الثانى : معاونة المسلم لاخيه المسلم ولو برفعه على دابته ، أو برفع مفاعه عليهـا •

الثالث : الكلمة الطيبة يقولها الانسان لاخيه المسلم •

الرابع : السعى لاداء الصلاة فى بيوت الله تعالى •

الخامس : اماطة الاذى عن الطريق •

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه

ان النبى ﷺ قال : « لابى أيوب الانصـارى » : « ألا أدلك على تجـارة ؟

قال : بلى ، قال : « صل بين الناس اذا تفاسدوا ، وقرب بينهم اذا تباعدوا » أ هـ[٨] •

وفى رواية : « الا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله ؟

قال : بلى ، قال : « صل بين الناس اذا تفاسدوا ، وقرب بينهم اذا تباعدوا » أ هـ[٩] •

---

(٨) رواهالطبرانى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٧٤٧ •

(٩) رواه الطبرانى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٧٤٧ •

وعن « أبى الدرداء » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبــركم بأفضل من درجة الصــيام والصلاة والصــدقة ؟

قالوا : بلى ، قال : « اصلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هى الحالقة » أ هـ[10] .

ــ والله أعلم ــ

---

(١٠) رواه أبو داود والترمذى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٧٤٦ ٠

« افشـــاء الســـلام »

السلام تحية المسلمين فيما بينهم ، قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غـير بيوتكم حتى تستأنسـوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون »(١) .

وقال تعالى : « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »(٢) .

والسلام تحية الملائكة لابى الانبياء « ابراهيم » عليه السلام ، قال تعالى : « هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام »(٣) .

والسلام تحية أهل الجنة :

قال تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما »(٤) .

وقال تعالى : « دعواهـم فيها سـبحانك اللهم وتحيتهم فيهـا سـلام »(٥) .

---

(١) سورة النور ٢٧ .
(٢) سورة النور ٦١ .
(٣) سورة الذاريات ٢٤ ـ ٢٥ .
(٤) سورة الاحزاب ٤٤ .
(٥) سورة يونس ١٠ .

وقال تعالى : « وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام »(٦) .

ومن يتتبع القرآن الكريم يجد أن لفظ « ســـلام » جاء فى واحـــد وأربعين موضعا .

وهذا ان دل على شىء فانما يدل على مدى اهتمام الدين الاسلامى بهذه التحية المباركة .

وأعلم أيها المسلم أن رد الســـلام واجب شرعا . عملا بقول الله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شىء حسيبا »(٧) .

ويستحب أن يقول المبتدىء : « السلام عليكم » فيأتى بضـــمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا .

ويقول المجيب : « وعليكم السلام » فيأتى بواو العطف فى قوله : « وعليكم » .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام اذا أتى على قوم فسلم عليهـــم سلم عليهم ثلاثا(٨) .

أى يقول : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

---

(٦) سورة ابراهيم ٢٣ .
(٧) سورة النساء ٨٦ .
(٨) رواه البخارى عن (أنس بن مالك) انظر رياض الصالحين ص ٣٦٨

وعن « أبى جرى الهجيمى » رضى الله عنه قال :

أتيت رسول الله ﷺ فقلت : عليك السلام يا رسول الله ، قـــال : « لا تقل عليك السلام ، فان « عليك السلام » تحية الموتى » أ هـ(٩) .

وأعلم أيها المسلم أن للسلام آدابا ، يوضح ذلك الحديث التــالى المتفــق عليـــــه :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « يسلم الراكب على الماشى ، والماشى عـلى القاعد ، والقليل على الكثير » أ هـ(١٠) .

ولاهمية السلام فى الدين الاسلامى فقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالاحاديث التى تبين فضل افشاء السلام ، واليك أيها المسلم قبســا من ذلك :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينـــــكم » أ هـ(١١) .

وعن « عبد الله بن سلام » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس أفشوا الســـلام ،

---

(٩) رواه أبـو داود ، والترمذى ، وقال حسن صحيح ، انظـر رياض الصالحين ص ٣٦٩ .

(١٠) متفق عليه انظر رياض الصالحين ص ٣٦٩ .

(١١) رواه مسلم ، انظر رياض الصالحين ص ٣٦٦ .

وأطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » أ هـ[١٢] .

المعنى : بين النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث الشريف أن سبب دخول الجنة بعد الايمان بالله تعالى ، وتنفيذ تعاليم الاسلام فعل هذه الامور الاربعـــة :

الاول : افشــاء الســلام .

الثانى : اطعام الطعام وبخاصة للمحتاجين .

الثالث : الصلاة بالليل والناس نيام ، قال الله تعالى : « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا »[١٣] .

وقال تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافــلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »[١٤] .

الرابع : صلة الارحام :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : « الرحــم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله » أ هـ[١٥] .

---

(١٢) رواه الترمذى ، وقال حســن صحيح ، انظــر رياض الصالحين ص ٣٦٦ .

(١٣) سورة المزمل ١ ـ ٤ .

(١٤) سورة الاسراء ٧٩ .

(١٥) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٥٩ .

وعن « أبى عمارة البراء بن عازب » رضى الله عنه قال :

أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم ، وافشاء السلام ، وابرار المقيم » أ هـ[١٦] .

وعن « عمران بن حصين » رضى الله عنهما قال :

جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس ، فقال النبى ﷺ : « عشر »[١٧] .

ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال : « عشرون » .

ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال : « ثلاثون » أ هـ[١٨] .

المعنى : يستفاد من هذا الحديث أن المبتدىء بالسلام اذا قال : « السلام عليكم » أعطاه الله عشر حسنات .

واذا قال : « السلام عليكم ورحمة الله » أعطاه الله عشرين حسنة، واذا قال : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » أعطاه الله ثلاثين حسنة .

---

(١٦) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ٣٦٦ .
(١٧) أى عشر حسنات .
(١٨) رواه أبو داود ، والترمذى ، وقال حديث حسن ، انظر رياض الصالحين ص ٣٦٧ .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رجلا مر على رسول الله ﷺ وهو فى مجلس فقال : سلام عليكم، فقال : عشر حسنات ، ثم مر آخر فقال : سلام عليكم ورحمة اللـــه ، فقال : عشرون حسنة ، ثم مر آخر فقال : سلام عليكم ورحمة اللـــه وبركاته ، فقال : ثلاثون حسنة ، فقام رجل من المجلس ولم يسلم ، فقال النبى ﷺ : « ما أوشك ما نسى صاحبكم ، اذا جاء أحدكم الى المجلس فليسلم ، فان بدا له أن يجلس فليجلس ، وان قـــام فليسلم ، فليست الاولى بأحق من الآخرة » أ هـ[١٩] .

المعنى : بين النبى صلى الله عليه وسلم فى هذين الحديثين الاجر الذى سيمنحه الله تعالى لمن يبدأ بالسلام فمن قال : « السلام عليكم » فقط أعطاه الله عشر حســـنات .

ومن قال : « السلام عليكم ورحمة الله » أعطاه الله عشرين حسنة .

ومن قال : « السلام عليكم ورحمـــة الله وبركاته » أعطاه اللـــه ثلاثين حسنة .

ثم بين عليه الصـــلاة والسلام أن الســـلام كما شرع أثناء قدوم الانسان على أخيه المسلم ، فهو أيضا شرع أثناء مفارقة الرجل لجلسائه حيث قال : « وان قام فليسلم فليست الاولى بأحق من الآخرة » .

وعن « عبد الله بن الزبير » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « دب اليكم داء الامم قبلكم : البغضاء ،

---

(١٩) رواه ابن حبان ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٦٧٨ .

والحسد ، والبغضاء هى الحالقة ، ليس حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، الا أنبئكم بما يثبت لكم ذلك ؟ أفشوا السلام بينكم » أ هـ[٢٠] ٠

المعنى : كشف هذا الحديث عن الحال التى وصل اليها المسلمون وهى تفشى الكراهية ، والحسد ، فيما بينهم — فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

ثم بين عليه الصلاة والسلام خطورة ذلك حيث قال : « والبغضاء هى الحالقة ، ليس حالقة الشعر ولكن حالقة الدين » ٠

ثم أقسم ﷺ على أن الايمان الحقيقى متوقف على محبة المسلمين بعضهم لبعض ٠

ثم وصف عليه الصلاة والسلام الدواء لهذا الداء الخطير فقال : « ألا انبئكم بما يثبت لكم ذلك أفشوا السلام بينكم » ٠

من هذا يتبين أهمية افشاء السلام فى الدين الاسلامى فافشاء السلام سبب فى دخول الجنان :

فعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « اعبدوا الرحمن ، وأفشوا السلام ، وأطعموا الطعام تدخلوا الجنان » أ هـ[٢١] ٠

---

(٢٠) رواه البزار باسناد جيد ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٦٧٣ ٠

(٢١) رواه الترمذى ، وقال صحيح ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٦٧٤ ٠

فان قيل : ما حكم من أتى على أهله ، أو على قوم فبخل بالسلام، ولم يسلم عليهم ؟

أقول : الذى يفعل ذلك حرم الاجر من الله تعالى : وهذا وأمثاله وصفهم النبى ﷺ با بخل الناس ، يوضح ذلك الاحاديث الآتية :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أعجز الناس من عجز فى الدعاء[٢٢] وأبخل الناس من بخل بالسلام » أ هـ[٢٣] .

وعن « عبد الله بن مغفل » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أسرق الناس الذى يسرق صلاته[٢٤] .

قيل : يا رسول الله وكيف يسرق صلاته ؟ قال : « لا يتم ركوعها ، ولا سجودها ، وأبخل الناس من بخل بالسلام » أ هـ[٢٥] .

وعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنه

أن رجلا أتى للنبى ﷺ فقال : ان لفلان فى حائطى عذقا[٢٦] وانه قد آذانى ، وشق على مكان عذقه[٢٧] فأرسل اليه رسول الله ﷺ فقال : « بعنى عذقك الذى فى حائط فلان ، قال : لا ، قال : فهبه لى » قال : لا،

---

(٢٢) أى قصر فيه فلم يكثر منه ، ولم يطلب من الله جميع حاجاته .
(٢٣) رواه الطبرانى باسناد جيد قوى ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٦٧٩ .
(٢٤) وفى رواية : أسوأ الناس سرقة .
(٢٥) رواه الطبرانى باسناد جيد ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٦٨٠ .
(٢٦) العذق بالفتح : النخلة ، وبالكسر : العرجون بما فيه من الشماريخ .
(٢٧) أى ثقل على مكان وجود عذقه لما يترتب عليه من دخوله الحائط .

قال : « فبعنيه بعذقى الجنة » قال : لا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما رأيت الذى هو أبخل منك الا الذى يبخل بالسلام » أ هـ(٢٨) فيا أيها المسلمون عليكم بافشاء السلام تفوزون بالجنان •

ـــ والله أعلم ـــ

(٢٨) رواه أحمد ، والبزار ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٦٨٠ •

« اماطة الاذى عن الطـريق »

جاء الدين الاسلامى باسمى المبادىء وقــرر لا ضرر ولا ضرار ، ورغب فى كل عمل يدفع الاذى عن المسلمين من ذلك :

« اماطة الاذى عن الطـريق »

وقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالاحاديث التى تبين فضل « اماطة الاذى عن الطريق » أقتبس منها ما يلى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « الايمان بضع وستون[1] أو وسبعون شعبة[2] أدناها[3] أماطة الاذى عن الطـريق[4] وأدفعها[5] قــول : لا اله الا اللـــه » أ هـ[6] .

المعنى : بين النبـى ﷺ فى هذا الحـديث الشريف أن الايمـان ينقسم الى بضع وستين ، أو بضع وسبعين شعبة ، والبضع بكسر الباء وسكون الضاد : من الثلاثة الى التسعة . ثم بين عليه الصلاة والسلام أن أقل هذه الشعب شأنا ازالة كل ما يؤذى المارة فى الطريق مثـل :

---

(١) البضع : بكسر فسكون : من الثلاثة الى التسعة .
(٢) شعبة : بضم فسكون : الطائفة من الشىء ، والقطعة منه .
(٣) أدناها : أى أقلها شأنا .
(٤) أى ازالته .
(٥) أى أفضلها ، وأعظمها شأنا .
(٦) رواه الستة ، أنظر : الترغيب حـ٣ ص ٨٦٠ .

الحجر ، والعظم ، والشوك ، ونحو ذلك وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان الدين الاسلامي يحث دائما على ازالة كل ما من شأنه ايذاء المسلمين • ثم بين ﷺ أن أفضل هذه الشعب ، وأرفعها شأنا قول : « لا اله الا الله » لانكا كلمة التوحيد التي خلق الله الاشياء جميعا من أجلها ، وبعث الرسل ، وأنزل الكتب للدعوة اليها •

وعن « أبي ذر » رضي الله عنه قال :

قال النبي ﷺ : « عرضت على أعمال أمتي : حسنها ، وسيئها ، فوجدت في محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوىء أعمالها النخامة[7] تكون في المسجد لا تدفن » أ ه[8] •

المعنى : اختص الله نبيه « محمدا » ﷺ بأشياء كثيرة ، منها : أن الله تعالى عرض عليه أعمال أمته : حسنها ، وسيئها ، ثم أخبر ﷺ أن من محاسن أعمال الامة المحمدية ازالة الاذى عن الطريق ، ومن مساوىء اعمال البصقة التي تخرج من أقصى الحلق تكون في المسجد ولا تدفن فيتأذى منها المسلمون •

وعن « أبي برزة » رضي الله عنه قال :

قلت : يا نبي الله أني لا أدري نفسي تمضي[9] أو أبقى بعدك فزودني شيئا ينفعني الله به ، فقال رسول الله ﷺ : أفعل كذا ، أفعل كذا ، وأمر الاذى عن الطريق[10] •

---

(٧) النخامة : هي البصقة التي تخرج من أقصى الحلق •
(٨) رواه مسلم ، وابن ماجه ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٨٦١ •
(٩) تمضي : أي تذهب وتموت •
(١٠) أي أذهبه وأبعده •

وفى رواية : قال : « أبو برزة » : قلت : يا نبى الله علمنى شيئا أنتفع به ، قال : اعزل الاذى عن طريق المسلمين » أ هـ[11] .

المعنى سأل الصحابى الجليل « أبو برزة » رسول الله ﷺ أن يدله على شىء يثيبه الله تعالى على فعله ، فأمره النبى عليه الصلاة والسلام بازالة الاذى عن الطريق .

وعن « أبى ذر » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس ، قيل : يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال : « أن ابواب الخير لكثيرة : التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتميط الاذى عن الطريق ، وتسمع الاصم ، وتهدى الاعمى ، وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك » أ هـ[12] .

وزاد البيهقى : وتبسمك فى وجه اخيك صدقة ، واماطتك الحجر والشوكة ، والعظم عن طريق الناس صدقة ، وهديك الرجل فى أرض الضالة لك صدقة » أ هـ[13] .

المعنى : أخبر النبى ﷺ فى هذا الحديث الشريف بأنه على كل انسان صدقة فى كل يوم تطلع عليه الشمس ، فقيل : يا رسول الله ليس كل انسان يستطيع أن يتصدق كل يوم .

---

(١١) رواه مسلم ، وابن ماجه ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٦١ .
(١٢) رواه ابن حبان ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٦٢ .
(١٣) رواه البيهقى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٦٢ .

فقال عليه الصلاة والسلام : « ان أبواب الخير لكثيرة ، ثم أخـذ يعدد أشياء اذ فعلها الانسان أو فعل بعضها أثابه الله عليه ، وأغنت عن الصدقة . وتتمثل هذه الاشياء فيما يلى :

التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، والامـر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، واماطة الاذى عن الطريق ، ورفع الصوت بالكلام كى يسمع ضعيف السمع ، وارشاد الاعمى الى الطريق ، واهداء المستدل الى غرضه وحاجتـه ، واغاثة اللهفـان المستغيث ، ومعاونة الرجـل الضعيف . كل هذه الاشياء من الامور التى تغنى عن الصـدقة ويثيب الله عليها .

وعن « المستنير بن أخضر بن معاوية » عن أبيه قال :

كنت مع « معقل بن يسار » رضى الله عنه فى بعض الطرقات ، فمررنا بأذى فأماطه ، أو نحاه عن الطريق ، فرأيت مثله فأخذته فنحيته ، فأخذ بيدى وقال : يا ابن أخى ما حملك على ما صنعت ؟

قلت : يا عم رأيتـك صنعت شيئا فصنعت مثله ، فقال : سـمعت رسول الله ﷺ يقـول : « من أماط أذى من طريق المسـلمين كتبت له حسنة ، ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة » أ هـ(١٤) .

حقا : انها لبشرى عظيمة يزفها النبى ﷺ لامته حيث أخبر أن من أماط أذى من طريق المسلمين كتبت له حسنة ، ومن تقبل الله منه حسنة واحدة دخل الجنة .

---

(١٤) رواه الطبرانى فى الكبير ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٨٦٣ .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

حدث نبى الله ﷺ بحديث فما فرحنا بشىء منذ عرفنا الاسلام أشد من فرحنا به ، قال : ان المؤمن ليؤجر فى اماطة الاذى عن الطريق ، وفى هداية السبيل[١٥] وفى تعبير عن الارتم[١٦] وفى منحه اللبن[١٧] حتى أنه ليؤجر فى السلعة تكون مصرورة[١٨] فيلمسها فتخطؤها يده » أ هـ[١٩] وزاد البزار : انه ليؤجر فى اتيانه أهله ، حتى أنه ليؤجر فى السلعة تكون فى طرف ثوبه فيلمسها فيفقد مكانها ، أو كلمة نحوها فيحفق بذلك فؤاده، فيردها الله عليه ، ويكتب له أجرها » أ هـ[٢٠] .

المعنى : يخبر « أنس بن مالك » ذلك الصحابى الجليل الذى روى لنا الكثير من هدى النبى عليه الصلاة والسلام «أن النبى ﷺ حدثهم بحديث فرحوا به فرحا شديدا ، وذلك لان الحديث تضمن الاخبار عن العديد من الاعمال التى يثيب الله عليها ، وهى أعمال سهلة وميسورة على من وفقه الله تعالى لفعلها .

وتتمثل هذه الاعمال فيما يلى :

أولا : ازالة الاذى عن الطريق .

ثانيا : ارشاد الضال الى الطريق .

---

(١٥) أى ارشاد الضال الى الطريق .
(١٦) الأرتم : هو الذى لا يفصح ولا يبين عن مراده .
(١٧) بأن يمنح شخصا ناقته أو شاته لينتفع بلبنها ثم يعيدها .
(١٨) أى مربوطة .
(١٩) رواه أبو يعلى ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٨٦٣ .
(٢٠) رواه البزار ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٨٦٤ .

ثالثا : الافصاح عن الكلمات التى يتكلم بها الارتم الذى لا يفصح ولا يكاد يبين عن مراده .

رابعا : أن يعطى الانسان ناقته ، أو شاته كشخص محروم ينتفع بلبنها ابتغاء مرضاة الله تعالى ، ثم يعيدها ثانيا اليه .

وعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها

أن رسول الله ﷺ قال : « خلق كل انسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله ، وحمد الله وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجرا عن طريق المسلمين ، أو شوكة ، أو عظما ، عن طريق المسلمين ، وأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاثمائة ، فانه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » أ هـ(٢١) .

المعنى : اقتضت حكمة الله تعالى أنه خلق فى كل انسان ستين وثلاثمائة مفصل ، والمفصل : كل ملتقى عظمتين من الجسد . وعلى الانسان أن يتصدق كل يوم عن كل مفصل بصدقة شكر الله تعالى على هذه النعم الجليلة ، والخلقة الحسنة التامة التى خلقه الله عليها . ونظرا لانه ليس فى استطاعة كل انسان أن يتصدق كل يوم بستين وثلاثمائة صدقة ، فقد أرشدنا النبى ﷺ الى اعمال سهلة وميسورة ، اذا أداها الانسان خالصة لله تعالى فانها تجزىء عن الصدقة .

وتتمثل هذه الاعمال فيما يلى :

تكبير الله ، وتحميده ، وتهليلة ، وتسبيحه ، واستغفاره ، وازالة الاذى عن الطريق ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . فمن فعل

---

(٢١) روا همسلم ، والنسائى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٦٤ .

هذه الاشياء فقد زحزح نفسه عن النار ، ومن زحزح عن النار فقد فاز بالجنة ورضوان الله .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شــوك فأخره(٢٢) فشكر الله له(٢٣) فغفر الله له » أ هـ(٢٤) .

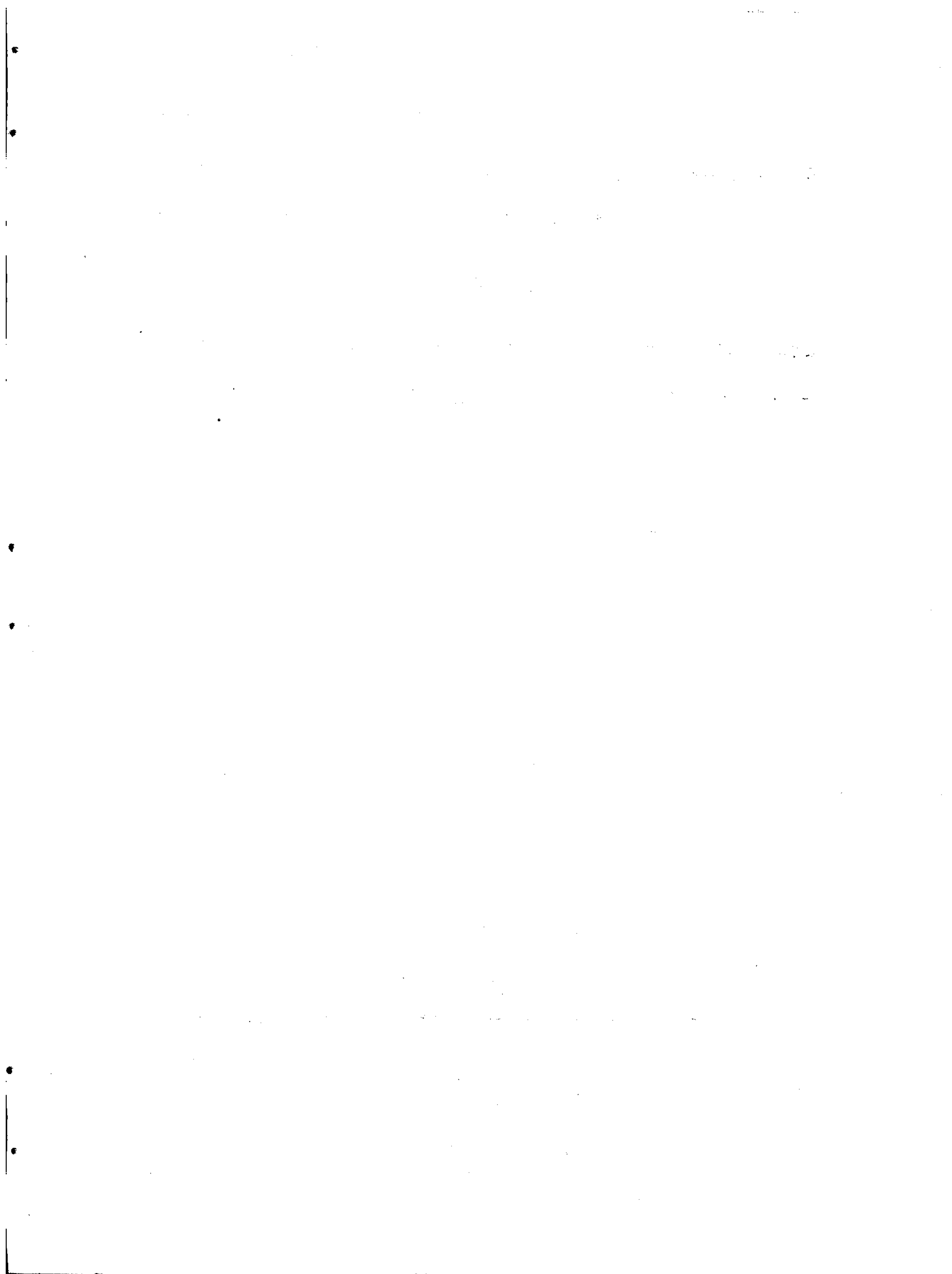
وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

كانت شــجرة تؤذى النــاس ، فأتاها رجــل فعزلها عن طــريق الناس(٢٥) قال : قال نبى الله ﷺ : « فلقد رأيتــه يتقلب فى ظلها فى الجنــة » أ هـ(٢٦) .

ـ والله أعلم ـ

---

(٢٢) أى أبعده عن الطريق .
(٢٣) أى رضى الله عمله هذا وقبله منه .
(٢٤) رواه البخارى ، ومسلم ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٨٦٥ .
(٢٥) أى أزالها وأبعدها .
(٢٦) رواه أحمد ، وأبو يعلى انظر الترغيب حـ ٣ ص ٨٦٦ .



« الامر بالمعروف والنهى عن المنكر »

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أفضل القربات التى يتقرب بها الى الله تعالى .

ولعظم شأن ذلك فقد أثنى الله على من دعا الى سبيله ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقال تعالى :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »(١) .

والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر من مهمة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، فمن أخذ بذلك فقد أخذ بحظ وافر ، استمع الى قول الله تعالى :

« لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما »(٢) .

ولعظم شأن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالاحاديث التى ترغب فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتبين فضل القائمين بهذه المهمة الجليلة واليك أيها المسلم قبسا من تلك الاحاديث :

---

(١) سورة فصلت ٣٣ .

(٢) سورة النساء ١١٤ .

فعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكر فليغيره بيده، فـــان لم يستطع فبلســـانه ، فان لم يستطع فبقلبـــه ، وذلك أضعف الايمـــــان » أ هـ(٣) .

المعنى : بين النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث مراتب النهى عن المنكر وهى ثلاثة :

الاول : اذا رأى الانسان شيئا لا يتفق ومنهج الاسلام سواء كان قولا أو فعلا فعليه أن يغيره بيده ، أى بالضرب ، ونحو ذلك ، ولعل هذه المرتبة خاصة بالحكام ، والامراء ، وأولياء الامور ، ومن على شـــاكلتهم .

والثانية : اذا لم يستطع الانســـان تغيير ذلك المنكر بيـــده لسبب من الاسباب فعليه أن يغيره بلسانه ، أى بالزجر ، أو بالموعظـــة الحسنة ، أو ببيان أن هذا العمل لا يتفق ومنهج الاســـلام ولعل هذه المرتبة خاصة بالوعاظ ، والخطباء ، وأمثالهم .

والثالثة : اذا لم يستطع الانسان أن يغير ذلك المنكر لا بيده ولا بلسانه لسبب من الاسباب فعليه أن ينكر بقلبه على ذلك القول ، أو الفعل المخالف لمنهج الاســـلام .

ولعل هذه المرتبة عامة تشمل جميع المسلمين وهى المرتبة الاخيرة ، وقد وصفها النبى ﷺ بأنها أضعف خصال الايمان .

---

(٣) رواه مسلم ، وابن ماجه ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٣٨٧ .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال :

بايعنا رســول الله ﷺ على السمع والطاعــة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره[٤] وعلى أثره علينا[٥] وأن لا ننازع الامر أهله[٦] الا أن تروا كفرا تواحا[٧] عندكم من الله فيه برهان[٨] وعــلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم » أ هـ[٩] .

المعنى : يقول الصحابى الجليل « عبادة بن الصامت » رضى اللــه عنه : بايعنا رسول الله ﷺ على الامور الاربعة الآتية بعد فى الحديث .

والمبايعة توجب الالتزام بما تمت المبايعة عليه ، وذلك فيما يلى :

الاول : على أن نسمع لرسول الله ﷺ ونطيع أمره فى جميع الاحــوال بما فى ذلك حالتى الشدة والرخاء ، وفى حــالة نشاطنا ، أو عجزنا عن العمل بما نؤمر به .

والثانى : أن نؤثره على أنفسنا وأن نفضله على كل شىء .

والثالث : أن لا نشق عصا الطاعة لمن ولاهم الله أمرنا ، ولا ننازعهم ذلك الذى هم أهله .

---

(٤) أى فى حال نشاطنا ، وفى حال عجزنا عن العمل بما نؤمن به .

(٥) الأثرة بفتح الهمزة والثاء : الاسم من آثريوثر ايثارا ، أى بايعناه على ايثاره ، وتفضيله ، واختيار حكمه ، واتباع سنته .

(٦) أى وعلى أن لا نشق عصا الطاعة لمن ولاهم اللــه أمرنا ولا ننازعهم ذلك الأمر الذى هم أهله .

(٧) بواحا : أى جهارا ، من باح بالشىء اذا أعلنه .

(٨) أى حجة ودليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(٩) رواه البخارى ومسلم ، انظر : الترغيب حـ ٣ ص ٣٨٨ .

والرابع : أن نلتزم القول بالحق فى أى مكان ، وعلى أى حال لا يثنينا عنه شىء ، وأن لا نخاف فى سبيل الله انكار منكر ، ولا نبالى بسخط أحد فى مقابل رضا الله تعالى .

ويلزم من القول بالحـــق مهما كانت الظـــروف والملابسات الامـــر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، الذى جاء به منهج الاسلام ، وحث عليه النبى عليه الصلاة والسلام .

وعن « أبى ذر » رضى الله عنه :

أن ناسا قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ أن بكل تسبيحة صـــدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وأمـــر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة » أ هـ(١٠) .

ان فى قول النبى عليه الصلاة والسلام : « وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، دليلا واضحا على فضل الامر بالمعروف والنهـــى عن المنـــكر .

وعن « النعمان بن بشير » رضى الله عنهما

عن النبى ﷺ قال : « مثل القائل فى حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا عـــلى من من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم

---

(١٠) رواه مسلم وغيره ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٣٨٩ .

وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان اخــذوا على أيديهم نجــوا ونجــوا جميعا » أ هـ[11] .

ففى قوله ﷺ : « وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجــوا جميعا » دليل واضح على فضل النهى عن المنكر .

وعن « أبن مسعود » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون[12] وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مــالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهــو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خـــردل » أ هـ[13] .

المعنى : أخبر ﷺ بأنه ما من نبى الا وله حــواريون أى نصراء لدعوته ، ومعينون له ، ثم بعد ذلك يأتى أناس يخالفون منهج الاســلام فيقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم هــؤلاء المخالفين لمنهج الاسلام بأن أخذ على أيديهم فأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر فهو مؤمن ، وقد بين عليه الصلاة والسلام بأن أنواع جهاد هؤلاء المخالفين لتعاليم الاسلام ثلاثة :

الاول : الجهاد باليد لمن يستطيع ذلك وهو خاص بالحكام ومن عــلى شــاكلتهم .

---

(١١) رواه البخارى والترمذى ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٣٩١ .
(١٢) الحوارى : هو الناصر للرجل ، والمختص به ، والمعين له .
(١٣) رواه مسلم ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٣٩٢ .

والثانى : الجهاد باللسان ، أى بالكلمة الطيبة ، والحكمة والموعظة الحسنة ، وهو خاص بالعلماء ، والخطباء ، والوعاظ ، ومن على شاكلتهم .

والثالث : الجهاد بالقلب ، أى بالانكار عليهم بالقلب وهذه آخر مرتبة من مراتب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وليس بعدها حبة خردل من الايمان .

وهذه المراتب الثلاث سبق الحديث عنها فى حديث « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه .

وعن « ابن مسعود » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون »(١٤) .

ثم قال : « كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ،

---

(١٤) سورة المائدة ٧٨ ـ ٨١ .

ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحــق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم » أ هـ[15] .

المعنى : أخبر النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث بأن أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل ، أن العالم بأمور الدين منهم كان يلقى الرجل المخالف لتعاليم دينه فيقول له : يا هذا اتق الله ودع مــا تصنع،أى اترك عملك الفاسد فانه لا يحل لك ذلك ، ثم بعد ذلك يصادقه مع اقترانه للمعاصى ولا ينكر عليه ، وكان نتيجة ذلك أن طردهم الله من رحمته وسجل عليهم لعنته بقوله : « لعــن الذين كفروا من بنــى اسرائيل على لســان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصــوا وكانوا يعتدون » الـــخ الآيات .

ثم أقسم النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

« لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظــالم ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم يلعنكم كما لعنهم » أ هـ .

فهذا الوعيد الشديد المترتب على ترك الامر بالمعروف والنهى عــن المنكر ، يدل دلالة واضحة على أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى منهج الاســـلام .

وعن « أبى بكر الصديق » رضى الله عنه قال :

يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية :

---

(١٥) رواه أبو داود ، انظر : رياض الصالحين ص ١٠٥ .

« يا أيهـا الذين آمنـوا عليكم أنفسـكم لا يضركم من ضـل اذا اهتديتم »[١٦] .

وأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الناس اذا رأوا الظـالم فلم يأخذوا على يديه[١٧] أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه »[١٨] .

المعنى : روى « ابن كثير » أن « أبا بكر » رضى الله عنـه خطب فى الناس فقال : يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » وانكم تضعونها فى غير موضعها وانى سمعت رسول الله ﷺ يقـول : «أن الناس اذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب»أ هـ.

وفى حديث « أبى تعلبة الخنشى » قال : لقد سألت عنها خبيرا ، أى عن هذه الآية ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك » .

وعن « سعيد بن المسيب » قال :

اذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنـكر فلا يضركم من ضـل اذا اهتديتم » أ هـ[١٩] .

---

(١٦) سورة المائدة ١٠٥ .

(١٧) أى يمنعوه من ارتكاب الظلام .

(١٨) رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، انظر رياض الصالحين ص ١٠٦ .

(١٩) انظر : التفسير الواضح حـ ٧ ص ٢٢ .

وعن « حذيفة » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » أ هـ(٢٠) .

فمن ينعم النظر فى العقوبة المترتبة على ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يتبين له بجلاء أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شريعة الاسلام .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « الاسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتسليمك على أهلك ، فمن انتقص شيئا منهن فهو سهم من الاسلام يدعه ، ومن تركهن فقد ولى الاسلام ظهره » أ هـ(٢١) .

المعنى : بين النبى ﷺ فى هذا الحديث الشريف أن الاسلام مبنى على سبعة قواعد :

الاولى : أن الانسان يعبد الله تعالى عبادة خالصة من شوائب الشرك والرياء ، كما قال تعالى « قل أن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »(٢٢) .

---

(٢٠) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، انظر رياض الصالحين ص ١٠٤ .

(٢١) رواه الحاكم ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٤٠٢ .

(٢٢) سورة الانعام ١٦٢ ـ ١٦٣ .

الثانية : أن يقيم الانســـان الصلاة لله تعـــالى ويؤديها تامة بشروطها وأركانهـــا .

الثالثة : أن يؤدى الانسان الزكاة الواجبة عليه فى أمواله اذا ما توفرت فيها شروط الوجـــوب .

الرابعة : أن يصوم الانسان شهر رمضان بحيث يكون صومه متفقـــا ومنج الاســـلام .

الخامسة : أن يحج الانسان بيت الله الحرام ، اذا ما توفـــرت شروط وجوب الحج كما هو موضح فى الشريعة الاسلامية .

السادسة : أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر على قدر طاقته ، ولو ينكر بقلبه .

السابعة : أن يلقى على أهل بيته السلام كلما دخل عليهم البيت .

ثم أخبر عليه الصلاة والسلام أن من انتقص شيئا من هذه القواعد فهو سهم من الاسلام يدعه ، ومن تركهن — والعياذ بالله تعالى — فقد ولى الاسلام ظهره ، أى نبذه وطرحه وراء ظهره .

والحديث التالى بين أن الاسلام ثمانية أسهم وقد خاب وخسر من لا سهم له .

فعن « حذيفة » رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : الاسلام ثمانيـــة أســـــــهم :

الاسلام سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ،

وحج البيت سهم ، والامر بالمعروف سهم ، والنهى عن المنكر سهم ، والجهاد فى سبيلُ الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » أ هـ(٢٣) .

من هذين الحديثين المتقدمين يتبين لنا أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الشريعة الاسلامية . والله سبحانه وتعالى فضل الامـة الاسلامية على سائر الامم المتقدمة ، لانها تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، يشير الى ذلك قول الله تعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٢٤) .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قــال :

« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنـكر » أ هـ(٢٥) .

المعنى : الدين الاسلامى دين تعاطف ، وتراحـم ، وتقدير ، وتوقير ، ولذا نجد النبى عليه الصلاة والسلام يقول فى هذا الحديث : « ليس على هدينا وطريقتنا الكاملة الذى لا تتوفر فيه الخصال الآتية :

الاولى : الذى لا يرحم الصغير ولا يرق له قلبه ، فالصغير عادة ضعيف ويحتاج الى عطف الكبير .

والثانية : الذى لا يوقر الشيخ الكبير الذى تقدمت به السن .

---

(٢٣) رواه البزار ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٤٠٣ .
(٢٤) سورة آل عمران ١١٠ .
(٢٥) رواه أحمد ، والترمذى ، انظر : الترغيب حـ ٣ ص ٤٠٤ .

والثالثة : الذى لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر .

فكون الذى لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر ، ليس سائرا على هدى النبى عليه الصلاة والسلام ، دليل قاطع على أهمية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الشريعة الاسلامية .

ولذا فقد قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[٢٦] .

وعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « اياكم والجلوس فى الطرقات ، فقالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « فاذا ابيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : «غض البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر » أ هـ[٢٧] .

ومما جاء فى فضل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الحديثان الآتيان :

فعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » أ هـ[٢٨] .

---

(٢٦) سورة آل عمران ١٠٤ .
(٢٧) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٠٣ .
(٢٨) رواه أبو داود والترمذى ، باسناد حسن ، انظر الرياض ص ١٠٤

وعن « أبى عبد الله طارق بن شهاب البجلى » رضى الله عنه

أن رجلا سأل النبى ﷺ وقد وضع رجله فى الغرز : أى الجهاد أفضل ؟ قال : « كلمة حق عند سلطان جائر » أ هـ(٢٩) .

المعنى : أخبر النبى عليه الصلاة والسلام فى هذين الحديثين بأن أفضل الجهاد ، وأعلاه منزلة عند الله تعالى كلمة عدل ، أو حق ، يقولها الانسان لسلطان جائر ، والمراد أن يقدم له النصيحة فيأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ابتغاء رضوان الله تعالى :

— والله أعلم —

(٢٩) رواه النسائى باسناد حسن ، انظر الرياض ص ١٠٤ .

« بر الوالدين »

جاء الدين الاسلامى بالدعــوة الى حسن العلاقة بين الافــراد ، والاسر ، والجمــاعات ، وفى مقدمة كل ذلك صلة الانســـان بوالديه . ولاهمية هذه العلاقة فقد جاء كل من : الكتاب ، والسنة ، بالوصية على الوالدين ، مع بيان فضل برهما .

فمن الكتاه قول الله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شــيئا وبالوالدين احســانا »(١) .

وقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهماوقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(٢) .

وقوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا »(٣) .

وقوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير »(٤) .

---

(١) سورة النساء ٣٦ ٠
(٢) سورة الاسراء ٢٣ ــ ٢٤ ٠
(٣) سورة العنكبوت ٨ ٠
(٤) سورة لقمان ١٤ ٠

وقوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا »(٥) .

ومن ينعم النظر فى هذه النصوص القرآنية يجدها كلها تفيد تأكيد الامر ببر الوالدين ، والاحسان اليهما : فآية سورة النساء صدرت بقول الله تعالى : « واعبدوا » وهو فعل أمر ، والامر هنا للوجوب ، أى أن الاحسان للوالدين واجب لا مفر منه . وآية سورة الاسراء صدرت بقول الله تعالى : « وقضى ربك » وهذه المادة أى مادة القضاء تفيد الوجوب أيضا ، لانه قضاء من الله الحكيم الخبير الذى لا راد لقضائه .

والآيات الثلاث المتبقية صدرت بقول الله تعالى : « ووصينا » والوصية هنا للوجوب والالزام ، أى يجب على كل انسان أن يحسن الى والديه . ومن السنة المطهر الاحاديث الآتية :

فعن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها » .

قلت : ثم أى ؟

قال : « بر الوالدين »

قلت : ثم أى ؟

قال : « الجهاد فى سبيل الله » أ هـ(٦) .

---

(٥) سورة الاحقاف ١٥ .

(٦) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ١٥٥ .

المعنى : كان صحابة رسول الله ﷺ يسألونه عما يعود عليهم بالنفع دنيا وأخرى .

ولما سأله « عبد الله بن مسعود » عن أى العمل أحب الى الله تعالى قال : ثلاثة أمور وهى حسب هذا الترتيب :

الاول : أداء الصلاة المفروضة فى وقتها المحدد لها شرعا .

الثانى : بر الوالدين .

الثالث : الجهاد فى سبيل الله

ومما يدل على اهتمام الدين الاسلامى ببر الوالدين أن النبى ﷺ جعله فى المرتبة الثانية بعد الصلاة وقبل الجهاد .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

« جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : « يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟

قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » أ هـ[٧] .

المعنى : هذا لون آخر من الاسئلة التى كان يوجهها الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام كى يجيب عليها ليتعلموا من هديه ﷺ الامور التى جاء بها الدين الاسلامى الحنيف .

ولما سأل ذلك الصحابى الرسول ﷺ عن من أحق الناس بحسن

---

(٧) متفق عليه ، انظر ، رياض الصالحين ص ١٥٦ .

الصحبة ؛ قال له النبى عليه الصلاة والسلام : « أمك » هى أحق الناس بحسن صحابتك ، لانه ليس هناك فرد فى الوجود قاسى من الآلام مثل ما قاسته « الأم » فى سبيل تربية ولدها منذ حمله الى أن يصير رجـلا كامل الرجـولة .

يشير الى ذلك قول الله تعالى : « حملته أمه وهنا على وهن »(٨) .

وكرر الصحابى السؤال ثلاث مرات والنبى ﷺ يقول له : « أمك » وفى الرابعة قال له : « أبوك » .

وهذا أن دل على شىء فانما يدل على مدى اهتمام الاسلام بالاحسان الى الوالدين ، وبخاصة « الام » .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : «من سره أن يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه، فليبر والديه وليصل رحمه » أ هـ(٩) .

المعنى : الله الذى بيده ملكوت كل شىء جعل لكل شىء سببا ، وربط الاسباب بالمسببات ، مثال ذلك : أنه جعـل الاستغفار سببا فى نزول المطر ، وزيادة الرزق ، والولد .

يشير الى ذلك قول اللـه تعالى : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنـات ويجعل لكم أنهـارا »(١٠) .

---

(٨) سورة لقمان ١٤ .
(٩) رواه أحمد ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٥٢٦ .
(١٠) سورة نوح ١٠ ـ ١٢ .

كما جعل بر الوالدين سببا فى طول العمر ، وزيادة الرزق حسبما صرح بذلك الحديث الشريف . وهذا ان دل على شىء فانما يدل على فضل بر الوالدين .

وعن « أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى » رضى الله عنه قال :

بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ اذ جاء رجل من « بنى سلمه »[11] فقال : يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟

قال : نعم الصلاة عليهما[12] والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما ، واكرام صديقهما » أ هـ[13] .

المعنى : جاء رجل من الانصار من بنى سلمة يسأل النبى عليه الصلاة والسلام هل بقى عليه من بر والديه شىء بعد موتهما ؟

وهذا سؤال فى غاية الاهمية ، لانه لازال هناك الكثيرون من الناس يظنون أن بر الوالدين قد انتهى بموتهما .

فأجابه النبى ﷺ بقوله : « نعم » بقى عليك من بر والديك خمسة أمور :

الاول : الدعاء لهما بالرحمة عملا بقول الله تعالى : « وقل رب أرحمهما كما ربيانى صغيرا »[14] .

---

(١١) وهم بطن من الأنصار .
(١٢) والمراد بالصلاة هنا : الدعاء لهما بالرحمة .
(١٣) رواه ابن ماجه ، وابن حبان ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٥٣٥ .
(١٤) سورة الاسراء ٢٤ .

الثانى : طلب المغفرة لذنوبهما من الله عز وجل .

الثالث : انفاذ عهدهما ، والمراد انجازه ، والوفاء به .

الرابع : صلة الرحم التى لها صلة قرابة بالوالدين .

الخامس : اكرام صديقهما ، بمعنى أن الانسان يحب من كان يحبه والداه ، ويقوم لهم بمثل ما كانا يقومان به من الاكرام ونحوه .

وأعلم أيها المسلم أن بر الوالدين واجب حتى ولو كانا على غير الدين الاسلامى — والعياذ بالله تعالى — يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « اسماء بنت أبى بكر » رضى الله عنها قالت :

قدمت على أمى[15] وهى مشركة على عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت على أمى وهى راغبة[16] أفأصل أمى ؟

قال : « نعم صلى أمك » أ هـ[17] .

ان منهج الاسلام من أسمى المناهج التى قدمت لاصلاح المجتمعات منذ بدء التاريخ ، بل الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، لانه منهج الله العزيز الحكيم ، أقرأ قول الله تعالى فى هذا المقام ، أى مقام بر الوالدين ، حتى ولو كانا مشركين :

---

(١٥) واسمها قتيلة من بنى عامر بن لؤى .
(١٦) أى عن الاسلام ، وباقية على الشرك .
(١٧) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٦٠ .

« وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به عـــلم فلا تطعهمــا وصاحبهما فى الدنيا معروفا »[18] . بل نجد منهج الاسلام أســمى من كل شىء حيث ربط اللــــه رضاه برضــا الوالدين ، وسخط اللــــه بسخطهما ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « رضا الله من رضا الوالدين ، وسخط الله فى سخط الوالدين » أ هـ[19] .

وعن « عبد الله بن عمر بن الخطاب » رضى الله عنهما قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى « غار » فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا ، انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم :

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، كنت لا أغبق قبلهما أهـــلا ولا مـــالا[20] فنـــأى بى طلب الشجر يوما فـــلم أرح عليهما[21] حتى ناما ، فجلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت ـــ والقدح عـــلى يدى ـــ انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصبية يتضاغون عند

---

(١٨) سورة لقمان ١٥ .

(١٩) رواه ابن حبان والحاكـم وقالا : صحيح على شرط مسلم انظـر الترغيب حـ ٣ ص ٥٣٤ .

(٢٠) أى لا أقدم فى الشرب قبلهما أهلا ولا مالا من دقيق .

(٢١) أرح : بضم الهمزة وكسر الراء ، أى أرجع .

قدمى[٢٢] فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصـــخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخـــروج منه .

وقال آخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الى ، فأردتها عن نفسها فامتنعت منى ، حتى ألمت بها ســـنة من السنين ، فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها، ففعلت ، حتى اذا قدرت عليها قالت :

اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى ، وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيـــه ، فأنفرجت الصخـــرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، وأعطيتهم أجرهم غـــير رجل واحـــد ترك الذى له وذهب ، فثمـــرت أجره حتى كثرت منـــه الاموال ، فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أد الى أجرى ، فقلت : كل مـــا ترى من أجرك من الابل والبقـــر والغنم والرقيق ، فقـــال : يا عبد الله لا تستهزىء بى ، فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كلـــه فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » أ هـ[٢٣].

---

(٢٢) يتضاغون : يصيحون من الجوع .

(٢٣) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٩ .

« الجهـاد فى سبيل اللـه »

الجهاد : مصدر جـاهد ، بمعنى بذل وسعه • وهـو مأخوذ من « الجهد » بمعنى المشقة ، أو بمعنى الطاقة والاستطاعة ، يقـال : بذل فى الامـر جهده ، كما قـال تعالى : « وأقسـموا بالله جهـد ايمانهم »[1] • أى بالغوا فى اليمين ، واجتهدوا • ولم يشرع الجهاد الا بعد هجرة النبى ﷺ من مكة الى المدينة :

فقد كان المسلمون فى مـكة مأمورين بأن يكفوا أيديهم ويقابلوا آذى المشركين بالصبر • ولما هاجـروا الى المدينة ، وانضـموا الى الانصار قويت شوكتهم ، واشتد سـاعدهم ، عندئذ أذن اللـه لهم بالقتال انتقاما ممن ظلمهم بمكة ، فقال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »[2] •

ثم بعد ذلك فرض الله عليهم قتال من اعتدى عليهم ، فقال تعالى: « وقـاتلوا فى سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان اللـه لا يحب المعتـدين »[3] •

ثم بعد ذلك فرض الله قتال الكفار كافة فقال : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة »[4] •

---

(١) سورة الانعام ١٠٩ •
(٢) سورة الحج ٣٩ •
(٣) سورة البقرة ١٩٠ •
(٤) سورة التوبة ٣٦ •

وقد جاء فى فضل الجهاد ، والحث عليه ، والترغيب فيه الكثير من الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية :

فمن الآيات القرآنية قول الله تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتـــلون وعدا عليه حقا فى التـــوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »[٥] .

هذه الآية الكريمة نزلت فى بيعة العقبة الكبرى ، وكان فيهـــا من الانصار نيفا وسبعين رجلا ، وذلك أنهم اجتمعوا الى رسول اللـــه ﷺ عند العقبة ، فقال « عبد الله بن رواحة » : رضى اللل عنه للنبى ﷺ : « اشترط لربك ولنفسك ما شئت » فقال النبى ﷺ : « أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم » أ هـ

قالوا : فاذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : « الجنة » قالوا : « ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل » .

فنزلت هذه الآية : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » الـــخ[٦] .

المعنى : ان الله تعالى قد اشترى من المؤمنين أنفسهم التى خلقها،

---

(٥) سورة التوبة ١١١ .

(٦) انظر : أسباب النزول للسيوطى ص ١٢٦ ط بيروت .

وأموالهم التى رزقهم اياها بأن لهم الجنة الثابتة لهم • وكأن سائلا قال : وكيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة ؟

فقيل : يقاتلون فى سبيل الله باذلين النفس والنفيس من المال وغيره فيكون منهم أحد أمرين :

اما قتل للاعداء ، واما استشهاد فى سبيل الله ، فلا فرق بين القاتل والمقتول ما دام القتال لله وحده ، ولاعلاء كلمة الله • وقد وعدهم الله ذلك ، ووعده تعالى محقق وثابت فى كل من : التوراة ، والانجيل ، والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟

ومن أصدق من الله قيلا ؟

واذا كان الامر كذلك فاستبشروا أيها المجاهدون وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة مثوبة من الله وفضلا على بيعكم أنفسكم وأموالكم لله ، وذلك هو الفوز العظيم •

وقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين »(٧) •

ذكر العلماء أن سبب نزول هذه الآيات أن نفرا من أصحاب

---

(٧) سورة الصف ١٠ ــ ١٣ •

رسول الله ﷺ قالوا : لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله لعملنا به . فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » الخ[٨] .

المعنى : يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة عظيمة الشأن كثيرة الربح ؟

تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله ابتغاء مرضاته بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم الايمان والجهاد خير لكم من كل شىء حيث يغفر الله لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم ، والربح الكثير .

وقد جاء فى فضل الجهاد أحاديث نبوية كثيرة أقتبس منها ما يلى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

سئل رسول الله ﷺ : أى الاعمال أفضل ؟

قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟

قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور » أ هـ[٩] .

لقد بين النبى ﷺ فى هذا الحديث الشريف المتفق عليه أن أفضل الاعمال ، وأعلاها منزلة عند الله تعالى : الايمان بالله تعالى ورسوله ، ثم الجهاد فى سبيل الله ، ثم الحج المبرور .

---

(٨) انظر : أسباب النزول للسيوطى ص ٢١٢ .

(٩) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٤٩٧ .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض » أ هـ(١٠) .

ان نعيم الجنة دائم لا ينقطع أبدا ، وأهل الجنة متفاوتون فيما أعده الله لهم من النعيم ، حسب درجاتهم ومنزلتهم عند الله تعالى ، وان كان الجميع سعداء بما أعده الله لهم فلا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين .

ان المجاهدين نظرا لانهم باعوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى فقد كافأهم الله وأعد لهم فى الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض ، فنعم أجر العاملين .

وعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه قال :

أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : أى الناس أفضل ؟

قال : مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ،

قال : ثم من ؟ قال : مؤمن فى شعب من الشعاب(١١) يعبد الله ويدع الناس من شره » أ هـ(١٢) .

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ يسألونه أحيانا عن أفضل الاعمال كى يسارعوا الى فعلها ، وتارة يسألونه عن أفضل الناس كى يحاول

---

(١٠) رواه البخارى ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٠١ .
(١١) الشعب بكسر الشين وسكون العين : الطريق فى الجبل .
(١٢) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٤٩٨ .

كل منهم أن يحوز هذا الشرف العظيم بالعمل المطـابق للصفة التى بينها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفى هذا الحديث الشريف بين الرسول ﷺ أن أفضل الناس أحد رجلين :

الاول : مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل اللل .

الثانى : مؤمن يقيـم فى شعب من الشعاب يعبد الله تعـالى ويدع الناس من شره .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

« مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب[13] فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقال : « لا تفعل فان مقام أحدكم[14] فى سبيل الله تعالى أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، ألا تحبون يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة ؟ أغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فـواق ناقة[15] وجبت له الجنة » أ هـ[16] .

المعنى : لقد دل هذا الحديث الشريف على أن بعض المسـلمين الذين صفت نفوسهم ، وخلصت نياتهم لله تعالى يتمنون دائما المزيد من القـرب من الله تعـالى حتى ولو كان ذلك يترتب عليه اعتـزال

---

(١٣) الشعب بكسر الشين وسكون العين : الطريق فى الجبل .

(١٤) مقام بفتح الميم مصدر ميمى بمعنى القيام ، وبضم الميم اسمه مكان بمعنى مكان الاقامة .

(١٥) الفواق بفتح الفاء ، الوقت بين الحلبتين .

(١٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٧٢ .

الناس ، والبعد عن زخارف الدنيا : فهذا الصحابى الجليل لما رأى هذا الشعب الذى فيه عيينة ماء تاقت نفسه أن يقيم فى هذا الشعب يعبد الله تعالى بعيدا عن ملذات الدنيا وما فيها من زخارف وشهوات •

ولكنه ما أراد أن يفعل ذلك الا بعد استشارة رسول الله ﷺ ، وتلك كانت عادة المسلمين الاوائل رضوان الله عليهم أجمعين •

فلما طلب ذلك الصحابى من رسول الله ﷺ الاذن له فى أن يخلو بنفسه فى هذا الشعب قال له نبى الاسلام : « لا تفعل هذا ، وسأدلك على عمل هو أفضل من صلاتك فى بيتك سبعين مرة ، ويغفر الله تعالى لك بسببه ، ويدخلك الجنة ، ذلك العمل هو الجهاد فى سبيل الله ، يرشد لذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحدتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم »(١٧) •

كما يرشد الى فضل الجهاد الاحاديث الآتية :

فعن « عمران بن حصين » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « مقام الرجل فى الصف فى سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة » أ هـ(١٨) •

---

(١٧) سورة الصف ١٠ ـ ١٢ •
(١٨) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى أنظر الترغيب حـ٢ ص ٤٧٣ •

لقد بين النبى ﷺ فى هذا الحديث بعض الاجر والثواب العظيم الذى سيمنحه الله تعالى لعباده المجاهدين ، حيث أن أجر مقام الرجل فى الصف لقتال الكفار أفضل من عبادة ستين سنة ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟
قال : « لا تستطيعونه ، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه ، ثم قال : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله ، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » أ هـ(١٩) .

نعم : ان الجهاد لمنزلة عالية ، ومرتبة رفيعة ، ولا يوفق اليه الا من سبقت له السعادة فى الأزل ، اذ الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، كما قال تعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين »(٢٠) .

والصحابة رضوان الله عليهم حينما سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم العمل الذى يعدل ثواب المجاهد قال لهم الرسول ﷺ : انكم لا تستطيعون ذلك .

---

(١٩) رواه البخارى ومسلم ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٧٣ .
(٢٠) سورة آل عمران ١٦٩ ـ ١٧١ .

ولما ألحوا عليه فى الطلب قال : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صـــلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » أ هـ .

وعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « من رضى بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا ، وجبت له الجنة » .

فعجب لها « أبو سعيد » فقال : أعدها على يا رسول الله ، فأعادها عليه ، ثم قال :[21] وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة فى الجنة مـــا بين درجتـــين كما بين الســـماء والارض ، قـــال :[22] وما هـــى يا رســـول الله ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » أ هـ[23] .

المعنى : لقد أخبر النبى ﷺ فى هذا الحديث بأن من رضى باللـــه تعالى رباً ، بمعنى أنه يوقن بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ويرضى بقضاء الله ، ويسلم لامره ، ويقبل الاسلام دينا ، وذلك بأن يعلم أن الاسلام هو خير الاديان وأنه خاتمتها جميعا وأنه الدين الذى لا يقبل الله من أحد غيره كما قال تعالى :

« ومن يبتغ غير الاســـلام دينا فلن يقبل منـــه وهو فى الآخـــرة من الخاسرين »[24] ويؤمن بأن « محمدا » ﷺ نبى الله ورسوله ، وجبت له الجنة » فلما سمع « أبو سعيد الخدرى » راوى الحديث ذلك من

---

(٢١) أى النبى عليه الصلاة والسلام .
(٢٢) أى أبو سعيد الخدرى .
(٢٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى ، انظر الترغيب حـ٢ ص٤٧٨ .
(٢٤) سورة آل عمران ٨٥ .

رسول الله عليه الصلاة والسلام طلب منه أن يعيد عليه الكلام تلذذا به ، حيث أن من أغراض الاطنـــاب فى الحديث التلذذ بما يســـمعه الانسان ، فقال له النبى ﷺ : « وسأدلك على أمر يرفع الله به منزلة العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض ، وهو الجهاد فى سبيل الله .

وعن « أبى بكر بن أبى موسى الاشعرى » رضى الله عنهما

قال : سمعت أبى وهو يحضره العدو ويقول : قال رسول الله ﷺ : « ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف ، فقام رجــل رث الهيئة[٢٥] فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ؟ قال : نعم فرجــع الى أصحابه فقال : أقرأ عليكم الســلام ، ثم كسر جفــن ســيفه[٢٦] فألقـــاه ثم مشى بســيفه الى العــدو فضرب بـــه حتى قتـــــل » أ هـ[٢٧] .

نعـــم : لقد كان صحابة رسول اللـــه ﷺ أحرص النـــاس على الاســـتشهاد فى سبيل الله من أجــل اعلاء كلمة الله ، فبهـــم انتشر الاســـلام حتى عم نوره مشـــارق الارض ومغاربها ، ولما علم اللـــه تعالى صدق نيتهم ، وقوة عزيمتهم مكن لهم فى الارض مصداقا لقول الله تعـــالى :

« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصـــلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامـــور »[٢٨] .

---

(٢٥) رث الهيئة : أى بالى الثياب .
(٢٦) الجفن : بفتح الجيم وسكون الفاء : غمد السيف .
(٢٧) رواه مسلم والترمذى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٨٢ .
(٢٨) سورة الحج ٤١ .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

انطلق رسول الله ﷺ ، وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى « بدر » وجاء المشركون ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « قوموا الى جنة عرضها السموات والارض »

قال « عمير بن الحمام »[٢٩] :

يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض ؟

قال : نعم ، قال : بخ بخ[٣٠] .

فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ فقال : لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : « فانك من أهلها » فأخرج تمرات من قرنه[٣١] فجعل يأكل منهن ، ثم قال : ان أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل رضى الله عنه » أ هـ[٣٢] .

حقا : انه لمثل رائع من أمثلة البطولة والشجاعة الذى ضربه « عمير بن الحمام » ذلك الصحابى الجليل ، فما أن سمع بشرى رسول الله ﷺ بالجنة التى أعدها الله تعالى للشهداء حتى فرح واستبشر ، وتمنى أن يكون من أهل الجنة ، ولشدة فرحه وسروره بلقاء الله تعالى ، ومشاهدة ما أعده الله للمجاهدين ألقى التمرات التى كانت معه دون أن يتم أكلها وقال كلمته المشهورة التى وردت فى أرجاء

---

(٢٩) وهو من بنى سلمة .
(٣٠) بخ بخ : كلمة تقال عند المدح والرضا بالشىء وتكرر للمبالغة .
(٣١) القرن من الانسان : موضعه من رأسه .
(٣٢) رواه مسلم ، انظر الترغيب جـ ٢ ص ٤٨٣ .

الارض ، ولازال الخطباء والكتاب والمتحدثون يتناقلونها حتى الآن ، فقال : « ان انا حييت حتى آكل ثمراتى هذه انها لحياة طويلة » أ هـ .

ثم رمى ما كان معه من التمر وقاتل حتى قتل شهيدا ، فرحمه الله ورضوانه على « عمير » وعلى كل من سار على منواله الى يوم الدين .

وعن « معاذ بن جبل » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « من جاهد فى سبيل الله كان ضامنا على الله[٣٣] ، ومن زار مريضا كان ضامنا على الله ، ومن غدا الى المسجد أو راح كان ضامنا على الله ، ومن دخل على امام يعزره كان ضامنا على الله[٣٤] ومن جلس فى بيته لم يغتب انسانا كان ضامنا على الله » أ هـ[٣٥] .

انها خصال خمس من فعلهن ، أو فعل واحدة منهن كان أجره ثابتا على الله تعالى تفضلا منه وكرما ، فالله تعالى لا يظلم عباده مثقال ذرة ، وصدق الله حيث قال :

« وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »[٣٦] .

والخصال خمس هن :

الاولى : الجهاد فى سبيل الله .

---

(٣٣) أى ضامنا على الله أن يوفيه ثواب جهاده .
(٣٤) يعزره : من التعزير وهو التقوية .
(٣٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان ، انظر الترغيب جـ٢ ص ٤٨٥ .
(٣٦) سورة الانبياء ٤٧ .

والثانيــة : عيادة المريض .

والثــالثة : التردد على المسجد لاداء الصلاة .

والرابعــة : تشجيع الامام العادل وشد أزره ونصرته .

والخامسة : جلوس الانسان فى بيته مخافة الاختلاط بقرناء السوء .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « جاهدوا فى سبيل الله ، فان الجهــاد فى سبيل اللــه باب من أبواب الجنة[٣٧] ينجى اللــه تعالى به من الهم والغــم » أ هـ[٣٨] .

لقد أخبر النبى ﷺ فى هذا الحــديث الشريف بأن الجهــاد من الطرق الموصلة الى الجنـــة . بل ثبت فى بعض أخباره عليه الصــلاة والسلام أن من قاتل فواق ناقة وجبت له الجنـــة . كما ورد أن من جرح فى سبيل الله تعالى فانه يجىء يوم القيامة ويكون دمه لونه لون الزعفران ، وريحه ريح المسك .

يشير الى كل هذا الحديث التالى :

فعن « معاذ بن جبل » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ أنه قال : « من قاتل فى سبيل الله من رجل مســلم فواق ناقة[٣٩] وجبت له الجنة ، ومن جرح جرحا فى سبيل الله ، أو

---

(٣٧) أى طريق من الطرق الموصلة الى الجنة .

(٣٨) رواه احمد والطبرانى فى الكبير وصحح اسناده انظر الترغيبحـ٢ ص ٤٨٧ .

(٣٩) فواق ناقة : أى مقدار ما بين الحلبتين .

نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران، وريحهاريح المســك » أ هـ(٤٠) .

ـ واللــه أعــلم ـ

(٤٠) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه · انظر الترغيب حـ ٢ ص٨٤٩

« ستر عـــورة المســلم »

جاء الدين الاسلامى بأنبل المقاصد ، وأسمى الغايات فحث عـلى كل فضيلة ، ونهى عن كل رذيلة : نهى عن الغيبة والنميمة ، وحـرم التنابز بالالقاب كما توعد الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المؤمنين بالعذاب الاليم فى الدنيا والآخرة ، يشير الى ذلك قول الله تعالى :

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عـذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون »[1] .

وقد جاءت السنة النبوية حافلة بالاحاديث التى ترغب فى ستر عورة المسلم ، وتنهى عن اشاعتها :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **من نفس عن مسلم كربة** من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب **يوم القيامة** ، **ومن ستر** على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيـه » أ هـ[2] .

المعنى : تضمن هذا الحديث الشريف ثلاثة أمور يطيب لها قلب كل مؤمن ، ويفرح بها :

---

(١) سورة النور ١٩ .

(٢) رواه مسلم وابو داود ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٤١١ .

الاول : أن من فرج أو أذال عن أخيه المسلم ما يجده من ضيق ، أو شدة ، أو غم ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فان الله سيكافئه عــلى ذلك بأن ينفس عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والجــزاء من جنس العمــل .

والثانى : أن من ستر على أخيه المسلم عورة ستره الله فى الدنيا والآخـــــــرة .

والثالث : أن من سعى فى قضاء حوائج اخوانه المسلمين ، وكان فى عــونهم ، ومساعدتهم كان الله فى عــونه ، وهنيئا لمن أعانه اللـــه تعـــالى .

وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما

أن النبى ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » أ هـ[٣] .

المعنى : من المبادىء السامية التى جاء بها ديننا الحنيف أنه دعى الى ازالة الفوارق بين المسلمين ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، وقرر ان الناس جميعا من أصل واحد وهو « آدم » عليه السلام ، قال تعالى : « يا أيها الناس اتقــوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحــدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونســاء »[٤] .

---

(٣) رواه أبو داود ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٤١١ .
(٤) سورة النساء ١ .

كما أثبت أن المؤمنين اخوة ، والاخوة لها حقوق :

فمن حق المسلم على المسلم أنه لا يظلمه فى أى شىء ، سواء كان فى المعاملات ، أو فى غير ذلك ، وأن لا يسلمه بمعنى أنه لا يتخلى عنه فى الشدة ولا يتركهمع من يؤذيه ، بل عليه أن ينصره ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما

عن النبى ﷺ قال : « من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها فى بيته » أ هـ(٥) .

المعنى : من القواعد الثابتة ، والقوانين المقررة أن الجزاء من جنس العمل ، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان »(٦) وقوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها »(٧) . فمن ستر عورة أخيه فى الدنيا ، ولم يفشها بين الناس ليفضحه بها أثابه الله تعالى على ذلك وستر عورته يوم القيامة فلا يكشف ستره ، ولا يفضحه بين الخلائق ، وهنيئا لمن ستره الله فى ذلك اليوم العظيم .

أما من كشف عورة أخيه المسلم فأذاعها بين الناس ، وهتك ستره ،

---

(٥) رواه ابن ماجه باسناد حسن ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٤١٦ .
(٦) سورة الرحمن ٦٠ .
(٧) سورة الشورى ٤٠ .

فان الله تعالى سيعاقبه على ذلك فى يوم عصيب ألا وهو يوم القيامة ، فيكشف الله عورته بين الخلائق ، وويل لمن كشف الله عورته .

وعن « أبى برزة الاسلمى » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من أتبع عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى بيته » أ هـ[٨] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن النبى ﷺ قال : « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره اللـــه يوم القيـــامة » أ هـ[٩] .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسترنى والمسلمين فى الدنيا والآخرة انه سميع مجيب .

ـــ والله أعـــلم ـــ

---

(٨) رواه أبو داود ، وأبو يعلى باسناد حسن ، انظـر الترغيب حـ ٣ ص ٤١٧ .

(٩) رواه مسلم ، انظر الترغيب حـ ٣ ص ٤١٢ .

« السعى على طلب الرزق »

من المقاصد السامية ، والمبادىء الفاضلة التى حث عليها الاسلام « السعى على طلب الرزق » .

ومما لا شك فيه أن الارزاق كلها بيد الله تعالى .

قال تعالى : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها »[1] .

وقال تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم »[2] .

وعن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « ليس من عمل يقرب من الجنة الا قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب من النار الا وقد نهيتكم عنه ، فلا يستبطئن أحد منكم رزقه ، فان جبريل ألقى فى روعى[3] أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس ، وأجملوا فى الطلب ، فان استبطأ أحد منكم رزقه ، فلا يطلبه بمعصية الله ، فان الله لا ينال فضله بمعصيته » أ هـ[4] .

---

(١) سورة هود ٦ .
(٢) سورة العنكبوت ٦٠ .
(٣) الروع : بضم الراء : سواد القلب ، وبفتحها : الفزع .
(٤) رواه الحاكم ، انظر الترغيب حـ ٢ ص ٨٨٧ .

ولقد تعلمنا من منهج الاسـلام أن الله تعالى يربط دائمـا بين الاسباب والمسببات ، كما قال تعالى : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه أن فى ذلكم لايات لقوم يؤمنـون »[٥] .

وقال تعالى : « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمتـه حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »[٦] .

ولقد جاء الحث على طلب الرزق فى كل من الكتاب ، والسـنة المطهرة :

فمن الكتاب قول الله تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فأنتشروا فى الارض وابتغوا من فضـل الله »[٧] .

وقوله تعالى : « هـو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشـوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشـور »[٨] .

وأما السنة المطهرة فقد جاءت حافلة بالاحاديث التى تحث عـلى طلب الرزق ، أقتبس منها ما يلى :

---

(٥) سورة الانعام ٩٩ .
(٦) سورة الاعراف ٥٧ .
(٧) سورة الجمعة ١٠ .
(٨) سورة الملك ١٥ .

فعن « المقداد بن معد يكرب » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله « داود » عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده » أ هـ[٩] .

المعنى : أخبر النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث الشريف أن خير طعام يأكله الانسان هو الذى يكون من كسب يده ، وفى هذا ترغيب وحث على طلب السعى على المعيشة ، وان السعى على الرزق فيه فضل كبير حيث زاوله جميع الانبياء ، والمرسلين : فنبينا «محمد» ﷺ اشتغل برعى الغنم ، والتجارة ، طلبا للرزق .

وهذا نبى الله « داود » عليه السلام ألان الله له الحديد ، فكان يعمل حدادا ،

قال تعالى مشيرا الى ذلك :

« ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير والنا له الحديد أن أعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير »[١٠] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه ، أو يمنعه » أ هـ[١١] .

---

(٩) رواه البخارى ، انظر : الترغيب حـ ٢ ص ٨٧٠ .
(١٠) سورة سبأ ١٠ ــ ١١ .
(١١) سورة مالك ، والبخارى ، ومسلم ، انظر الترغيب حـ ٢ ص ٨٧٢ .

وعن « الزبير بن العوام » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « لان يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » أ هـ(١٢) .

المعنى : فى الحديثين السابقين يرشد النبى ﷺ الانسان الى أن يسعى على طلب رزقه ، حتى لو استدعى الامر الى أن يحتطب ، لان ذلك خير له وأفضل من ذل السؤال . بل نجد النبى عليه الصلاة والسلام يخبر بأن من أمسى كالا من العمل بسبب ما كان يلاقيه من جهد وتعب خلال النهار ، فان الله تعالى سيكافئه على هذه المشقة بالمغفرة .

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » أ هـ(١٣) .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه

أن رجل من الانصار أتى النبى ﷺ فسأله فقال : « أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى حلس(١٤) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب(١٥)

---

(١٢) رواه البخارى ، انظر : الترغيب حـ ٢ ص ٨٧٢ .

(١٣) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر الترغيب حـ ٢ ص ٨٧٦ .

(١٤) الحلس : هو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل ، وما يبسط فى البيت على الأرض .

(١٥) القعب : بفتح القاف : القدح الضخم الغليظ .

نشرب فيه الماء ، قال : « ائتنى بهما » فأتاه بهما ، فأخذهما رسـول الله ﷺ بيده وقال : « من يشترى هذين » ؟

قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ : « من يزيد على درهم مرتين ، أو ثلاثا ؟

قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الانصارى وقال : « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك، واشتر بالآخر قـدوما[16] فائتنى به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ، ثم قال : « اذهب فاحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضهما ثوبا ، وببعضهما طعاما ، فقال له رسول الله ﷺ : « هذا خير من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك[17] يوم القيامة » أ هـ[18] .

المعنى : دل هذا الحديث على أن رسول الله ﷺ كان من أفضل المربين : روحيا ، وخلقيا ، واجتماعيا ، وفكريا ، كما كان هذا شـأنه فى جميع نواحى الحياة ، فهذا الانصارى عندما جاء الى النبى عليه الصلاة والسلام يسأله شيئا من الصدقة ، لم يرده الرسول ﷺ خائبا، بل دله على طريقة عملية استطاع بها الانصارى أن يكف عن المسـألة، فقد قال له النبى ﷺ : « أما فى بيتك شىء » ؟

فقال الانصارى : ليس فى بيتى سوى « حلس » وهو ما يوضع على ظهر الدابـة تحت السرج ، أو الرحـل ، وما يبسط فى البيت عـلى

---

(١٦) القدوم : بخفيف الدال ، وبتشديدها لغة ضعيفة .
(١٧) النكتة : هى النقطة فى الشىء على خلاف لونه .
(١٨) رواه أبو داود ، والنسائى ، انظر : الترغيب حـ ٢ ص ٨٧٢ .

الارض ، وقعب : وهو القدح الضخم الغليظ ، فقال له النبى ﷺ : « ائتنى بهما » فلما جاءه بهما عرضهما النبى عليه الصلاة والسلام للبيع فى مزاد علنى ، وباعهما بدرهمين ، ثم قال للانصارى : اشتر بدرهم طعاما الى أهلك ، واشتر بالدرهم الثانى « قدوما » وأئتنى به ولما جاء الانصارى بالقدوم ، وضع فيه النبى ﷺ عودا وقال للانصارى : « اذهب واحتطب وبع لمدة خمسة عشر يوما ثم ائتنى » وبعد انقضاء المدة التى حددها الرسول عليه الصلاة والسلام ، جاء الانصارى ومعه عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وبالباقى طعاما، فقال له رسول الله ﷺ : « هذا أى السعى على الرزق خير لك من ذل المسألة ، لانها تجىء يوم القيامة نكته سوداء فى وجه صاحبها .

وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال :

سئل رسول الله ﷺ أى الكسب أفضل ؟

قال : « عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور » أ هـ[١٩] .

المعنى : بين النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث أن أفضل الكسب هو الذى يكون نتيجة لعمل الرجل بيده ، وكذا كل بيع مبرور ، والبيع المبرور هو الذى يكون من حلال ، بعيدا عما فيه شبهة .

وعن « كعب بن عجرة » رضى الله عنه قال :

مر على النبى ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده[٢٠]

---

(١٩) رواه الطبرانى فى الكبير ، ورواته ثقات ، انظر : الترغيب حـ ٢ ص ٨٧٤ .

(٢٠) جلده : أى قوته .

ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله[٢١] فقال رسول الله ﷺ : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » أ هـ[٢٢] .

المعنى : عندما مر على صحابة رسول الله ﷺ رجل قوى نشيط ، تمنى الصحابة أن لو كان نشاطه وقوته فى الجهاد من أجل اعلاء كلمة الله ، فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام : « ان كان خرج يسعى على أولاد له صغار ، غير قادرين على الكسب والعمل فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين كبيرين ، وكانا فقيرين ولا يقدران على الكسب فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه كى يغنيها عن ذل المسألة ، وشر الحاجة فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة ليرى الناس جلده ، ونشاطه ، ويباهيهم بذلك فهو فى سبيل الشيطان .

من هذا يتبين أن السعى على الرزق بشرط أن يكون بعيدا عن الرياء ، والمفاخرة ، فيه أجر عظيم .

ــ والله أعلم ــ

(٢١) أى فى الجهاد لنصرة دين الله .
(٢٢) رواه الطبرانى ، انظر الترغيب جـ ٢ ص ٨٧٥ .







« الصـــــدقة »

الصـــدقة من الاعمال التى حث عليها الاســـلام ، ورغب فيها •
وسأبدأ حديثى باذن الله تعالى عن « صدقة الفطـــر » ثم أتبع ذلك الحديث عن « الصدقة المطلقة » •

فمما جاء فى فضل « صدقة الفطر » الحديث التالى :

فعن « عبد الله بن عباس » رضى الله عنهما قال :

فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر طهـــرة للصائم من اللغـــو ، والرفث ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة فهى : زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » أ هـ[1] •

المعنى : زكاة الفطر واجبة عند الائمة الاربعة على كل مسلم : سواء كان ذكرا ، أم أنثى ، صغيرا ، أو كبير ، حرا ، أو عبدا •

وهى على الصبى من ماله ان كان له مال ، والا فعلى من تلزمـــه نفقتـــه •

وعلى السيد اخراجها عن عبـــده •

ومقدار « زكاة الفطر » « صاع » عن كل فرد ، حتى ولو ولد قبل غروب شمس آخر يوم من أيام رمضان والدليل على أن زكاة الفطـــر صاع عن كل فرد الحديث التالى :

---

(١) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم ، انظر : التاج حـ ٢ ص ٢٤

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال :

« فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد ، والحر ، والذكر ، والانثى ، والصغير ، والكبير ، من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة » أ هـ[٢] .

وأعلم أيها المسلم أن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو ، والرفث الذى يصدر من الصائم أثناء صومه .

واللغو : كل كلام لا فائدة فيه .

والرفث : المراد به هنا فى الحديث : الفدش من الكلام .

أما الصدقة المطلقة من حيث هى فقد جاء فى فضلها أحاديث كثيرة ، أقتبس منها ما يلى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة[٣] من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا الطيب ، فان الله يقبلها بيمينه[٤] ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه[٥] حتى تكون مثل الجبل » أ هـ[٦] .

---

(٢) رواه الخمسة ، انظر : التاج حـ ٢ ص ٢٤ .
(٣) العدل : بكسر العين وفتحها : بمعنى النظير المساوى .
(٤) فيه اثبات اليمين لله عز وجل ، وهى صفة حقيقية لله تعالى على ما يليق به سبحانه ، ويجب اجراء مثل هذه النصوص على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تعطيل مع نفى الكيفية والتشبيه عنها .
(٥) الفلو بفتح الفاء وضم اللام : المهر أول ما يولد .
(٦) رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، انظر الترغيب حـ ٢ ص ٣ .

وفى رواية لابن خزيمة :

« ان العبد اذا تصدق من طيب تقبلها الله منه ، وأخذها بيمينه فرباها كما يربى أحدكم مهره ، أو فصيله[٧] .

وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربى فى يد الله[٨] أو قال : كف الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا » أ هـ[٩] .

وفى رواية للترمذى :

فعن « عبادة بن منصور ، عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يقبل الصدقة ، ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى أحدكم مهره ، حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد ، وتصديق ذلك فى كتاب الله : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات »[١٠] .

وقوله : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » أ هـ[١١] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الله عز وجل ليدخل باللقمة الخبز ، وقبصة التمر ، ومثله مما ينتفع به المسكين ثلاثة الجنة :

رب البيت الآمر به ، والزوجة تصلحه ، والخادم الذى ينـاول

---

(٧) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه .
(٨) بمعنى أنها تزيد وتنمو .
(٩) رواه ابن خزيمة ، انظر : الترغيب حـ٢ ص ٣ .
(١٠) سورة التوبة ١٠٤ .
(١١) سورة البقرة ٢٧٦ ، رواه الترمذى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤ .

المسكين ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى لم ينسى خدمنا » أ هـ(١٢) .

المعنى : لقد بين النبى عليه الصلاة والسلام فى هذه الاحاديث الاجر العظيم الذى سيمنحه الله سبحانه وتعالى للمتصدقين والمتصدقات :

فتارة يخبر عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى يقبل الصدقة الطيبة ويضاعف أجرها حتى تنمو مثل نمو المهر والفصيل،فكل منهما يكون صغيرا فاذا به ينمو حتى يصير مثل حجمه أضعافا كثيرة ، وهكذا يزيد الله تعالى فى أجر الصدقة حتى تكون أضعافا مضاعفة .

يشير الى ذلك قول الله تعالى :

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون »(١٣) .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذى رواه «أبو هريرة» وأخرجه « الحاكم » أن الله تعالى يدخل باللقمة من الخبز ، وقبضة التمر ثلاثة الجنة :

الاول : رب البيت .

والثانى : الزوجة .

والثالث : الخادم .

---

(١٢) رواه الحاكم والطبرانى فى الاوسط ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٥ .
(١٣) سورة البقرة ٢٤٥ .

انه لاجر عظيم وفضل كبير ، أفلا يكون هذا حافزا للاغنياء علـــى بذل الصدقة بطيب نفس ؟ .

علما بأنها لن تنقص من المال شيئا ، بل ستكون سببا فى نموه وزيادته .

يشير الى ذلك الحديثان الآتيـــان :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبـــدا بعفو الا عـــزا ، وما تواضـــع أحد للـــه الا رفعه اللــــه عز وجـــــل » أ هـ[14] .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما يرفعه قال :

ما نقصت صدقة من مال ، وما مد عبد يده بصدقة الا ألقيت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل[15] .

ولا فتـــح عبد باب مسئلة له عنهـــا غنى الا فتح اللـــه له باب فقـــــر » أ هـ[16] .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن الصـــدقة تكون سببا فى زيادة الرزق ، والنصر على الاعداء وفى جميع المواقف .

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنهما قال :

خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس توبو الى الله قبل أن

---

(١٤) رواه مسلم ، والترمذى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٥ .
(١٥) يعنى أن يد الله تسبق يد السائل فى تلقى الصدقة من معطيها .
(١٦) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب حـ٢ ص ٦.

تموتو ، وبادروا بالاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا ، وتنصروا ، وتجبروا » أ هـ[١٧] .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن الانسان ليس له من ماله الذى جمعه الا ثلاثة أصناف :

الاول : ما أكله .

والثانى : ما لبســـه .

والثالث : ما تصــدق به .

وما بقى بعد ذلك فهــو لورثته من بعده . وما دام الامــر كذلك أفلا يكون هذا حافزا على كثرة البذل والعطاء ؟

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اللـــه عليــه وســلم :

« يقول العبد مالى مالى ، وانما له من ماله ثلاث :

ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، ما سوى ذلك فهــو ذاهب وتاركه للناس » أ هـ[١٨] .

وعن « عدى بن حاتم » رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١٧) رواه ابن ماجه ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٦ .

(١٨) رواه مسلم ، انظر : الترغيب حـ٢ ص ٧ .

« ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان[١٩] .

فينظر أيمن منه[٢٠] فلا يرى الا ما قدم[٢١] فينظر أشأم منه[٢٢] فلا يرى الا ما قدم ، فينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه[٢٣] فاتقوا النار ولو بشق تمرة »[٢٤] .

وفى رواية :

« من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » أ هـ[٢٥] .

نعم : كل انسان يوم القيامة سينتظر ما قدمته يداه ، وكل انسان سيأخذ كتابه ويحاسب نفسه ، يشير الى ذلك قوله تعالى :

« وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[٢٦] .

وهذا الحديث الشريف فيه تصوير بليغ للحال التى سيكون عليها الانسان يوم القيامة .

---

(١٩) ترجمان : بفتح التاء وضمها : يقال ترجم الكلام فسره بلسان آخر .

(٢٠) أى عن يمينه .

(٢١) أى ما عمل فى الحياة الدنيا سواء كان خيرا ، أو شرا .

(٢٢) أى عن يساره ، والشؤمى ضد اليمنى .

(٢٣) أى أمامه وتجاهه .

(٢٤) أى نصفها والشق النصف من كل شىء .

(٢٥) رواه البخارى ومسلم ، انظر الترغيب جـ٢ ص ٨ .

(٢٦) سورة الاسراء ١٣ ـ ١٤ .

ثم نجد النبى عليه الصلاة والسلام يحث فى نهاية الحديث على الصدقة لانها ستكون وقاية من النار يوم القيامة ، يؤيد ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى بكر الصديق » رضى الله عنه قال :

« سمعت رسول الله ﷺ على أعواد منبره يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج[٢٧] وتدفع ميته السوء » أ هـ[٢٨] .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن « الصدقة » تطفىء الخطيئة، أى تمحوها وتزيلها ، كما قال تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات »[٢٩] .

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنه

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «لكعب بن عجرة»[٣٠] يا كعب بن عجرة ان الصلاة قربان ، والصيام جنة ، والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، يا كعب بن عجرة الناس غاديان[٣١] .

فبائع نفسه فموثق رقبته[٣٢] ومبتاع نفسه فى عتق رقبته » أ هـ[٣٣]

---

(٢٧) يقال : أقام العوج وقومه اذا عدله وسواه .

(٢٨) الميتة بكسر الميم حالة الموت وهيئته .

(٢٩) سورة هود ١١٤ .

(٣٠) عجرة بضم العين واسكان الجيم وهو الذى نزل فيه قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك» البقرة ١٩٦ .

(٣١) غاديان : تثنية غاد اسم فاعل من غدا اذا ذهب غدوة وهو أول النهار.

(٣٢) يقال أوثقه ايثاقا : شده بالوثاق ، وهو كل ما يربط به .

(٣٣) رواه أبو يعلى باسناد حسن ، انظر التاج جـ٢ ص ١٠ .

وعن « كعب بن عجرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت[٣٤] النار أولى به » يا كعب بن عجرة النـــاس غـــاديان : فغاد فى فكاك نفســـه فمعتقها • وغاد فموثقهـــا ، يا كعب بن عجرة » الصلاة قربان ، والصدقة تطفى الخطيئة كما يذهب الجليد على الصـــفا » أ هـ[٣٥] •

وعن « أبى كبشة الاغارى » رضى الله عنه

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من صدقة[٣٦] ولا ظلم عبـــد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة الا فتـــح الله عليه باب فقر ، أو كلمة نحوها •

وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : انما الدنيا لاربعة نفر :

١ ـ عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل •

٢ ـ وعبد رزقـــه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : « لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء •

---

(٣٤) السحت : كل مال حرام اخذ بطريق غير شرعى •

(٣٥) رواه ابن حبان فى صحيحه ، انظر : الترغيب حـ٢ ص ١٠ •

(٣٦) يحتمل أن يكون هذا على حقيقته وأن الشىء اذا كيل أو وزن بعـــد اخراج الصدقة وجد كما هو من غير نقصـــان ، ويحتمل أن الله يبارك فيما يبقى حتى كأنه لم ينقص منه شىء •

٣ — وعبد رزقه الله مــالا ولم يرزقه علما ، يخبط فى ماله بغير علم ، ولا يتقى فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيــه حقا ، فهذا بأخبث المنــازل .

٤ — وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لو أن لى مــالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فوزهما سواء » أ هـ(٣٧) .

لقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث الشريف : بأن الصدقة وان كان ظاهرها أنها تنقص المال ، الا أنها فى الواقــع تزيد فى المال حيث يبارك الله تعالى فيه ويصبح كأنه لم ينقص منــه شىء . كما أخبر ﷺ بأن من ظلم وصبر على مظلمته وسلم أمره للــه تعالى فان الله تعالى سيزيده بهذه المظلمة عزا وكرامة .

كما أخبر عليه الصــلاة والسلام بأن من فتح على نفســه باب سؤال الناس وهو غير محتاج ، ولكن قصــده الزيادة والاستكثار ، عاقبه الله تعالى بعكس قصده وفتح عليه أبواب الفقر والحاجة .

كما أخبر بان الناس فى الدنيا على أربعة أقسام :

الاول : رجل رزقه الله المال والعلم فهو يعمل بعلمه ويصرف ماله فى الوجوه التى أمره اللــه بها ، فهذا فى المنزلة الاولى عنــد اللــه تعالى .

والثانى : رجل رزقه الله العلم دون المال ، ولكن كانت نيتــه حسنة

---

(٣٧) رواه ابن ماجه ، والترمذى ، وقال حسن صحيح ، انظر التاج حـ٢ ص ١٢ .

فهو يتمنى أنه لو رزقه الله المال لصرفه فى وجوه الخير ،
فهذا منزلته عند الله مثل منزلة الاول حسب نيته .

والثالث : رجل رزقه الله المال دون العلم ، فهو يصرف المال فيما يغضب الله تعالى ، فمنزلته هذا عند الله بأخبث المنازل .

والرابع : رجل لم يرزقه الله المال ولا العلم ولكن كانت نيته خبيثة فهو يتمنى أن لو رزقه الله المال لصرفه فى غير وجوه الخير، فهذا وزره مثل وزر الذى قبله حسب نيته ، لان الاعمال بالنيات .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

كان « أبو طلحة » أكثر الانصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله اليه « بيرجاء »[٣٨] . وكانت مستقبلة « المسجد » ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ،

قال « أنس » : فلما نزلت هذه الآية :

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[٣٩] .

قام « أبو طلحة » الى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله أن الله تبارك وتعالى يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

---

(٣٨) بيرجاء : بكسر الباء وفتحها ممدودا ، اسم لحديقة نخل كانت لابى طلحة ، وقيل : صوابة « بيرحى » بفتح الباء والراء مقصورا ، وانما صحف .
(٣٩) سورة آل عمران ٩٢ .

وان أحب أموالى الى « بيرحاء » وأنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث اراك الله ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « بخ » ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح » أ هـ[٤٠] .

حقـــا : ان موقف « أبى طلحة » أحد المواقف المشرقة والمشرفة فى تاريخ الامة الاسلامية ، لقد تفهم « أبو طلحة » معنى قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » فأراد أن ينال البر بالفعل لا بالتمنى ، فتصدق بحديقته التى هى أحب ماله اليه .

ان الامة الاسلامية الآن لفى أشد الحاجة لامثال « أبى طلحة » .

ان فضل الصدقة عظيم ، والصدقة تجارة رابحة مع الله تعـــالى، وهى فكاك الانسان من النار يرشد الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

قال رســـول اللـــه ﷺ : « تصـــدقوا فان الصـــدقة فكاككم من النار » أ هـ[٤١] .

وعن « عمرو بن عوف » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان صدقة المسلم تزيد فى العمر ، وتمنـــع ميتة السوء ، ويذهب الله بها الكبر ، والفخر » أ هـ[٤٢] .

---

(٤٠) رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، انظـر الترغيب حـ ٢ ص ٢٠ .

(٤١) رواه البيهقى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٢٥ .

(٤٢) رواه الطبرانى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٢٧ .

اذا كان « منهج الاسلام » حث على الصدقة ، ورغب فيها ، وبين فضلها ، فانه أيضا حث على اخفائها ، ورغب فى صدقة السر .

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

« سبعة يظلهم الله فى ظله[٤٣] يوم لا ظـل الا ظله[٤٤] الامـام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك ، وتفرقا عليه ، ورجل دعتـه امـرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخـاف الله ، ورجل تصـدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر اللـه خاليا ففاضت عيناه » أ هـ[٤٥] .

نعـم : انه لفضل كبير ، وتكريم عظيم من الله تعالى لعبـاده المؤمنين ، فـاذا كان يوم القيامة وحشر النـاس لرب العالمين ، ودنت الشمس من الرءوس ، والجمهم العـرق :

فمنهم من يبلغ رشحه كعبيه ، ومنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من يبلغ حقـويه ، ومنهم من يبـلغ ثدييه ، ومنهم من يصـل عرقـه الى شحمتى أذنيه ، ويصبح الخلق فى كرب شديد ، فى هذا الموقف الرهيب يكرم الله تعالى أنبياءه وبعض عباده المؤمنين فيظللهم بظل عرشه ، من هؤلاء المكرمين :

---

(٤٣) أى فى ظل عرشه كما ورد مصرحا به فى أحاديث أخرى .

(٤٤) وهو يوم القيامة حين يجتمع الاولون والاخرون فى عرصات الموقف فيكون هؤلاء الاصناف السبعة فى ظل عرش الرحمن لايصيبهم مايصيب الناس من هول الموقف وشدته .

(٤٥) رواه البخارى ، ومسلم ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٣٦ .

رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه •
أليس فى هذا الحث على اخفاء الصدقة حتى لا نجـرح المتصـدق عليهم ، ولا نخدش كرامتهم الانســانية ، ونحفظ عليهم ماء وجوههم ؟ وصـدقة السر تطفىء غضب اللــه سبحانه وتعالى ، يشـير الى ذلك الاحـاديث التالية :

فعن « أم سلمة » رضى الله عنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : « صـنائع المعروف تقى مصارع الســوء ، والصدقة خفيا تطفىء غضب الرب ، وصلة الررحم تزيد فى العمـر ، وكل معروف صدقة ، وأهـل المعروف فى الدنيا هم أهـل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة ، وأول مـا ما يدخل الجنة أهل المعـروف » أ هـ[٤٦] •

وعن « أبى ذر » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يبغضهم الله :

فأما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوما فسألهم بالله ، ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه فمنعوه ، فتخلف بأعقابهم[٤٧] فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته الا الله ، والذى أعطـاه •

وقوم ساروا ليلتهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعـدل به فوضعوا رءوسهم ، فقام ، فقام يتملقنى ويتلو آياتى •

---

(٤٦) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٣٩ •
(٤٧) أى انه تأخر عنهم واعتزلهم حتى لا يشعروا بعطيته •

ورجل كان فى سرية فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له •

والثلاثة الذين يبغضهم الله :

الشيخ الزانى ، والفقير المختال ، والغنى الظلوم » أ هـ(٤٨) •

لقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث أن ثلاثة يحبهم الله تعالى :

وأن ثلاثة يبغضهم الله تعالى :

فأما الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل :

فالاول : رجل تصدق بصدقته سرا على فقير محتاج ابتغاء وجه الله تعالى •

والثانى : رجل اذا ما جن الليل وأقبل الناس على النوم ، قام يتذلل لله تعالى ويتلو كتابه •

والثالث : رجل صمد فى وجه الكفار حتى يقتل أو ينتصر •

وأما الثلاثة الذين يبغضهم الله عز وجل :

فالاول : الشيخ الزانى ، لانه كان يجب عليه مع تقدم سنه وشيبته أن يتوب لله تعالى •

والثانى : الفقير المتكبر ، لان مقتضى الفقر التذلل والانكسار لله تعالى •

---

(٤٨) رواه أبو داود ، وابن خزيمة ، انظر : الترغيب حـ٢ ص ٤١ •

والثالث : الغنى الظلوم ، لانه كان يجب عليه أن يشكر نعمة اللـــه عليه وأن يعطى أصحاب الحقوق حقوقهم .

وعن « زينب الثقفية » امرأة « عبد الله بن مســعود » رضى اللــه عنهمــا قــالت :

قال رسول الله ﷺ : « تصدقن يا معشر النساء ، ولو من حليكن ، قالت : فرجعت الى « عبد الله بن مسعود » فقلت : انك رجل خفيف ذات اليــد »[49] .

وأن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فائته فأساله ، فان كان ذلك يجزئ عنى[50] والا صرفتها الى غيركم ، فقال «عبد الله بن مسعود» بل أئته أنت ، فانطلقت فاذا امرأة من الانصار بباب رسول الله مثــل حاجتها حاجتى[51] .

وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة ، فخرج علينا « بلال » رضى الله عنه ، فقلنا له : ائت رســول الله ﷺ فأخبــره أن امرأتين بالباب يسألانك : أتجزئ الصدقة منهما على أيتام فى حجورهما ، ولا تخبره من نحن ، قالت : فدخل « بلال » على رسول الله عليه الصلاة والسلام فسأله : فقال له رسول الله ﷺ : من هما ؟ فقال : امرأتان من الانصار ، وزينب ، فقال رسول الله ﷺ : أى الزيانب ؟ قــال : امرأة « عبد الله بن مسعود » فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لهما أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة » أ هـ[52] .

---

(٤٩) المراد أنه قليل المال رقيق الحال .
(٥٠) أى ينفع وتقع الصدقة موقعها من القبول .
(٥١) أى أنها جاءت هى الاخرى تسأله عن جواز ذلك .
(٥٢) رواه البخارى ، ومسلم ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٣ .

وعن « سلمان بن عامر » رضى الله عنه

أن النبى ﷺ قال : « الصدقة على المسكين صــدقة ، وعلى ذى الرحــم شنتان :

صدقة ، وصلة رحم » أ هـ(٥٣) .

ونظرا لان درجة القرابة متفاوتة ، فقد بين « الدين الاســلامى الدنيف » ترتيب القرابة فى الأستحقاق حسب درجة قرابتهم ، يوضح ذلك الحــديث التــالى :

فعن « بهز بن حكيم » عن أبيه ، عن جده ، رضى الله عنهم قــال : قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : « **أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك** » ، ثم الاقرب فالاقرب .

وقال رسول الله ﷺ : « **لا يسأل رجل مولاه من فضل هو عنــده فيمنعــه اياه الا دعــى له يوم القيامة فضــله الذى منعه شــجاعا أقــرع** » أ هـ(٥٤) .

ولشدة الترغيب فى الصدقة على القريب فقد أخبر نبى الاسلام أن الله تعالى لن يقبل الصدقة ما دام للمتصدق قريب محتاج ، يشير الى ذلك الحديث التــالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم

---

(٥٣) رواه النسائى ، والترمذى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٤ .

(٥٤) رواه أبو داود ، والنســائى ، والترمــذى ، انظـر الترغيب حـ ٢ ص ٤٨ .

القيامة من رحم اليتيم ، ولان له فى الكلام ، ورحم يتمه وضعفه ، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله ، وقال : يا أمة « محمد » والذى بعثنى بالحق لا يقبل اللـــه صدقة من رجل وله قرابة محتاجـــون الى صلته ، ويصرفها الى غيرهم ، والذى نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة » أ هـ(٥٥) .

ولشدة الترهيب من عدم التصدق على القريب المحتاج فقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام أن من جاءه ذو رحم يسأله من فضـــل ماله فيبخل عليه الا عذبه الله يوم القيامة بحية يطوقه بها .

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « جرير بن عبد الله البجلى » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله اياه فيبخل عليه الا أخرج الله له من جهنم حية يقال لهـــا شجاع يتلمظ فيطوق بهـــا » أ هـ(٥٦) .

كما حث النبى عليه الصلاة والسلام على التصدق على القريب الذى يضمر العداوة والبغضاء لقريبه ، وجعل ذلك من أفضل الصدقات. ولعل الحكمة من ذلك هى ازالة ما فى الصدور من كراهية ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

---

(٥٥) رواه الطبرانى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٧ .
(٥٦) رواه الطبرانى فى الاوسط الكبير انظر الترغيب حـ٢ ص ٤٩ .

فعن « أم كلثوم بنت عقبة » رضى الله عنها

أن النبى ﷺ قال : « أفضل الصدقة ، الصدقة على ذى الرحـــم الكاشح » أ هـ(٥٧) .

هذا الحديث الشريف يعبر عن أسمى المبادىء الاسلامية ، فهــو يدعو الى المودة والتراحم على ذى القربى ، حتى ولو كان ذلك القريب يضمر لقريبه العداوة .

فهل هناك على وجه الارض قانون ، أو نظام يحث على مثل مــا جاء به الدين الاسلامى الحنيف ؟

وعن « فاطمة بنت قيس » رضى الله عنها قالت :

سألت النبى ﷺ عن الزكاة فقال : « ان فى المال لحقا سوى الزكاة ثم تلا : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولــكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبة ذوى القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصــلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهــدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحــين البأس أولئك الذين صــدقوا وأولئك هم المتقــون »(٥٨) .

حقــا : لقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام ، وهو الصــادق الامين أن فى المال حقا سوى الزكاة . وهذا الحديث يعتبر من أقوى الادلة التى تحث الأغنياء على البذل والعطاء للفقراء .

---

(٥٧) الكاشح : بالشين المعجمة : هو الذى يضمر عدواته فى كشحــه ، وهو خصره .
روا هالطبرانى فى الكبير ، انظر الترغيب حـ ٢ ص ٤٥ .
(٥٨) سورة البقرة ٤٢ .

فيايها المسلم أن المال عارية فى يدك ، وأمانة ائتمنك اللـه عليها ، فعليك أن تبذل الفضل بطيب نفس ، فخير الصدقة ما كان فى حالة الصحة ، والانسان يخشى الفقر ويتطلع الى الغنى .

يرشد الى ذلك المعنى الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجـرا ؟

قال : ان تصدق وأنت صحيح شحيح[٥٩] تخشى الفقر وتأمـل الغنى ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت :

لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقد كان لفلان » أ هـ[٦٠] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله أى الصدقة أفضل ؟

قال : جهد المقل ، وابدأ بمن تعول » أ هـ[٦١] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « سبق درهـم مائة الف درهم ، قـالوا : يا رسول الله كيف ؟

---

(٥٩) معنى شحيح : أى حريص على المال .
(٦٠) رواه الشيخان ، انظر التاج جـ٢ ص ٣٩ .
(٦١) رواه أبو داود والحاكم ، انظر التاج حـ٢ ص ٣٩ .

قال : رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، ورجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله(٦٢) . مائة ألف فتصدق بها » أ هـ(٦٣) .

حقـــا : انما الاعمال بالنيات ، فهذا الحـــديث الشريف بين أن العبرة ليست بكثرة العطاء ، أفلا يعتبر هذا حقا لغير الاغنياء عـــلى الصدقة ؟ فمن لم يجد ما يتصدق به فعليه أن يمسك عن الشر فهـــو لهُ صـــدقة .

يوضح ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى موسى الاشعرى » رضى الله عنه ،

عن النبى ﷺ قال : « على كل مسلم صدقة ، فقالوا يا نبى اللـــه فمن لم يجـــد ؟

قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ،

قالوا : فان لم يجـــد ؟

قال : يعين ذا الحاجة الملهـــوف .

قالوا : فان لم يجـــد ؟

قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة » أ هـ(٦٤) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس

---

(٦٢) العرض بضم العين : الجانب .
(٦٣) رواه النسائى ، انظر التاج حـ٢ ص ٣٩ .
(٦٤) روا هالشيخان والنسائى ، انظر التاج حـ ٢ ص ٤٠ .

الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر فى الدنيـا يسر الله عليه فى الدنيا والآخـرة ، ومن ستر على مسلم فى الدنيـا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبـد فى عون أخيـه » أ هـ(٦٥) .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن من أنظر معسراً قبل أن يحـل أجل الدين الذى عليه كان له عن كل يوم مثل دينه صدقة ، ومن أنظر معسرا بعد أن يحل أجل الدين كان له عن كل يوم مثلى دينه صدقة .

يرشد الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى بردة » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة ، ثم سمعته يقول : من أنظر معسرا فله كل يوم مثليه صدقة ، فقلت : يا رسول الله سمعتك تقول : من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة ، ثم سمعتك تقول : من أنظـر معسرا فله كل يوم مثليه صدقة ؟ قـال له ـ أى النبى ﷺ ـ كل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين ، فاذا احل فأنظره فله بكل يوم مثليـه صـدقة » أ هـ(٦٦) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « من أنظر معسرا ، أو وضع له أظله اللـه يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » أ هـ(٦٧) .

ـ واللـه أعـلم ـ

---

(٦٥) رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٥٨ .
(٦٦) رواه الحاكم ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٥٨ .
(٦٧) رواه الترمذى ، انظر الترغيب حـ٢ ص ٥٩ .

« صـــلة الرحــم »

قامت العلاقة الاجتماعية فى ظل الدين الاسلامى على دعائم قوية من المحبة ، وحسن الصلة ، والتراحـــم ، والترابط • والانسان مـــع أقربائه يشكل القاعدة الاساسية للامة الاسلامية • وكلما كانت تلك القاعدة قوية ، وتماسكة ، كانت الامة تبعا لذلك قوية ومتينة •

لذلك فقد كان من « منهج الاسلام » العمل على ما يدعم هــذه العلاقة ، ويقويها •

وليس هناك شىء أسرع ، وأقــوى فى ايجاد الترابط بين الافــراد والجماعات ، والامم ، من المحبة ، والتراحم فيما بينهم •

لهذا نجد الدين الاسلامى حث على صلة الرحم ، وبين فضل ذلك فى كل من الكتاب والسنة •

وها أنا ذا ألقى الضــوء على ما ورد من النصــوص الشرعيــة فى « فضل صلة الرحم » :

قال الله تعــالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتــامى والمساكين والجــار ذى القربى والجــار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل ومــا ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخــورا »(١) •

---

(١) سورة النساء ٣٦ •

ومن ينعم النظر فى هـذه الآية الكريمة يجد أن الله تعالى قـرن الوصية بالاحسان الى ذى الرحم بالامر بعبادته تعالى وحده ، ومـا ذلك الا لاهمية صلة الرحم فى الشريعة الاسلامية .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليـه وسلم قـال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » أ هـ[٢] .

المعنى : لقد جعل النبى عليه الصـلاة والسلام من الامـارات الدالة على ايمان العبد بالله تعالى واليوم الآخر ثلاثة أمور :

الاول : اكرام الضيف .

والثانى : صلة الرحـم .

والثالث : النطق بالكلمة الطيبة ، أو السكوت بالكلية .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فـرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قـال : اما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟

قالت : بلى ، قال : فذلك لك ، ثم قال رسـول الله ﷺ : « اقـرءوا ان شئتم : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » أ هـ[٣].

---

(٢) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ١٥٥ .

(٣) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٥٦ .

المعنى : هذا الحديث المتفق عليه يعتبر من الادلة القوية فى الامر بصلة الرحم ، وبيان فضله ، وذلك لان من وصل رحمه وصله الله تعالى ، وهنيئا لمن وصله الله فانه سيفوز بسعادة الدارين .

أما من قطع رحمه — والعياذ بالله تعالى — فان الله سيقطعه ، والويل ثم الويل لمن قطعه الله ، فانه سيشقى فى الدنيا والآخرة .

وعن « أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى » رضى الله عنه

أن رجلا قال : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار ، فقال النبى ﷺ : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم » أ هـ(٤) .

المعنى : جاء صحابى يسأل رسول الله ﷺ عن الامور التى تكون سببا فى دخول الانسان الجنة ، وبعده عن النار بعد فضل الله تعالى . فقال له النبى عليه الصلاة والسلام :

يتمثل ذلك فى أربعة أمور ، من أداهن كاملات وفقا لمنهج الاسلام دخل الجنة ، وأبعده الله من النار . وهذه الامور هى :

الاول : أن يعبد الانسان الله وحده ، ولا يشرك به أحدا ، عملا بقول الله تعالى : « قل أنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين »(٥) .

الثانى : أن يؤدى الانسان الصلاة لله تعالى تامة بشروطها وأركانها، تحقيقا لقول الله تعالى : « قل أن صلاتى ونسكى ومحياى

---

(٤) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٦٢ .
(٥) سورة الزمر ١١ .

ومماتى لله رب العــالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المســــلمين »[٦] .

الثالث : أن يؤدى الانسان الزكاة التى أوجبها الله عليه فى ماله .

الرابع : أن يصل الانسان رحمه التى قطعته ، وقد بين ذلك النبى ﷺ فى الحديث التــالى :

فعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما

عن النبى ﷺ قال : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » أ هـ[٧] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رجلا قال : « يا رسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسيئون الى ، وأحلم عنهم ويجهلون على ، فقــال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل[٨] ولا يزال معك من الله ظهير عليهم[٩] ما دمت على ذلك » أ هـ[١٠] .

ـ والله أعلم ـ

---

(٦) سورة الانعام ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٧) رواه البخارى ، انظر : رياض الصالحين ص ١٥٩ .
(٨) المل : بفتح الميم ، وتشديد اللام ، هو الرماد الحار : أى كأنمــا تطعمهم الرماد الحار ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الاثم بمــا يلحق آكــل الرماد الحــار من الالم .
(٩) الظهير : المعين
(١٠) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ١٥٧ .

« العفـو عن عثرات المسـلم »

العفو والصفح من الصفات الحميدة التى جاء بها ديننا الاسلامى الحنيف .

والعافون عن الناس جزاؤهم عند اللــه جنة عرضها الســموات والارض ، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقــون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحســنين »(١) . ولقد ضرب لنا نبينا « محمد » عليه الصلاة والسلام المثل الاعلى فى العفو والصفح عن كل من آذاه :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها

قالت للنبى ﷺ : « هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

قال : « لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسى على « ابن عبد ياليل بن عبد كلال »(٢) .

فلم يجبنى الى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهوم على وجهى ، فــلم أستفق الا وأنا « بقرن الثعالب »(٣) فرفعت رأسى واذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها « جبريل » عليه السلام فنادانى فقال :

---

(١) سورة آل عمران ١٣٣ ــ ١٣٤ .

(٢) اسمه «كنانة» من ثقيف ، وكان أكبر أهل الطائف .

(٣) وهو ميقات أهل نجد ، على بعد يوم وليلة من مكة .

ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك ومـا ردوا عليك وقد بعث اليـك ملك الجبال[٤] • لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسـلم على ثم قال : يا « محمد » ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت : ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين[٥] فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا » أ هـ[٦] •

فأنظر أيها المسلم الى عفو نبيك ﷺ عن الكفار مع شدة ايذائهم له ، الا يعتبر هذا من أروع المواقف فى العفو والصفح والحلم ؟

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى نجيده بردائه جبذة شديدة ، فنظرت الى صفحة عاتق النبى ﷺ [٧]وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قـال : يا « محمد » مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء » أ هـ[٨] • ومن يتتبع حياة الرسول عليه الصلاة والسلام يجدها حافلة بالمواقف النبيلة التى تمثل أروع الامثلة فى العفو عـن عثرات الناس ، لا فرق فى ذلك بين الكفار والمسلمين •

أفلا تكون لنا فى رسول الله ﷺ الاسوة الحسنة ؟ والله سبحانه

---

(٤) اى المتصرف عليها بأمر الله تعالى •

(٥) الاخشبان : الجبلان المحيطان بمكة •

(٦) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ٢٨٥ •

(٧) اى جانب عاتق النبى ﷺ ، والعاتق : ما بين العنق والكتف •

(٨) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٨٦ •

وتعالى يقــول : « لقد كان لكم فى رسول الله أســوة حسنة لمن كانَ يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »[٩] •

ولقد اقتفى الصحابة رضوان الله عليهم أثر النبى عليه الصــلاة والسلام فى العفو والصفح والحلم ، وغير ذلك من الشمائل التى جاء بها منهج الاسلام • وحسبى أن أشير هنا الى موقف من مواقف أحــد الصحابة الذى يمثل العفو عن عثرات المســلمين : فهذا « أبو بــكر الصديق » رضى الله عنه ، كان ينفق على « مســطح » ابن خالته ، ونظرا لان « مسطح » كان قد اشترك فى حديث الافك ، فقد حــلف « أبو بكر » أن يقطع الانفاق على « مسطح » الذى كان فقيرا ، فنزل قول الله تعــالى :

« ولا يأتل أولوا الفضــل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القــربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبــون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »[١٠] •

فقال « أبو بكر » رضى الله عنه : بل أنا أحب أن يغفر الله لى ، وأعاد الى « مسطح » ما كان ينفقه عليه وعفا عنه •

ومن يقلب النظر فى السنة المطهرة يجدها حافلة بالاحاديث التى تحث على العفو والصفح ، وتبين فضل العافين عن الناس •

وسأقتطف من بستان النبوة بعض الازهار ، والرياحين التى تبين فضل العافين عن عثرات المســلمين :

---

(٩) سورة الاحزاب ٢١ •
(١٠) سورة النور ٢٢ •

فعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخـل من أى أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين كم شاء : من أدى دينا خفيا ، وعفا عن قاتله[11] .

وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات « قل هو الله أحد » فقال « أبو بكر » أو احداهن يا رسول الله ؟ فقال : أو احداهن » أ هـ[12].

المعنى : انها لبشارة سعيدة يزفها النبى ﷺ لكل مؤمن امتثـل لتعاليم الاسلام ، وأداها كاملة وفقا لمنهـج الاسلام حيث قـال : « ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أى أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين كم شاء » والامور الثلاثة هن :

الاول : من أدى دينا لصاحبه كان خافيا عليه ولا يعلم به كأن ورثه وهو لا يعلم بذلك الدين .

والثانى : من تجاوز عن حقه فى القصاص من القاتل العمد ، أو الدية عن قتل الخطـأ .

والثالث : أن يقرأ دبر كل صلاة مفروضة عشر مرات « قل هو اللـه أحد » الـخ السورة .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يجرح فى جسده جراحة

---

(١١) أى تجاوز عن حقه فى القصاص ، أو الدية من القاتل .
(١٢) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٥٠٩ .

فيتصدق بها الا كفر الله تبارك وتعالى عنه مثل ما تصدق به » أ هـ[١٣] .

المعنى : لقد شرع الله القصاص فقال تعالى :

« وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له »[١٤] .

وقال تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا »[١٥] .

ومن ينظر فى سماحة الدين الاسلامى يجده مع أنه شرع القصاص الا أنه فى الوقت نفسه شرع العفو وحث عليه ، وبين فضله ، والحديث الشريف بين أن من جرح فى جسده جراحة فتصدق بها ، أى عفا عن الذى فعل ذلك الا كفر الله تعالى عنه مثل ما تصدق به عضوا بعضو .

وعن « أبى كبشه الانمارى » رضى الله عنه

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من صدقة[١٦] . ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا ، فاعفوا يعزكم الله ، ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح عليه باب فقر أو كلمة نحوها » أ هـ[١٧] .

---

(١٣) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٥٠٨

(١٤) سورة المائدة ٤٥ .

(١٥) سورة النساء ٩٢ .

(١٦) أى أن المال اذا أخرجت منه الصدقة ظل كما هو دون أن ينقص .

(١٧) رواه احمد ، الترمذى،وقال حسن صحيح انظر الترغيب حـ٣ ص٥١١

المعنى : أقسم عليه الصلاة والسلام على الامور الثلاثة الآتية، وذلك لتحقق وقوعهن :

الاول : أن المال اذا أخرج الانسان منه الصدقة فان المال لا ينقص بل يظل كما هو قبل خروج الصدقة ، وذلك سر من أسرار اللـــه تعـالى .

الثانى : اذا ظلم الانسان مظلمــة فصبر عليها ، أى حبس نفســه عن الانتقام من ظالمه ، وعفا عنه الا زاده الله عزا ، ولذا أمر عليه الصلاة والسلام بالعفو فقال : « فاعفوا يعزكم اللـــه » .

الثالث : ما فتح عبد باب مسألة ، أى السؤال من المخلوق الا فتح الله عليه باب فقــر .

من هذا يتبين فضل العفو عن عثرات المسلمين .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رســول الله صلى الله عليــه وســلم قــال :

« ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عــزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل » أ هـ[١٨] .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟

---

(١٨) رواه مسلم والترمذى ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٥١١ .

قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : تدلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » أ هـ[19] .

المعنى : انه لاسلوب رائع من أساليب التربية الذى كان يستعمله النبى عليه الصلاة والسلام مع صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، حيث كان ينوع فى أساليبه حسبما يقتضى المقام :

فكان تارة يستعمل أسلوب الاغراء ، وأحيانا أسلوب النهى ، وتارة أسلوب الاستفهام ، وهكذا كان ينوع فى أساليبه المشوقة البليغة حتى ربى أعظم جبل عرفه التاريخ على الاطلاق .

وفى هذا الحديث يستعمل ﷺ أسلوب العرض الذى يفيد التشويق فيقول : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات » ؟

فيجيبه الصحابة اجابة التلميذ المؤدب مع أستاذه : « نعم » أى دلنا يا رسول الله ، فيقول : « ان الامور التى يترتب على فعلها رفع الدرجات عند الله تعالى أربعة :

الاول : أن تدلم على من تسافه ، أو تحامق عليك ، كما قال تعالى فى وصف عباد الرحمن :

« واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »[20] .

الثانى : أن تعفو عمن ظلمك .

الثالث : أن تعطى من حرمك .

(١٩) رواه البزار والطبرانى ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٥١١ .
(٢٠) سورة الفرقان ٦٣ .

الرابع : أن تصل من قطعك .

حقـا : انها لصـفات سامية نبيلة ، لا يوفـق الى فعلها الا من كتبت له السعادة فى الازل .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنـه

أن النبى ﷺ قال : « اذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم تقطر دما ، فازدحموا على باب الجنة ،

فقيل : من هـؤلاء ؟

قيل : الشهداء كانوا أحياء مرزقين ، ثم نادى مناد : ليقم من أجـره على الله فليدخل الجنة ، ثم نادى الثانية : ليقم من أجره على اللـه فليدخل الجنة ،

قال : ومن ذا الذى أجره على الله ؟

قال : العافون عن الناس .

ثم نادى الثالثة : ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ، فقـام كذا وكذا ألفا فدخلوها بغير حساب » أ هـ(٢١) .

حقـا : انه لفضل كبير ، وشرف عظيم ، حيث يكرم الله تعالى العافين عن عثرات الناس فيدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب .

---

(٢١) رواه الطبرانى باسناد حسن ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٥١٤ .

وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما

أن النبى ﷺ قــال : « ارحمــوا ترحمــوا ، واغفــروا يغفــر لكم » أ هـ[22] .

— والله أعـلم —

(٢٢) رواه أحمد باسناد جيد ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٥١٣ ٠

« قضاء حوائج المسـلمين »

اقتضت حكمة الله تعالى أن خلق الناس متباينين فيما بينهم كى يستقيم نظام الكون .

ونحن اذا مـا أمعنا النظـر فى بنى الانسان وجـدنا هذا غنيـا ، والآخر فقيرا ، وهذا سليما ، وغـيره سقيما ، وهذا متعلما ، وذاك جـاهلا الـخ .

وما ذلك الا لحكم لا يعلمها الا الحكيم الخبير . من هذه الحكم التى خفى علينا الكثير منها ما أشارت اليه هذه الآية الكريمة :

« أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون »[1] .

ونظرا لاهمية قضاء حوائج المسلمين فقد جاءت السنة المطهـرة حافلة بالاحاديث التى تحث وتبين فضل ذلك .

وهاأناذا سأقتطف من بستان النبوة بعض الرياحـين الواردة فى هذا المقـام :

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ،

---

(١) سورة الزخرف ٣٢ .

من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » أ هـ[٢] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » أ هـ[٣] .

المعنى : هذان الحديثان أشارا الى العديد من أنواع فعل الخير مع بيان فضل قضاء حوائج المسلمين ، واليك أيها المسلمبيان ذلك :

الاول : أخبر النبى ﷺ أن المسلم أخو المسلم ، فيجب عليه أن لا يظلمه ، ولا يسلمه لعدو يفعل به أى شىء يؤذيه ، بل عليه أن يحافظ عليه ، ويمنعه مما يمنع منه نفسه .

الثانى : أن من كان فى حاجة أخيه المسلم بأن يسعى فى قضائها له، كان الله فى حاجته ، وهنيئا لمن كان الله معه يدافع عنه ، وييسر له قضاء حوائجه .

---

(٢) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ١٢٦ .
(٣) رواه مسلم ، انظر المرجع المتقدم .

الثالث : أن من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، بأن كان سببا في ادخال السرور عليه ، وازالة الهموم والاحـزان التى تجول فى نفسه وخاطره ، اثابه الله تعالى على ذلك ، وفرج عنه الاهوال التى يشيب منها الولدان يوم القيامة .

الرابع : أن من وجد على مسلم ، أو مسلمة عيبا فستره عليه بحيث لم يذعه بين النـاس ليفضحه به فى الدنيـا ، أكرمه اللـه تعالى وستر عيوبه يوم تبلى السرائر .

الخامس : أن من وجد مسلما فى شدة فيسر عليه ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة .

السادس : أن من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنـة .

السابع : ذكر الله تعالى من أفضل القربات الى الله تعالى ، كمـا قـال تعـالى : « فـاذكرونى أذكركم واشـكروا لى ولا تكفرون »(٤) .

وقال تعالى محذرا من اغفال ذكر الله تعالى :

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »(٥) .

وما اجتمع جماعة من المسلمين فى بيت من بيوت الله تعالى يتـلون كتاب الله وهو أفضل الاذكار ، ويتدارسونه بينهم ، أى يطلبون فهم

---

(٤) سورة البقرة ١٥٢ .
(٥) سورة الزخرف ٣٦ .

معانيه ، الا أثابهم الله تعـــالى على ذلك ، فأنزل عليهم الطمأنينـــة ، وغشاهم برحمته ، وباها بهم الملائكة .

وختم النبى ﷺ حديث « أبى هريرة » بقاعدة كلية عظيمة ، وهى أن الذى يقـــرب الانسان من الله تعالى عمـــله الصالح ، لا حســـبه ونسبه ، وصدق الله حيث قال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »(٦) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « كل سلامى(٧) من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجـــل فى دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعة صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وتميط الاذى عـــن الطريق صـــدقة » أ هـ(٨) .

وعن « زيد بن ثابت » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزال الله فى حاجة العبد ما دام فى حاجة أخيـــه » أ هـ(٩) .

ـ واللـــه أعـــلم ـ

---

(٦) سورة الزلزال ٧ ـ ٨ ٠

(٧) السلامى : بضم السين : أصله عظام الاصابع وسائر الـكف ، ثم استعمل فى سائر عظام البدن ومفاصله ٠

(٨) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ١٢٨ ٠

(٩) رواه الطبرانى ، ورواته ثقات ، انظر الترغيب حـ٣ ص ٦٢٨ ٠

(تابع) صـفات على المسلم أن يتحـلى بها

أ) حسـن الخـلق •

ب) الحـلم والرفـق •

جـ) الحيـــاء •

د) الشفقة على خلق الله •

هـ) الصـــدق •

و) طلاقة الوجه وطيب الـكلام •

وهذا تفصيل الحديث عن هذه الصفات فى ضوء الكتاب والسنة مع بيـان فضلها :

« حسن الخلق »

ان حسن الخلق من الصفات الحميدة ، وقد كان نبينا « محمد » ﷺ أحسن الناس خلقا ، يشير الى ذلك الحديثان التاليان :

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا » أ هـ[1] .

وعن « أنس » أيضـــا قال :

ما مسست ديباجا ، ولا حريرا ألين من كف رسول اللـــه ﷺ ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى قط « أف » ولا قال لشىء فعلته لم فعلته ، ولا لشىء لم أفعله ألا فعلت كذا » أ هـ[2] .

وقال الله تعالى مثنيا على نبينا « محمد » ﷺ بحسن الخــلق : « وانك لعلى خلق عظيم »[3] .

ونظرا لاهمية حسن الخلق فى الدين الاسلامى فقد جاءت الســـنة المطهرة حافلة بالاحاديث التى تحث على حسن الخلق وتبين فضله :

فعن « النواس بن سمعان » رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله ﷺ عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخــلق والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » أ هـ[4] .

---

(١) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٨٧ .
(٢) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٨٧ .
(٣) سورة القلم ٤
(٤) رواه مسـلم ، أنظر رياض الصالحين ص ٢٨٧ .

فأنظر أيها المسلم كيف حصر النبى عليه الصلاة والسلام البــر فى حسن الخــلق •

والمراد بالبر هنا كل أمر حميد جاء به الشرع الشريف •

وعن « أبى الدرداء » رضى الله عنه

أن النبى ﷺ قال : « ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيــامة من حسن الخلق ، وان الله يبغض الفاحش البذىء » أ هـ[٥] •

المعنى : أخبر النبى ﷺ فى هذا الحديث بأنه ليس هناك شىء أثقــل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخــلق •

وذلك لانه اذا اجتمع الايمان وحسن الخلق فى شخص فانه سيظفر بالمرتبة العليا من الايمان •

يشير الى ذلك الحديث التــالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » أ هـ[٦] •

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟

قال : « تقوى الله وحسن الخلق » •

---

(٥) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، أنظر رياض الصالحين ص٢٨٨
(٦) رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، أنظر رياض الصالحين ص٢٨٨

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال :

« الفم والفــرج » أ هـ[7] •

المعنى : سئل النبى ﷺ عن أمرين هــامين ، فأجاب عليهما اجــابة واضحة وصريحة :

الامر الاول : سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تقوى الله وحسن الخلق » •

والامر الثانى : سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « الفــم ، والفــــرج » •

وعن « أبى أمامة الباهلى » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنــة[8] لمن ترك المــراء وان كان محقا •

وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا •

وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » أ هـ[9] •

المعنى : تكفل النبى ﷺ — وكفالته محققة — بثلاثة أمور :

الاول : ببيت حول الجنة خارجا عنها لمن ترك المــراء ، أى الجــدال وان كان صاحب حــق •

---

(٧) رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، انظر رياض الصالحن ص ٢٨٨
(٨) ربض الجنة : بفتح الراء : ما حولها خارجا عنها •
(٩) رواه أبو داود باسناد حسن ، انظر راض الصالحن ص ٢٨٩ •

والثانى : ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا ٠

والثالث : ببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه ٠

فأنظر أيها المسلم الى مرتبة حسن الخلق ، انها فى أعلى المراتب عند اللــــه تعــــالى ٠

وعن « جابر » رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان من أحبكم الى ، واقربكم منى مجلسا يوم القيــامة أحاسنكم أخلاقا ، وان أبغضــكم الى ، وأبعدكم منى يوم القيــامة الثرثارون[١٠] والمتشدقون[١١] والمتفيهقون ، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » أ هـ[١٢] ٠

المعنى : لقد بلغ حسن الخلق بصاحبه مرتبة عظيمة : فهو محبب الى النبى ﷺ ، ويوم القيامة يكون فى درجة قريبة منه عليه الصلاة والسلام٠ كما بلغ سوء الخلق بصاحبة نهاية وخيمة : فهو مبغض عند النبى ﷺ ، والويل ثم الويل لمن كرهه الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

وعن « أبى ذر » رضى الله عنه قال :

قال لى رسول الله ﷺ : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » أ هـ[١٣] ٠

---

(١٠) الثرثاء : هو كثير الكلام تكلفا ٠
(١١) المتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ٠
(١٢) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، أنظر رياض الصالحين ص ٢٨٩ ٠
(١٣) رواه الترمذى ، وقال حسن صحيح ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٥٣٠

المعنى : تضمن هذا الحديث الامر بثلاثة أشياء :

الاول : على الانسان أن يتق الله فى كل مكان بحيث لا يفعل الا ما يتفق مع ما جاء به الدين الاسلامى الحنيف ، ولان الله مطلع عليه ، فهو لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء • والا كان ممن ذمهم الله بقوله : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان اللهبما يعملون محيطا »(١٤) •

والثانى : اذ فعل سيئة فعليه أن يتبعها بفعل الحسنة كى تكفرها ، فالحسنات يذهبن السيئات •

والثالث : عليه أن يخالق الناس بخلق حسن •

وأعلم أيها المسلم أن لحسن الخلق درجة عظيمة ، ومرتبة رفيعة : فبحسن الخلق يبلغ الانسان أسمى الدرجات عند الله تعالى • وبحسن الخلق تثقل كفة الحسنات يوم القيامة وبحسن الخلق يكون الانسان محبوبا عند النبى ﷺ • ولاهمية حسن الخلق فقد كان نبينا « محمد » ﷺ يتعوذ من سوء الخلق •

وكان يطلب فى دعائه أن يحسن الله خلقه •

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم كما أحسنت خلقى فأحسن خلقى » أ هـ(١٥) •

---

(١٤) سورة النساء ١٠٨ •

(١٥) رواه أحمد ، ورواته ثقات ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٦٥٣ •

وأعلم أيها المسلم أن الاخلاق منح من الله تعالى فالسعيد من منحه الله خلقا حسنا . والشقى من كان نصيبه خلقا سيئا .

يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان هذه الاخلاق من الله تعالى ، فمن أراد الله به خيرا منحه خلقا حسنا ، ومن أراد الله به سوءا منحه خلقا سيئا » أ هـ[16] .

ولذا فقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يتعوذ من سوء الخلق :

فعن « أبى هريرة » أيضا قال :

كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم انى أعوذ بك من الشقاق[17] ، والنفاق ، وسوء الاخلاق » أ هـ[18] .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » أ هـ[19] .

نعم : انه لتشبيه بليغ حيث شبه النبى ﷺ الخلق الحسن بالماء،

---

(١٦) رواه الطبرانى الاوسط ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٦٥٦ .
(١٧) الشقاق : التخاصم .
(١٨) رواه أبو داود ، والنسائى ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٦٥٨ .
(١٩) رواه البيهقى ، والطبرانى فى الكبير ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٦٥٥ .

والخطايا بالجليد ، فكما أن الماء اذا وضع فــوق الجليد يذيبه ، ولا يبقى له أثــرا •

فكذلك الخلق الحسن يمحو الله به الخطايا ويزيلها • كما شبه الخلق السيء بالخل والاعمال الصالحة بالعسل •

فكما أن الخل اذا مزج بالعسل أفسده ، فكذلك الخلق السيء يفســد الاعمال الصالحة ، بمعنى أنه يكون سببا فى احباط ثوابها •

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

قالت « أم حبيبة » : يا رسول الله المرأة يكون لها زوجان[٢٠] ثــم تموت فتدخل الجنة هى وزوجاها ، لايهما تكون ، للاول أو للاخر ؟

قال : « تخير أحسنهما خلقا كان معها فى الدنيــا يكون زوجها فى الجنــة، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » أ هـ[٢١] •

المعنى : هذا السؤال الذى سألته « أم حبيبــة » أم المؤمنين رضى الله عنها للرسول ﷺ فى غاية الاهمية ، حيثما قالت له :

يا رسول الله المرأة قــد يكون لها زوجان فى الدنيــا ، بمعنى أنهــا تزوجت بأحدهما فمات عنهــا ، ثم تزوجت بالرجل الثانى ، ثم تمــوت ، فتدخل الجنة هى وزوجاها لايهما تكون للاول ، أو للثانى ؟

فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام : « تخير » أى يخيرها اللــه

---

(٢٠) أى الدنيا بأن تتزوج بأحدهما ثم يموت عنها فتتزوج بالثــانى
(٢١) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٥٤ ٠

عز وجل بينهما ، فأحسنهما خلقا كان معها فى الدنيا ، يكون زوجها فى الجنة . ثم يعقب النبى ﷺ على ذلك بقوله :

« يا أم حبيبة » ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان أحبكم الى أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا(٢٢) الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبرءاءا العيب » أ هـ(٢٣) .

المعنى : لقد فاز أصحاب الخلق الحسن بحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، والسعيد من أحبة النبى ﷺ . كما خاب وخسر أصحاب الاخلاق السيئة المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبرآء العيب .

وذلك لان النبى ﷺ يبغضهم ، والويل ثم الويل لمن كرهه الرسول عليه الصلاة والسلام .

وعن « جابر بن سمرة » رضى الله عنهما قال :

كنت فى مجلس فيه النبى ﷺ ، وسمرة ، وأبو أمامة ، فقال : « ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء ،وان أحسن الناس اسلاما أحسنهم خلقا » أ هـ(٢٤) .

المعنى : الاسلام دين المبادىء السامية ، والاخلاق الفاضلة ، أما

---

(٢٢) الموطئون أكنافا : أى الهينون المتواضعون .
(٢٣) رواه الطبرانى فى الصغير ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٥٤ .
(٢٤) رواه أحمد باسناد جيد ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٥٢ .

الاخلاق القبيحة ، والعادات الذميمة ، والافعال السيئة ، فليست من الاسلام ، لان الله تعالى لا يأمر بالفحشاء • فمن حسنت أخلاقه فقد حسن اسلامه •

وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما قال :

لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ، ولا متفحشا ، وكان يقول : « أن من خياركم أحسنكم أخلاقا » أ هـ[٢٥] •

اللهم أرزقنى وسائر المسلمين خلقا حسنا انك سميع قريب مجيب الدعاء ،،،،،

— والله أعلم —

(٢٥) رواه البخارى ، ومسلم ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٤٢ •

الحـــلم والرفـــق

الحلم صفة كريمة ، وقد وصف الله به المتقين فى قوله : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها الســموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحســنين »[1] •

ولعظم شأن الحلم عند الله تعالى فقد أمر به النبى عليه الصــلاة والســلام فى قوله :

« خــذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[2] • والحلم يزيل ما علق بالنفس من عداوة وبغضاء فهو كالدواء للنفوس •

يشير الى ذلك قول الله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »[3] •

ولعظم شأن الحلم وأهميته فى الدين الاسلامى فقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالاحاديث التى تحث على الحلم والرفق ، وتبين فضلهما ، واليك أيها المســلم قبســا من ذلك :

---

(١) ســورة آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٤ •
(٢) ســورة الاعراف ١٩٩ •
(٣) ســورة فصلت ٣٤ ـ ٣٥ •

فعن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بمن يحرم على النـــار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟

تحرم على كل قريب هين لين سهل » أ هـ(٤) .

حقـــا : انها لبشرى سارة وعظيمة يزفهـــا النبى الرءوف الرحيـــم الحليم لسائر المسلمين حيث قال :

« ألا أخبركم بمن لا يدخل النار ، تحـــرم على كل من وصف بالصـــفات التاليـــــة :

فكان قريبا هينا لينا ســـهلا .

لهذا فان من حرم الحلم والرفق فقد حرم فضلا كبيرا ، يشـــير الى ذلك الحديث التـــالى :

فعن « جرير بن عبد الله » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يحـــرم الرفـــق يحرم الخـــير كله » أ هـ(٥) .

وعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

قال رسول اللـــه ﷺ : « ان الله رفيـــق يحب الرفـــق فى الامـــر كله » أ هـ(٦) .

---

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٢٩٢ .
(٥) رواه مسلم ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٢٩١ .
(٦) متفق عليه ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٥٩ .

وفى رواية : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سـواه » أ هـ[7] •

المعنى : يفهم من هـذين الحديثين الشريفين أن الرفـق صفة من صفات الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى يحب من يتحلى بالرفق ، لانه لا يكون فى شىء الا ذاته ، ولا ينزع من شىء الا شأنه • والله سـبحانه وتعالى يعطى من الاجر والثواب على الرفق ما لا يعطى على ماسواه •

وقد مدح النبى عليه الصلاة والسلام « أشج عبد القيس » بالحـلم والاناة ، كما جاء فى الحديث التالى :

فعن « عبد الله بن عباس » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ « لاشج عبد القيس » :

« ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والاناة » أ هـ[8] •

وعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

ما خير رسول اللـه ﷺ بين أمرين قط الا أخذ أيسرهمـا ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسـول الله ﷺ لنفسه من شىء قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى » أ هـ[9] •

حقـا : انها الاخلاق النبوية الفاضلة التى لا يماثلها شىء ، وتلك النتيجة الطبيعية للعناية الالهية التى شمل الله بها نبيه « محمـدا » ﷺ فأدبه وأحسن تأديبه ، ووضعه بقوله : « وأنك لعلى خلق عظيم »[10] •

---

(٧) رواه مسلم ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٥٩ •
(٨) رواه مسلم ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٦٤ •
(٩) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٩٢ •
(١٠) سـورة القـلم ٤ •

وعن « عائشـــة » أم المؤمنين رضى الله عنها :

أن رسول الله ﷺ قال لها : « يا عائشة ارفقى فان الله اذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق » أ هـ(١١) .

المعنى : هـــذا توجيه من النبى ﷺ لزوجه « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها بالرفق فى الامور كلها ، لان الرفق سبب فى كثرة الخير ، واستقامة الامر ، وحسن معاش الاسرة .

وهـــذا التوجيه النبوى وان كان خاصا بأم المؤمنين رضى الله عنها ، الا أنه يعم جميع المســـلمين ، اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ومما جاء مؤيدا للحـــديث المتقدم فى المعنى الحديث التالى :

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهمـــا :

أن الرســـــول ﷺ قـــال : « مـــا أعطى أهـــل بيت الــــرفق الا نفعهم » أ هـ(١٢) .

وعن « أنس بن مـــالك رضى الله عنـــه :

عن النبى ﷺ قال : « يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا » أهـ(١٣) .

— والله أعـــلم —

---

(١١) رواه أحمد ، والبزار ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٦٠ .
(١٢) رواه الطبرانى باسناد جيد ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٦١ .
(١٣) رواه البخارى ومسلم ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٦٢ .

« الحيـــاء »

قال العلماء : « حقيقة الحيــاء خــلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق » .

وقيل : الحياء رؤية الآلاء ، ورؤية التقصير ، فيتولد بينهما حالة تسـمى الحيــاء » .

والحياء صفة حسنة كريمة ، وقد اتصف به نبينا « محمد » ﷺ :

فعن « أبى سـعيد الخـدرى » رضى الله عنه قال :

كان رســول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، فاذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه » أ هـ(١) .

كما اتصف بالحياء الكثيرون من صحابة رسول الله ﷺ أذكر منهم « عثمان بن عفان » رضى الله عنه الذى وصفه النبى عليه الصـلاة والسلام بأنه رجل حى ، وأن الملائكة تســتحيى منه ، يشير الى ذلك الحـديث التالى :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

كان رســول الله ﷺ مضــطجعا فى بيتى كاشفا عن ســاقيه ، فاســتأذن « أبو بكر » فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدث ، ثم استأذن « عمر » فأذن له وهو كذلك فتحدث .

---

(١) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٣٠٧ .

ثم استأذن « عثمان » فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه فدخل فتحدث .

فلما خرج قالت « عائشة » : يا رسول الله دخل « أبو بكر » فلم تهتش له[٢] ولم تباله ، ثم دخل « عمر » فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل « عثمان » فجلست وسويت ثيابك ، فقال : « ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة » أ هـ

وفي رواية : قال : « ان « عثمان » رجل حيي واني خشيت أن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ الي في حاجته » أ هـ[٣] .

ولعظم شأن الحياء في الدين الاسلامي فقد جعله نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام شعبة من شعب الايمان .

يشير الى ذلك الحديث التالي المتفق عليه :

فعن « أبي هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الايمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة[٤] .

فأفضلها قول « لا اله الا الله » وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان » أ هـ[٥] .

---

(٢) فلم تهتش له : أي لم تنبسط معه .
(٣) رواهما مسلم ، انظر : التاج جـ ٣ ص ٣٢٧ .
(٤) البضع بكسر الباء : القطعة من الشيء ، وفي العدد من الثلاث الى التسع ، ومعنى شعبة : خصلة .
(٥) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٣٠٧ .

وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : « دعه فان الحياء من الايمان » أ هـ(٦) .

فان قيل :

لماذا جعل الشارع الحياء من الايمان ؟

أقول : لانه من الصفات الحميدة ، ولا يوصف به شخص الا هداه الله الى الامور التى تتفق ومنهج الاسلام .

يوضح ذلك الحديث التالى :

فعن « عمران بن حصين » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « الحياء لا يأتى الا بخير » أ هـ(٧) .

وفى راوية : « الحياء خير كله » أ هـ(٨) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « الحياء من الايمان ، والايمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » أ هـ(٩) .

أنها لنهاية سعيدة لكل حيى اذا تمسك بتعاليم الاسلام ، فان الله تعالى سيدخله الجنة .

---

(٦) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٣٠٦ .
(٧) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٣٠٦ .
(٨) رواه مسلم ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٦٣٦ .
(٩) رواه أحمد ، والترمذى ، وقال : حسن صحيح ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٦٣٦ .

أما من حرم الحياء فقد حرم الخير الكثير ، لان البذاء وهو الفحش فى الكلام من الجفاء ، والجفاء فى النار .

واذا أراد الله أن يهلك شخصا نزع منه الحيـــاء .

يوضح ذلك الحــديث التالى :

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم قال :

« ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبــدا نزع منه الحيـــاء ، فاذا نزع منه الحياء لم تلفه[١٠] الا مقيتا[١١] فاذا لم تلفه الا مقيتا ممقتا نزعت منه الامانة ، فاذا نزعت منه الامـــانة لم تلفـــه الا خائنا مخونا ، فاذا لم تلفه الا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فاذا نزعت منه الرحمـــة لم تلفه الا رجيما[١٢] ملعنا[١٣] فاذا لم تلفه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقـــة[١٤] الاســـلام » أ هـ[١٥] .

أنها لنهاية سيئة لمن حرم الحياء ، فقد أخبر ﷺ فى هـــذا الحديث بأن الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء . واذا نزع منه الحياء أصبح ممقوتا لدى الناس .

---

(١٠) لم تلفـــه : لم تجـده .
(١١) مقيتا : بمعنى ممقوتا أى مبغضا .
(١٢) رجميا : يعنى مرجوما ، أى مطرودا من رحمة الله تعالى .
(١٣) اللعن الطرد من رحمة الله .
(١٤) الربقة : بكسر الراء وفتحها : هى عرى فى حبل تشد به البهـــــم وتستعاد لغيرهـا .
(١٥) رواه ابن حبان ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٦٤٠ .

واذا أصبح ممقوتا نزعت منه الامانة فيصبح خائنا • واذا أصبح خائنا نزعت منه الرحمــة •

واذا نزعت منه الرحمة أصبح مطرودا من رحمة الله ، واذا طرد من رحمة الله نزعت منه ربقة الاسلام •

من هــذا يتبين أن من حرم الحيــاء فقــد حــرم الخير كله ، وحينئذ لا يستبعد منه فعل كل شيء قبيح •

يشير الى ذلك قول النبى ﷺ :

« ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى :

« اذا لم تســتح فاصــنع ما شئت » أ هـ •

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكرمنى واياكم بالحياء أنه سميع مجيب •

ــ والله أعــلم ــ

« الشفقة على خلق الله »

الدين الاسلامى دين تراحم ، وتعاطف ، ومحبة ، وقد وصف اللـــه نبى الاسلام بالرأفة والرحمة ، فقال تعالى : « لقد جاءكم رســـول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »[1] •

والشريعة الاسلامية أسمى مبادئها : التآلف والترابط ، والمحبة بين أفرادها ، ومن يقلب الفكر فى السنة النبوية يجدها حافلة بالاحـــاديث التى تحث وترغب فى الشفقة على مخلوقات الله بدون تفريق بين الانسان وكل ذى كبد رطبة •

وقد رأيت أن أقتطف من رحيق السنة المطهرة ولو القليل لابين مدى اهتمام « الاسلام » بالحث على الشفقة على خلق الله ، مع بيان فضـــل ذلك :

فعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » أ هـ[2] •

المعنى : أخبر النبى ﷺ فى صدد هذا الحديث بأن الراحمـــين لعباد

---

(١) ســـورة التـــوبة ١٢٨ ·
(٢) رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٣٥٢ ·

الله وسائر مخلوقاته يستدقون رحمة الله ، وطوبى لعبد سعد بالرحمة من الله فانه سيفوز بالجنة والرضـــوان .

ونظرا لاهمية الرحمة فقة تضمن الشطر الاخير من الحديث الامر من النبى الرءوف الرحيم بالرحمة على جميع مخلوقات الله ، لان من يكون رحيما سيرحمه الله تعالى .

أما من قسى قلبه على مخلوقات الله فانه سيحرم من رحمة الله ، والويل ثم الويل لشخص غضب الله عليه ومنعه رحمته .

فعن ((جرير بن عبد الله)) رضى الله عنه قال :

سمعت رســول الله ﷺ يقول : « من لا يرحم من فى الارض لا يرجمه من فى الســماء » أ هـ[3] .

وفى رواية عن « جرير » أيضـــا :

قال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » أ هـ[4] .

وعن ((أبى موسى الاشعرى)) رضى الله عنه :

أنه سمع النبى ﷺ يقول : « لن تؤمنوا حتى تراحمــوا ، قالوا يا رسول الله : كلنا رحم ؟

قال : « انه ليس برحمــة أحــدكم صــاحبة ، ولكنها رحمــة العــامة » أ هـ[5] .

المعنى : انها أحاديث فى غاية الوضوح والصراحة تبين أن من لم

---

(٣) رواه الطبرانى باسناد جيد ، أنظر : الترغيب جـ ٣ ص ٣٥٢ .
(٤) رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٥١ .
(٥) رومه الطبـــرانى : ورواتـــه رواة الصـــحيح ، انظـــر : الترغيب جـ ٣ ص ٣٥١ .

يرحم مخلوقات الله ، فانه سيحرم من رحمة الله ، كما علق النبى ﷺ ايمان العبد برحمته من يحتاج الى الرحمة من خلق الله .

وعن « أنس بن مـــالك » رضى الله عنه قال :

« كنا فى بيت فيه نفر من المهـــاجرين والانصـــار ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ فجعل كل رجل يوسع رجاء من يجلس الى جنبه ، ثم قام الى الباب فأخذ بعضادتيه[٦] فقال : « الائمة من قريش ، ولى عليكم حق عظيم ، ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثا :

اذا استرحموا رحموا ، واذا حكموا عدلوا ، واذا عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » أ هـ[٧] .

المعنى : أخبر النبى عليه الصـــلاة والســـلام فى هـــذا الحديث بشأن الائمة من قريش ، وقد احتج بها الخليفة « أبو بكر الصديق » رضى الله عنـــه على الانصـــار فى الاجتمـــاع الذى تم فى ســـقيفة « بنى ســـاعدة » لاختيار خليفة بعد الرسول ﷺ . .

ثم أخبر عليه الصلاة والسلام بأنه له على صحابته رضوان الله عليهم حق عظيم مثل : الطاعة ، والتوقير ، والمودة الخ .

وســـائر أفراد الامة الاســـلامية عليها هـــذا الحق للنبى عليه الصـــلاة والســـلام لانهم تبع ، وهم مكـــلفون بجميع تشريعـــات النبى ﷺ .

ثم أخبر ﷺ بأن لقريش حقا على المســـلمين وذلك تكريما للنبى عليه الصـــلاة والسلام ، لانه من قريش .

---

(٦) بعضادتيه : يعنى بمصراعيه .
(٧) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن ، انظـــر : الترغيب جـ ٣ ص ٣٥٣ .

ولكن النبى ﷺ جعل حق قريش مرتبطا بفعلهم ثلاثة أشياء :

الاول : اذا طلبت منهم الرحمة رحموا •

والثانى : اذا حكموا عدلوا •

والثالث : اذا عاهدوا وفــوا •

ثم أخبر عليه الصلاة والسلام بأن من لم يفعل هذه الخصال الثلاث فانه سيكون مستوجبا اللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين •

ومن ينعم النظر فى هذه الخصال الثلاث يجد من بينها التراحــم ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على عظم شــأن الرحمة ، ومن حــرم الرحمة فقد حرم الخير الكثير يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة « أبا القاســم » ﷺ يقول : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » أ هـ(١٨) •

وعن « أبى هريرة » أيضا قال :

قبل رسول الله ﷺ « الحسن » أو « الحســين بن على » وعنــده « الاقرع بن حابس التيمى » فقال : « الاقرع » : ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط ، فنظر اليه رسول اللــه ﷺ ثم قــال : « من لا يرحم لا يرحم » أ هـ(٩) •

---

(٨) رواه ابن حبان ، والترمذى ، وقال حديث حسن ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٥٤ •

(٩) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٥٥ •

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « دنا رجل الى بئر فنزل فشرب منها ، وعلى البئر كلب يلهث[١٠] فرحمه[١١] فنزع أحد خفيه فسقاه ، فشكر الله له[١٢] فأدخله الجنة » أ هـ[١٣] .

المعنى : هذه الحادثة ان دلت على شىء فانما تدل على سمو التشريع الاسلامى ، وتبين بجلاء أنه دين الرحمة ، والعطف ، والشفقة حتى على الحيوان ، فهذا الرجل الذى كان عطشانا فنزل البئر ليروى ظمأه ، فلما خرج وجد على حافة البئر كلبا يلهث ، أى يخرج لسانه من شدة العطش فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى ، فرق له وأشفق عليه ، فنزع أحد خفيه ونزل البئر فملأه وسقى الكلب .

هذا العمل فى ظاهره قد يبدو بسيطا ، ولكنه عند الله عظيم ، وهو يدل على رقة القلب . فتقبل الله تعالى ذلك العمل الانسانى ، وأثاب الرجل عليه فغفر له ذنوبه ، وأدخله الجنة . واذا كان منهج الاسلام قد حث على الشفقة ورغب فيها ، فانه فى الوقت نفسه نهى عن الغلظة على سائر مخلوقات الله .

والاحاديث التالية تبين لنا ذلك :

فعن « ابن مسعود » رضى الله عنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حمرة[١٤]

---

(١٠) يلهث : أى يخرج لسانه من شدة العطش .
(١١) فرحمه : يعنى رق له .
(١٢) أى أثابه على شفقته على هذا الحيوان الاعجم .
(١٣) رواه ابن حبان وغيره ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٦٦ .
(١٤) حمرة : أى طائر أحمر اللون .

معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش[١٥] فجـــاء النبى ﷺ فقال : من فجع هذه بولديها ؟

ردوا ولديها اليها ، ورأى قرية نمل[١٦] قد حرقناها فقال : من حرق هـــــــذه ؟

قلنـــا : نحن ، قـــال : انه لا ينبغى أن يعذب بالنـــار الا دب النار » أ هـ[١٧] .

المعنى : لما أخذ الصحابة فرخى الحمرة استنكر عليهم النبى عليه الصلاة والســـلام ذلك العمل وقال : « من فجـــع هذه بولديها ، أى من تسبب لها فى الالم والحـــزن .

ثم أمرهم برد فرخيها اليها .

فهل هناك خلق انسانى أسمى من الذى جاء به منهج الاسلام ؟

وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النـــار فى هرة ربطتها ، فـــلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش[١٨] الارض » أ هـ

وفى رواية :

عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت لا هى أطعمتها وسقتها ، اذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض » أ هـ[١٩] .

---

(١٥) تعرش : أى تبنى عريشا وهو العش .
(١٦) قرية نمل : أى موضع النمل مع بعضه .
(١٧) رواه أبو داود ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٥٨ .
(١٨) خشاش الارض : بفتح الخاء أى حشرات الارض .
(١٩) رواه البخارى وغيره ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٦٣ .

المعنى : هذه امرأة كانت قاسية القلب ، والقلب القاسى لا يعـرف للرحمة ، ولا للشفقة طريقا ، وقد بلغت قساوة قلب هذه المرأة أن حبست هرة ، ومنعت عنها الطعام والشراب حتى ماتت ، فعاقبها الله بأن أدخلها النار وبئس القــرار •

وعن « ابن مسعود البدرى » رضى الله عنه قال :

كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتا من خلفى : أعـلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب[٢٠] •

فلما دنا منى اذا هو رسول الله ﷺ فـاذا هو يقول : « أعـلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغـلام » فقلت : لا أضرب مملوكا بعده أبدا » أ هـ

وفى رواية : فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : « أما لو لم تفعل للفحتك النار ، أو لمستك النار » أ هـ[٢١] •

المعنى : لقد أهتم نبينا « محمد » ﷺ بالارقاء وأوصى بهم خيرا ، فقد ثبت عن : « على بن أبى طالب » رضى الله عنه أنه قال :

كان آخر كلام النبى عليه الصلاة والسلام :

« الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » أ هـ[٢٢] •

وعن « أم سلمة » رضى الله عنا قالت :

ان رسول الله ﷺ كان يقول فى مرضه الذى توفى فيه :

---

(٢٠) يعنى لم يستطع ان يميز الصوت •
(٢١) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، انظر الترغيب جـ٣ ص ٣٦٧
(٢٢) رواه أبو داود ، لنظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٧٤ •

« الصـــــلاة وما ملكت ايمانكم » فمازال يقولهـــا حتى مـا يفيض لسانه » أ هـ[٢٣] .

ولما شاهد عليه الصلاة والسلام « ابن مسعود » يضرب « مملوكه » نهاه وقال له كلمة بليغة : « أعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليـــك منك على هذا الغـــلام » .

وهكذا ينبغى لكل من يحاول أن يعتدى على من هو أضعف منـــه أن يتذكر قدرة الله عليه .

فما كان من « ابن مسعود » الا أن تاب الى رشده وكفر عن خطيئته فأعتق الغـــلام .

فقال له النبى ﷺ : « لو لم تفعل ذلك أى لو لم تعتق مملوكك لمستك النـــــــار .

من هذا يتبين أن من لم يرحم خلق الله لا يرحمه الله . والحـــديث التالى يؤيد هذا المعنى :

فعن « ابن مسعود » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول اللـــه ﷺ يقول : « من لم يرحـــم الناس لم يرحمـــه اللـــــه » أ هـ[٢٤] .

---

(٢٣) رواه ابن ماجه ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٧٤ .
(٢٤) رواه الطبرانى باسناد حسن ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٣٥٢ .

وعن « سهل بن الحنظلية » رضى الله عنه قال :

مر رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه[٢٥] فقال : « اتقــوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة،وكلوها صالحة » أ هـ[٢٦].

ــ واللــه أعــلم ــ

(٢٥) وذلك من شدة الجوع فهزل وضعف ·

(٢٦) رواه أبو داود ، وابن خزيمة ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٣٦٤ ·

« الصـــــدق »

الصـــدق : هو الخبر المطـــابق للواقع .

والصدق من أسمى الصفات الحميدة ، ولذا وصف الله به الانبياء عليهم الصلاة والسلام :

فقال فى شأن أبى الانبياء « ابراهيم » عليه السلام :

« واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا »[1] .

وقال فى شأن « ادريس » عليه السلام :

« واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا »[2] .

وقال فى شأن « اسماعيل » عليه السلام :

« واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا »[3] .

ولاهمية الصدق فى الدين الاسلامى فقد أمرنا الله به فقال تعـــالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »[4] .

وقد جاء كل من الكتاب ، والسنة حافلا بالنصوص التى تبين فضـــل الصـــدق :

---

(١) ســورة مريم ٤١ .
(٢) ســورة مريم ٥٦ .
(٣) ســورة مريم ٥٤ .
(٤) ســورة التوبة ١١٩ .

فمن الكتاب قول الله تعالى : « ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم »[٥] .

وقوله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم »[٦] .

وقوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا »[٧] .

وقوله تعالى : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم »[٨] .

ومن السنة المطهرة الاحاديث الآتية :

فعن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » أ هـ[٩] .

---

(٥) سورة الحديد ١٧ .
(٦) سورة الاحزاب ٢٣ ـ ٢٤ .
(٧) سورة النساء ٦٩ .
(٨) سورة المائدة ١١٩ .
(٩) متفق عليه ، انظر رياض الصالحين ص ٣٨ .

المعنى : الصدق مصدر من مصادر الخير ، لانه يهدى صاحبـــه الى فعل البر ، والبر كلمة جامعة تشمل جميع الافعال الحسنة الحميدة التى جاء بها ديننا الاسلامى الحنيف •

وهذه الافعال الحسنة هى الموصلة الى رضوان الله تعالى ، وجنـــات النعيم •

والانسان اذا ما التزم الصدق ، وداوم عليه ، كتب عند الله تعـــالى من الصـــــديقين •

والكذب مصدر من مصـــادر الشر ، لانه يسوق صاحبه الى فعـــل الفجور ، والفجور كلمة جامعة تشمل جميع الافعال القبيحة التى نها عنها الدين الاســـلامى •

وهذه الافعال السيئة تسوق مرتكبها الى النار وبئس القرار •

ولا يزال الانسان يكذب حتى يكتب عند الله كذابا •

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لـــكم الجنـــــة :

أصـــدقوا اذا حدثتم ، وأوفـــوا اذا وعدتم ، وأدوا اذا أئتمنتـــم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » أ هـ(١٠) •

المعنى : أخبر النبى ﷺ فى هذا الحديث بأنه هناك أمور ست ، مـــن

---

(١٠) رواه أحمد ، والحاكم ، وقال صحيح الاسناد ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٣٨ •

التزم القيام بها ، وأداها كاملة غير منقوصة ضمن له النبى ﷺ دخول الجنة :

الاول : أن يلتزم الانسان بالصدق دائما فى حديثه .

الثانى : اذا وعد وعدا وفى به ولا يخلفه .

الثالث : أن يحافظ على اداء الامانة أيا كان نوعها .

الرابع : أن يحفظ فرجه عما حرمه الله تعالى .

الخامس : أن يغض بصره عن المحرمات .

السادس : أن يحفظ يديه فلا يسرق بهما ، ولا يبطش بهما ، ولا يؤذى بهما .

وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما

أن رسول الله ﷺ قال : « أربع اذا لن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا :

حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة[١١] وعفة فى طعمة[١٢] » أ هـ[١٣] .

وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما قال :

قلنا : يا نبى الله من خير الناس ؟

قال : ذو القلب المخموم ، واللسان الصادق .

---

(١١) المراد حسن الخلق .
(١٢) أى فى مطعم ، فلا يأكل الا من حلال .
(١٣) رواه أحمد ، والبيهقى باسناد حسن ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٨٤٠

قال : يا نبى الله قد عرفنا اللســان الصادق فما القلب المخموم ؟

قال : النقى التقى الذى لا اثم فيه ، ولا بغى ، ولا حسد ، قال : قلنا : يا رسول اللهفمن علىأثره ؟

قال : « الذى يشنأ الدنيا[١٤] ويحب الآخرة ، قلنا : ما نعرف هذا فينا الا « رافع » مولى رسول الله ﷺ فمن على أثره ؟ قال : « مؤمن فى خـــلق حسن ، قلنا : اما هذه ففينا » أ هـ[١٥] .

ـ واللـــه أعــلم ـ

---

(١٤) أى يبغضــها .
(١٥) رواه ابن ماجه باسناد حسن ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٨٤٠ .

« طلاقة الوجه وطيب الكلام »

العلاقة بين المسلمين دعائمها الاساسية العديد من المبادىء الانسانية والاجتماعية ، والاخلاقية ، والسلوكية الخ .

والدين الاسلامى جاء بالحث على الصفات الحميدة التى تقوى العلاقة الاخوية بين المسلمين مثل :

صلة الرحم ، وبر الوالدين ، وحسن الجوار ، وقضاء حوائج المسلمين ، والشفقة على عباد الله ، وستر عورات المسلمين ، والحياء ، وحسن الخلق ، والحلم والرفق ، وغير ذلك من سائر الصفات الكريمة. ومن الاخلاق الفاضلة التى جاء بها ديننا الاسلامى الحنيف :

« طلاقة الوجه وطيب الكلام »

لان ذلك يبعث فى نفس المؤمن السرور ، والمحبة ، والاطمئنان . ومن ينعم النظر فى السنة المطهرة يجدها حافلة بالاحاديث التى تبين فضل « طلاقة الوجه وطيب الكلام » :

فعن « أبى ذر » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **تبسمك فى وجه أخيك صدقة،** وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل **فى أرض** الضلال لك صدقة ، واماطتك الاذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وأفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة » أ هـ[1] .

---

(١) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٦٨ .

المعنى : هذا الحديث الشريف يحث على فعل خمسة أشياء ، فيهـا مصحلة الفرد والجماعة ، ويبين ثوابها :

الاول : اذا لقى المسلم أخاه المسلم وتبسـم فى وجهه بأن أظهـر له البشر ، والحب ، وطلاقة الوجه أثابه الله تعالى على ذلك •

الثانى : الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر فيه الاجر الكبير من الله تعـالى •

الثالث : اذا وجد المسلم أخاه قد ضل الطريق فأرشده الى الطريق الصحيح الموصل الى مصلحته ، ومطلبه ، أثابه الله عـلى ذلك •

الرابع : اذا وجد الانسان فى الطـريق أى شىء يؤذى المارة مثـل : الشوك ، والعظم ، والزجاج ، والحجارة الخ فأزالة ونحاه عن طريق المسلمين أعطاه الله على ذلك الاجر الجزيل •

الخامس : اذا كان الانسان على مورد ماء وجاء أحد اخوانه المسلمين يريد أن يستسقى فعـاونه على ذلك وأفـرغ له من دلوه ، أكرمه الله تعالى ، وكتب له بذلك حسنة •

فأنظر أيها المسلم الى قول النبى ﷺ :

« تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة » ألا يعتبر ذلك حثا على طلاقة الوجه وطيب الكلام ؟

وعن « أبى جرى الجهيمى » رضى الله عنه قال :

أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله انا قوم من أهل البادية ، فعلمنا شيئا ينفعنا الله به ؟

فقال : « لا تحتقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى اناء المستشفى ، ولو أن تكلم أخاك ووجهك اليه منبسط ، واياك واسبال الازار فانه من المخيلة[٢] ولا يحبها الله ، وان امرؤ شتمك مما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فان أجره لك ووباله على من قاله » أ هـ[٣] .

فأنظر أيها المسلم الى دعوة النبى ﷺ الى طلاقة الوجه المتمثلة فى قوله : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تكلم أخاك ووجهك اليه منبسط » .

وعن « المقدام بن شريح » عن جده رضى الله عنهما قال :

قلت : يا رسول الله حدثنى بشىء يوجب لى الجنة ،

قال : « موجب الجنة اطعام الطعام ، وافشاء السلام ، وحسن الكلام » أ هـ[٤] .

المعنى : فى هذا الحديث الشريف أخبر النبى عليه الصلاة والسلام بأن موجبات الجنة بعد الايمان بالله تعالى وتنفيذ تعاليم الاسلام ثلاثة أشياء :

الاول : اطعام الطعام وبخاصة للمحتاجين ، استمع الى قول الله تعالى : « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة »[٥] .

---

(٢) المخيلة بفتح الميم وكسر الخاء ، أى الاختيال والتكبر .
(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، وقال حسن صحيح ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٦٩ .
(٤) رواه الطبرانى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٧٠ .
(٥) سورة البلد ١١ ـ ١٦ .

الثانى : افشاء السلام الذى هو تحية المسلمين ودليل المحبة بينهم ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، الا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » أ هـ(٦) .

الثالث : حسن الكلام ، أى لينه ولطفه .

وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما

عن النبى ﷺ : « ان فى الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، قال : « أبو مالك الاشعرى » : لمن هى يا رسول الله ؟

قال : « لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام » أ هـ(٧) .

فأنظر أيها المسلم الى ما يسببه طيب الكلام ، أنه يدخل الانسان الجنة لينال هذا الفضل العظيم .

وعن « أبى ذر » رضى الله عنه قال :

لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » أ هـ(٨).

ـ والله أعلم ـ

---

(٦) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٧٢ .
(٧) رواه الطبرانى ، والحاكم ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٦٧١ .
(٨) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ٣١٢ .

« صفات على المسلم أن يبتعد عنها »

هناك صفات ذميمة حرمها الاسلام فعلى كل مسلم أن يبتعد عنها ، من هذه الصـــفات ٠

أ) البخـــل ٠

ب) الحســـد ٠

جـ) الريـــاء ٠

د) الزنـــــا ٠

هـ) شرب الخمـــر ٠

و) عقـــوق الوالدين ٠

ز) الغيبـــــة ٠

ح) النميمـــــة ٠

وهذا تفصيل الكلام عن هذه الصفات فى ضوء الكتاب والسنة ٠

البخــــــل :

البخل : هو منع حقوق الله تعالى ، يقال : بخل بخلا[1]

اذا ضن بما عنده ولم يجد[2] ..

والبخل : من الصفات الذميمــة التى يترتب عليها اصابة المجتمــع بالكوارث والاضرار ، اذ البخل يزرع الاحقاد فى قلوب المحرومين نحــو الاغنياء البخلاء ، مما يجعلهم يتحينون الفرص للتألب عليهم ، وتدمير ممتلكاتهم .

والدين الاسلامى يعتبر المــال الذى فى حوزة الانسان مال الله ، أعطاه للانسان كوديعة لينفق منه على نفسه ، وعلى المســتحقين من عبــاد الله .

قال تعالى : « وانفقوا مما جعلتم مستخلفين فيه »[3] .

والاسلام يعتبر البخل من كبائر الاثم .

ولذا جاء التحــذير منه فى كتاب الله ، وســنة نبيه عليه الصلاة والســـلام :

قال تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله

---

(١) بفتح الباء والخاء ، وبضم الباء والخاء ، وبضم الباء واسكان الخاء.
(٢) انظر : المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤١ مادة بخل .
(٣) سـورة الحـديد ٧ .

هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير »[٤] .

ولشدة قبح البخل وخطره فقد تعوذ منه النبى ﷺ :

فعن « أنس بن مالك » (رضى الله عنـــه) ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من البخل ، والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات »[٥] .

كما بين النبى عليه الصلاة والسلام الآثار السيئة المترتبة على البخل فى أكثر من حـــديث :

فعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنه ، أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن ســـفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[٦] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والفحش والتفحش ، فان الله لا يحب الفاحش والمتفحش ، واياكم والظـــلم فانه هو الظلمات يوم القيـــامة ، واياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ، ودعا من كان قبلكم فاستحلوا حرماتهم »[٧] .

---

(٤) ســـورة آل عمـــران ١٨٠ .
(٥) رواه مسلم ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٢ .
(٦) رواه مسلم ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٢ .
(٧) رواه ابن حبان والحاكم ، انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٢ .

كما أخبر النبى عليه الصلاة والسلام أنه لا يجتمع الشح والايمان فى قلب رجل ، يرشد الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غبار فى سـبيل الله ، ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع شح وايمان فى قلب عبد أبدا »(٨) .

كما أخبر ﷺ أن الشحيح لا يدخل الجنة :

فعن « نافع بن عبد الحارث » رضى الله عنه قال : « سـمعت « ابن عمر » رضى الله عنهمـا رجلا يقول : الشـحيح أعـذر من الظـالم »(٩) ..

فقال « ابن عمر » : كـذبت ، سـمعت رسـول الله ﷺ يقول : « الشـحيح لا يدخل الجنة »(١٠) ..

وعن « أبى بكر الصـديق » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال : « لا يـدخل الجنـة خب (١١) ، ولا منـان ، ولا بخيل »(١٢) .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام أن البخيل بعيد من الله والجنة ، قريب من النار :

---

(٨) رواه النسـائى ، وابن حبان ، انظـر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٦١٤ .
(٩) اى أكثر عذرا من الظـالم .
(١٠) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظـر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٦١٥ .
(١١) الخب : الخـداع الخبيث .
(١٢) رواه الترمذى ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٦١٥ .

فعن « ابن عباس » رضى الله عنهما قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله جنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشق فيها أنهــارها ، ثم نظر اليها فقال لها : تكلمى ، فقــالت : قد أفلح المؤمنون ، فقال : « وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل »(١٣) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وســلم قال : « السخى قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيــد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل »(١٤) .

كما أخبر ﷺ أن الشح من الصــفات المهلكة :

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مهلكات ، وثلاث مبخيات ، وثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، فأما المهلكات فشــح مطاع ، وهوى متبع ، واعجــاب المرء بنفســه »(١٥) .

ـ والله أعــلم ـ

---

(١٣) رواه الطبرانى فى الكبير ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٥

(١٤) رواه الترمذى ، انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٧ .

(١٥) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٦١٦ .

الحســـد :

الحســـد : هو تمنى زوال نعمة الغير • والحســـد من الامراض النفســية الخطيرة التى قد تؤثر على المحســـود • •

ولذلك فقد جاء ضمن آيات سورة « الفلق » التعوذ من الحسد ، فقال تعـــالى :

« ومن شر حاسد اذا حســـد »[1] •

فان قيل : نريد أن تبين الفرق بين الحســـد والغبطة ؟

اقول : الغبطة : هى أن يتمنى الانسان حصـــول النعمة التى فيها أى أنسان دون أن يتمنى زوالها •

ولذا فالغبطة من المباحات ، والحســـد من المحرمات •

ولشدة خطورة الحسد فقد نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث[2] ولا تحسسوا[3] ولا تجســـسوا[4] ولا تنافســـوا[5] •

(١) ســـورة الفــلق ٥ •
(٢) قال القرطبى : الظن هو التهمة التى لا سبب لها •
(٣) اى لا تتسمعوا الحديث ، و لاتتصنتوا •
(٤) أى لا تبحثوا عن عورات النـاس •
(٥) أى لا ينافس بعضكم بعضا فى أمور الدنيا ويزاحمه عليها •

ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا[٦] وكونوا عباد الله اخوانا ، كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله[٧] ولا يحقره[٨] التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، وأشار الى صدره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وعرضه ، وماله »[٩] .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام ان الايمان والحسد لا يجتمعان فى جوف شخص واحد :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمع فى جوف عبد مؤمن من غبار فى سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع فى جوف العبد الايمان والحسد »[١٠] ..

كما أخبر النبى ﷺ ، أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب :

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، والصلاة نور المؤمن ، والصيام جنة من النار »[١١] .

---

(٦) التدابر : التقاطع .
(٧) أى لا يتخلى عن نصرته .
(٨) أى لا يزدريه ويحط من شانه .
(٩) رواه مالك والبخارى ومسلم ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٠٣ .
(١٠) رواه ابن حبان فى صحيحه ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٠٤ .
(١١) رواه ابن ماجه ، والبيهقى ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨٠٤ .

وعن « عبد الله بن كعب » عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم فأفسد لها من الحرص على المال والحسد فى دين المسلم[١٢] .

وإن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وفى رواية :

« اياكم والحسد فانه يأكل الحسنات كما تأكل النار العشب »[١٣] .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الحاسد ليس من أتباعه :

فعن « عبد الله بن بسر » رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال ليس منى ذو حسد ، ولا نميمة ، ولا كهانة ، ولا أنا منه ، ثم تلا رسول الله ﷺ : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا »[١٤] .

كما أخبر عليه الصلاة والسلام ، أن من سلم من الحسد ، ورزقه الله سلامة الصدر أنه من أهل الجنة :

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع رجل من الانصار[١٥] تنظف لحيته من الوضوء[١٦] قد علق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال النبى ﷺ : مثل

---

(١٢) والمراد : ان ضرر هاتين الخصلتين وهما : الحرص ، والحسد ، على دين المسلم أشد من ضرر الذئبين الجائعين على زريبة الغنم .

(١٣) روى الترمذى صدر هذا الحديث وصححه ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٨٠٥ .

(١٤) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٨٠٥ .

(١٥) هو سعد بن مالك .

(١٦) اى يقطر من لحيته الماء .

ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاول ، فلمـا قام النبى ﷺ تبعه « عبـد الله بن عمرو » فقال انى لاحيت أبى[17] ، فأقسـمت انى لا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت ، قال « أنس » فكان « عبد الله يحدث » أنه بات معه تلك الليالى ، فلم يره يقوم من الليل شـيئا ، غير أنه اذا تعـار[18] .

تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر ، حتى لصلاة الفجر ، قال « عبد الله » غير أنى لم أسمعه يقول الا خيرا ، قال فلما مضـت الثلاث الليالى ، وكدت أن أحتقر عمله قلت : يا عبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ، ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلعت أنت الثلاث المراث ، فأردت أن آوى اليك فأنظر ما عملك ، فاقتدى بك ، فلم أرك عملت كبير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : مـا هو الا ما رأيت ، فلما وليت دعـانى فقـال : ما هو الا ما رأيت غير أنى لا أجـد فى نفسى لاحـد من المسـلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه ، فقال « عبد الله » : هـذه التى بلغت بك »[19] .

— والله أعـلم —

---

(١٧) أى خاصمته ونازعته .
(١٨) أى استيقظ من الليـل .
(١٩) رواه أحمد باسناد على شرط البخارى ومسلم ، أنظر الترغيب ج ٣ ص ٨٠٦ .

الريـــــاء :

والرياء : هو أن يعمل الانســـان العمل ، ويكون غير مخلص لله تعـــالى فيه .

يوضح ذلك الحديث الذى رواه « ابن عباس » رضى الله عنهما حيث قال : قال رجل : يا رسول الله انى أقف الموقف أريد وجه الله ، وأريد أن يرى موطنى(١) .

فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »(٢) ويؤيد ذلك قول الله تعـــالى :

« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء »(٣) .

والرياء من الامراض الخطيرة التى يترتب عليها احبـــاط العمل والعيـــاذ بالله .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء النـــاس ولا يؤمن بالله واليـــوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصـــابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كســـبوا والله لا يهدى القوم الكافرين »(٤) .

---

(١) أى شجاعتى وشدة بلائى فى القتال .
(٢) رواه الحاكم وقال صحيح ، انظر : الترغيب جـ ١ ص ٥٠ .
(٣) ســورة البينــة ٥ .
(٤) ســورة البقــرة ٢٦٤ .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشـــهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لان يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار .

ورجل تعلم العلم وعلمـــه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمتـــه ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كـــذبت ، ولكنك تعلمت ليقـــال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النـــار .

ورجل وســـع الله عليه ، وأعطاه من أصـــناف المـــال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟

قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقته فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار »(٥) . ولشدة خطورة الرياء فقد جاء الترهيب منه فى كل من الكتاب والســـنة :

فمن الكتاب قول الله تعالى :
« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ســـاهون الذين هم يراءون ويمنعون المـــاعون »(٦) .

---

(٥) رواه مسلم ، والنسائى ، انظر : رياض الصالحين ص ٦١٩ .
(٦) سـورة الماعون ٤ ـ ٧ .

وقوله تعالى : « فمن كان يرجو لقــاء ربه فليعمل عملا صــالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحــدا »(٧) .

ومن الســنة المطهرة الأحاديث التالية :

١ ــ **فعن « زيد بن أســلم » عن أبيه ، أن « عمر » رضى الله عنه ،** خرج الى المسجد فوجد « معــاذا » عند قبر رســول الله ﷺ يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رســول الله ﷺ ، قال : اليسير من الرياء شرك ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة ، ان الله يحب الابرار الاتقياء ، الاخفياء ، الذين ان غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصــابيح الهــدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة »(٨) .

المعنى : أنهم يتخلصون من كل ضلالة عمياء ، وفتنة صماء .

٢ ــ **وعن « عدى بن حاتم » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :** « يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة ، حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ، ونظروا الى قصورها ، وما أعد الله لاهلها فيها نودوا : ان أصرفهم منها لا نصيب لهم فيهــا ، فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلهــا ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك ، وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا ، قال : ذلك أردت لكم كنتم اذا خــلوتم بارزتمونى بالعظــائم ، واذا لقيتم النــاس لقيتموهم

(٧) ســورة الكهف ١١٠ .
(٨) رواه ابن ماجه والحاكم ، انظر : الترغيب جـ ١ ص ٥٦ .

مخبتين[٩] تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهـابونى ، وأجللتم الناس ولم تجـلونى ، وتركتم الناس ولم تتركو لى ، اليوم اذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب[١٠] .

٣ ــ **وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :** « اذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق :

فرقة يعبدون الله خالصا[١١] .

وفرقة يعبدون الله رياء ، وفرقة يعبـدون الله ليسـتأكلوا به النـاس[١٢] .

فاذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذى يستأكل الناس : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل به الناس ، قال : لم ينفعك ما جمعت ، انطلقوا به الى النار .

ثم يقول للذى كان يعبده رياء : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال بعزتك وجلالك رياء النـاس ، قال : لم يصـعد الى منه شىء[١٣] . ثم يقول : انطلقوا به الى النار .

---

(٩) أى مظهرين التذلل والخشية نفاقا ورياء .
(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير ، انظر : الترغيب جـ ١ ص ٦٢ .
(١١) أى مخلصين عبادتهم لله لا يشركون به شيئا .
(١٢) أى ليجعلوا تلك العبادة وسيلة الى أكل أموال الناس وسلب ما فى أيديهم .
(١٣) لانه لا يصعد اليه من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم .

ثم يقـــول للذى كان يعبده خالصـــا : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟

قال : بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به ، أردت به ذكرك ووجهك ، قال صدق عبدى انطلقوا به الى الجنة »[١٤] .

ـــ والله أعلم ـــ

(١٤) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر : الترغيب جـ ١ ص ٦٤ ٠

الزنـــا :

الزنا من الامور القبيحة التى لا يقبلها صـاحب الذوق السـليم بفطرته وسجيته •

وقـد جـاء النهى عن الزنا فى الآيات القرآنية والأحـاديث النبـوية •

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى :

« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشـة وساء سـبيلا »(١) كما جاء القرآن بنفيه عن عباد الرحمن ، فقال تعالى فى وصـفهم : « وعباد الرحمن يمشـون على الرض هونا واذا خـاطبهم الجـاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سـجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا »(٢) ولقبح الزنا وبشاعته ، وخطورته على المجتمعات فقد أوجب الله تعالى على من يرتكب تلك الفاحشـة عقـوبة من أفظع العقوبات وأبشعها ، فأمر بجلده اذا كان لم يسـبق له الزواج من قبل وهـذا ما يعبر عنه بغير المحصن •

---

(١) سـورة الاسراء ٣٢ •
(٢) سـورة الفرقان ٦٣ ـ ٦٩ •

وبرجمه حتى الموت اذا كان قد سبق له الزواج وهـذا ما يعبر عنه بالمحصن •

قال الله تعالى فى عقوبة الزانى غير المحصن :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشـهد عذابهما طائفة من المؤمنين »(٣) • فانظر أيها المسـلم الى حد الزنا المخزى ، ثم الى النهى عن الرأفة بالزانى والزانية ، فالغلظة معهما من مقتضيات الايمان ، ثم أنظر الى اشتراط التشهير بالزناة ، والفضيحة لهما بشـهود طائفة من الناس لعذابهما •

فان كان كل من الزانى والزانية بكرا جلد كل واحد منهما مائة جـلدة •

وكأن الزانى والزانية خرجا عن حـدود الانسـانية الى حـد البهـائم التى لا تردع الا بالضرب والالم • أما الموعظة الحسـنة فلم تعد تنفع فيهما •

ولاشك أن عقوبة الزنا شـاقة ، وقد نهانا الله تعالى عن أن تؤثر فينا الرأفة بهما ، وتقودنا الى العطف عليهما فى تنفيذ حـد الله •

وليشـهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وهـذا ايلام لنفسـيهما بعد ايلام جسـميهما ، وهو فى معنى التشـهير والفضـيحة ، فجعل جلدهما أمام جماعة من الناس ليكون الخزى ، والعار ، أبلغ وأكمل ، وفى هـذا شـهادة جمـاعة من المؤمنين بأن هؤلاء الزناة قد تجردوا

(٣) سـورة النـور ٢ •

من الانسانية ، ومعانيها السامية ، فلاحق لهما فى اعادة الاعتبار .

أما اذا كان الزناة محصنين ، وهو أن يكون سبق لهما زواج شرعى فعقوبتهما الرجم بالحجارة حتى الموت .

عن « عبد الله بن عباس » رضى الله عنهما قال : قال « عمر ابن الخطاب » رضى الله عنه ، وهو على منبر رسول الله ﷺ : « ان الله قد بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، قرأناها ، ووعيناها ، وعقلناها ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل :

ما نجد الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء ، اذا قامت البينة ، أو كان الحبل ، أو الاعتراف »(٤) .

وجاء « ماعز الاسلمى » الى النبى ﷺ فقال : أنه قد زنى ، فأعرض عنه ثم جاء من شقه الآخر فقال : انه زنى فأعرض عنه ، ثم جاء من شقه الآخر فقال : انه قد زنى فأمر به فى الرابعة فأخرج الى « الحرة »(٥) فرجم بالحجارة ، فلما وجد مس الحجارة فر يشتد فلقيه رجل معه لحى جمل فضربه به ، وضربه الناس حتى مات »(٦) .

ولقد ورد فى الترهيب من الزنا الكثير من أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام ، واليك قبسا منها :

١ ــ عن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(٤) رواه الخمسة ، انظر : التاج جـ ٣ ص ٢٤ .
(٥) الحرة : اسم مكان قريب من المسجد النبوى الشريف .
(٦) رواه الخمسة ، انظر : التاج جـ ٣ ص ٢٥ .

لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[7] .

٢ — وعن « أبى أمامة » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

بينا أنا نائم أتانى رجلان فأخذا بضبعى — وهو وسط العضد — فأتيا بى جبلا وعرا ، فقالا : اصعد ، فقلت : انى لا أطيقه ، فقالا : اصعد ، فقلت انى لا أطيقه ، فقالا : انا سنسهله لك ، فصعدت حتى اذا كنت فى سواء الجبل — يعنى وسط الجبل — فاذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هذه الاصوات ؟ قالوا : هذا عواء أهل النار ، ثم انطلق بى ، فاذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم ، مشققة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قيل هؤلاء الذين يفطرون قبل نحلة صومهم ، فقال : خابت اليهود والنصارى ، ثم انطلق بى ، فاذا أنا بقوم أشد شىء انتفاخا ، وأنتنه ريحا ، وأسوأه منظرا ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء قتلى الكفار ، ثم انطلق بى ، فاذا أنا بقوم أشد شىء انتفاخا ، وأنتنه ريحا ، كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون ، ثم انطلق بى فاذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات ، قلت : ما بال هؤلاء ؟ قيل : هؤلاء الذين يمنعن أولادهن ألبانهن ، ثم انطلق بى فاذا بغلمان يلعبون بين نهرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قال ذرارى المؤمنين ، ثم شرف بى شرفا — أى ارتفع بى شوطا من الشرف وهو العلو — فاذا أنا بثلاثة يشربون من خمر لهم ،

---

(٧) رواه البخارى ومسلم ، أنظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٥٥ .

قلت من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء « جعفر ، وزيد ، وابن رواحة » — وهم شـــهداء غزوة مؤته —

ثم شرف بي شرفا آخر : فاذا أنا بنفر ثلاثة ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء :

« ابراهيم ، وموسى ، وعيسى » عـــليهم الســـــلام وهم ينتظرونك »(٨) .

٣ — وعن « المقداد بن الاسود » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم لاصـــحابه :

ما تقولون فى الزنا ؟ قالوا : حرام حرمه الله عز وجل ، ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، فقال رسول الله ﷺ لاصحابه : لان يزنى الرجل بعشرة نســوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جـــاره »(٩) .

٤ — وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الزانى بحليـــلة جـــاره لا ينظر الله اليه يوم القيـــامة ، ولا يزكيه ، ويقول : ادخل النار مع الداخلين »(١٠) .

٥ — وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم :

---

(٨) رواه ابن خزيمة ، وابن حبـــان فى صحيحيهما ، انظـــر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٥٩ .

(٩) رواه ابن أبى الدنيا ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٧١ .

(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٧٠ .

« اذا زنى الرجل خرج منه الايمـان ، فكان عليه كالظلة ، فاذا أقلع رجع اليه الايمان »[11] .

٦ ــ وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم :

« أربعة يبغضـهم الله : البياع الحلاف ، والفقير المختـال ، والشيخ الزانى ، والامام الجائر »[12] .

ــ والله أعـلم ــ

---

(١١) رواه أبو داود ، والترمذى ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٦٠ .

(١٢) رواه النسائى ، وابن حبان ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٦٤ .

شرب الخمـــر :

الخمر : هى كل شراب مســـكر •

فعن ((عبد الله بن عمر)) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((كل مســـكر خمـــر ، وكل مســـكر حـــرام))[1] • والخمر هى أم الخبـــائث :

فعن ((عثمان بن عفان)) رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول :

((اجتنبـــوا أم الخبـــائث ، فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبـــد ويعتزل الناس ، فعلقته امرأة أى أحبته وتعلق قلبها به فأرسلت اليه خادما انا ندعوك لشهادة ، فدخل فطفقت ــ أى شرعت ــ كلما يدخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وخبيئة جالســـة ، وعندها غلام ، وباطية فيها خمر ، فقالت : انا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هـــذا الغلام ، أو تقع على ، أو تشرب كأســـا من الخمر ، فان أبيت صحت بك وفضحتك ، قال : فلما رأى أنه لابد له من ذلك قال : اسقينى كأسا من الخمر ، فسقته كأسا من الخمر ، فقال : زيدينى ، فلم تزل حتى وقع عليها ، وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان ، وادمان الخمر فى صدر رجل أبدا ، وليوشكن أحدهما يخرج صاحبه))[2] •

وقد جاء تحريم الخمر فى الكتاب ، والسنة ، والاجماع •

---

(١) رواه البخارى ومسلم ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٣٤ •

(٢) رواه ابن حبان ، والبيهقى ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٤٤٠ •

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »(٣) .

روى أن « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه قال حين سمع قول الله تعالى : « انما الخمر والميسر » الخ قال : « أقرنت بالميسر والانصاب ، والازلام ؟ بعدا لك وسحقا . وتركها الناس وأراقوها فى الطرقات(٤) .

وروى أن « عمر » رضى الله عنه كان يدعو الله ويقول : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فلما نزلت آية البقرة وهى قوله تعالى :

« يسئلونك عن الخمر والميسر قلفيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما »(٥) ظل « عمر » على دعائه وقال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ..

ولما نزلت آية النساء وهى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »(٦) .

ظل « عمر » أيضا على دعائه وقال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا .

---

(٣) سورة المائدة ٩٠ ــ ٩١ .
(٤) انظر : التفسير الواضح جـ ٧ ص ١٠ .
(٥) سورة البقرة .
(٦) سورة المائدة ٤٣ .

فلما نزلت آية المـــائدة وسمع قوله تعالى : « فهل أنتم منتهون » قال : « انتهينا » وكانت هـــذه الآية هى الفاصلة فى تحريمها »[٧] .

ولشـــدة خطر الخمر فقد ورد الترهيب من شربها أو بيعها ، أو عصرها ، أو حملها ، أو أكل ثمنها .

فعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال : قال رســول الله صلى الله عليه وســلم :

« لعن الله الخمر ، وشـــاربها ، وساقيها ، ومبتـــاعها ، وبائعهـــا ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه »[٨] .

وقد أخبر النبى ﷺ وخبره صــدق محض لا يتخـــلف ، لانه لا ينطق الا بوحى من الله تعالى ، ان شارب الخمر لا يدخل الجنة :

فعن « أبى موسى الاشعرى » رضى الله عنه ، ان النبى صلى الله عليه وســلم قال :

« ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ومصـــدق بالسحر ، ومن مات مدمن الخمر ســقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة ، قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهر يجرى من فروج المومسات .

ـــ وهن اللاتى يحترفن الزنا ـــ

يؤذى أهل النار ريح فروجهن »[٩] .

---

(٧) انظر : التفسير الواضح جـ ٧ ص ١١ .
(٨) رواه أبو داود ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٢٩ .
(٩) رواه أحمد وابن حبان ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٣٤ .

وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم قال :

« ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنـــة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث ــ أى الذى يسكت على اتيان زوجه الفاحشـــة فلا يغضب ولا يغار »(١٠) .

وأعلم أيها المسلم أن شرب الخمر من الاشـــياء التى ينزل بسببها البلاء من قبل الله تعالى .

فعن « على بن أبى طالب » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء (١١) .

قيل : ما هن يا رســـول الله ؟ قال : اذا كان المغنم دولا(١٢) . والامانة مغنمـــا(١٣) والزكاة مغرما(١٤) .

وأطاع الرجل زوجتـــه ، وعق أمه ، وبر صـــديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الاصوات فى المســـاجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمـــور ، ولبس الحرير ، واتخـــذت

---

(١٠) رواه أحمد ، والنسائى ، أنظر : الترغيب والترهيب جـ٣ ص٤٣٧ .
(١١) أى نزلّ بها العذاب : من فقر ، ومرض ، وكوارث الخ .
(١٢) أى متداولا فيكون لهؤلاء مرة ، ولهؤلاء أخرى .
(١٣) بمعنى أن من أودعت عنده الامانة ينكرها ، ويأكلها . ويعتبرهـــا غنيمـــــة .
(١٤) بمعنى أن من وجبت الزكاة فى ماله يبخل بها ويعتبر اخراجها غرما .

القينات والمعــازف ، ولعن آخر هــذه الامة أولها ، فليرتقبوا عنــد ذلك ريحا حمراء [15] أو خسفا ، ومســخا »[16] .

وأعلم أيها المسلم أن شرب الخمر من الاسباب التى يترتب عليها نزع الايمان ، والعياذ بالله تعالى .

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم :

« من زنى ، أو شرب الخمر ، نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأســه »[17] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[18] .

ــ والله أعلم ــ

---

(١٥) اى شــديدة الحــر .
(١٦) رواه الترمذى ، وقال حديث غريب ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٤٣٢
(١٧) رواه الحاكم ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٣٣ .
(١٨) رواه البخارى ومسلم ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٢٨ .

عقــوق الوالدين :

قال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمــة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صــغيرا »[1] .

المعنى : وقضى ربك بان تحسنوا الى الوالدين احسانا كاملا فى المعاملة ، احسانا ليس بعده احســان ، اذ يجتمع فيهما كل أســباب المودة والعطف ، فمن قرابة قريبة ، الى صلة وشيجة ، وجوار كريم ، وعطف ســابغ ، وحنان أبوى ســليم .

ولا عجب فى ذلك فهما أول من يعطف عليك عطفا غريزيا وأنت فى أشد الحاجة اليه . فمن المروءة أن ترد الجميل ، لا أقول بأحسن منه ، اذ ليس هناك جميل يوازى عملهما .

ولا غرابة فى ذلك ، فوالداك هما اللذان ربيا الظاهر من جسمك ، والله سبحانه وتعالى هو الذى خلقك ، وسواك ، ونفخ فيك الروح ، فاعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وأحسن الى والديك احسانا يكافىء ما قدماه لك ، وهــذا الامر بالاحسان عام فى كل حال ، ووضعه هنا دليل على أنه من دعائم الدين وأصوله ، وهناك أوضاع خاصة تقتضى التنصيص عليها بخصوصها ، مثل أن يبلغن عنــدك الكبر أحدهما أو

---

(١) ســورة الاسراء ٢٣ ـ ٢٤ .

كلاهما فلا تقل لهما كلمة تنبىء عن التضجر ، وليس النهى عن التضجر خاصا بحالة الكبر ، بل فى كل حال خصوصا الحالة التى يحتاج فيها الوالدان لضعفهما وهى حالة الكبر ، والعجز عن الكسب • وقل لهما قولا لينا لطيفا مع حفظ الكرامة ، والادب ، والحياء ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وهــذا كناية عن حسن رعايتهما • ولا تكتف بهــذا وتتوقف عنــد هــذا الحــد ، بل أدع الله لهمــا ، وقل رب ارحمهما ، وتجاوز عن سيئاتهما كما ربيانى صغيرا •

قال « عبد الله بن عباس » ت ٦٨هـ رضى الله عنهما : « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا يقبل الله منها واحدة بغير قرينتها :

احداها : قول الله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول »[٢] • فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه •

والثانية : قول الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[٣] • فمن صلى ولم تزك لم يقبل منه •

والثالثة : قول الله تعالى : « ان أشكر لى ولوالديك »[٤] •

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه[٥] •

وقد جاء فى الترهيب من عقوق الوالدين العديد من الاحــاديث النبوية اقتبس منها ما يلى :

---

(٢) سـورة النسـاء ٥٩ •
(٣) سـورة البقـرة ٤٣ •
(٤) سـورة لقمـان ١٤ •
(٥) انظر : الكتاب للذهبى ص ٢٨ •

١ ــ عن « المغيرة بن شعبة » رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ، ووأد البنات ، ومنعا وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال »(٦) .

فهذا الحديث قد نص على أن الله تعالى حرم على الانسان فعل عدة أشياء منها : عقوق الامهات ، والمراد من ذلك أن الله حرم كل ما يؤذى الامهات ، والامهات : جمع « أمهة » لمن يعقل ، مثل عصيانهن ، والخروج عليهن ، والعقوق مأخوذ من العق ، وهو الشق والقطع ، وخص الامهات دون الآباء لقبح أذاهن ، وشدة عقاب العاق لهن .

٢ ــ وعن « أبى بكرة » نفيع بن الحارث ت ٥١هـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فمازال يكررها حتى قلنا : ليته سكت »(٧) .

فقد بين النبى ﷺ فى هذا الحديث أن من أكبر الكبائر أى أعظمها جرما ، وأشدها اثما عقوق الوالدين ، نعوذ بالله من ذلك .

٣ ــ وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » ت ٦٥هـ رضى الله عنهما ،

---

(٦) رواه البخارى ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٣٨ .
(٧) رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٥٣٩ .

عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال :

« الكبـائر الاشراك بالله ، وعقـوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »[٨] .

٤ — وعن « عبد الله بن عمر بن الخطاب » ت ٧٣هـ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه ،— أى الذى يعطى ثم يمن على من أعطاه ويعيره — وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجـلة »[٩] .

فقد بين النبى ﷺ فى هـذا الحديث أنه اذا كان يوم القيامة الذى يحتاج فيه جميع بنى الانسان الى عفو الله تعالى ومغفـرته ، فى ذلك اليوم يشتد غضب الله تعالى على بعض الناس ولا ينظر اليهم نظرة رحمة ورضـا ، من هؤلاء المحرومين من رحمة الله تعالى : « العـاق لوالديه » .

٥ — وعن « أبى أمامة الباهلى » ت ٨١هـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم :

« ثلاثة لا يقبل الله عـز وجل منهم صرفا ولا عـدلا ، عاق ، ولا منان ، ومكذب بقـدر »[١٠] .

---

(٨) رواه البخارى ، والنسائى ، والترمذى ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٣٩ .

(٩) رواه النسائى ، والبزار ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، انظـر الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٤٠ .

(١٠) رواه ابن أبى عاصم باسناد حسن ، انظـر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٤١ .

فقد أخبر النبى ﷺ فى هــذا الحديث انه اذا كان يوم القيامة فهناك ثلاثة أصناف لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا ، والصرف : التوبة ، والعــدل : الفداء ، المعنى أن الله تعــالى لا يقبل منهم ما يكفــر به هــذه الخطيئــة ، من هــذه الاصــناف العــاق لوالديه .

٦ ــ وعن « أبى هريرة » ت ٥٧هـ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وســلم قال :

« أربعة حق على الله أن لا يدخــلهم الجنة ، ولا يذيقهم نعيما مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه »[١١] .

فقد بين النبى ﷺ فى هــذا الحديث أنه هناك أربعة أشــخاص حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ، ولا يذيقهم نعيمها ، ويترتب على عدم دخــولهم الجنة ، دخولهم النار والعياذ بالله تعالى ، من هؤلاء الاربعة « العاق لوالديه » .

٧ ــ وعن « ثوبان بن بجدد » ت ٥٤هـ رضى الله عنــه ، عن النبى صلى الله عليه وســلم قال :

« ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقــوق الوالدين ، والفرار من الزحف »[١٢] .

---

(١١) رواه الحــاكم وقال صحيح الاسناد ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٥٤٢ .

(١٢) رواه الطبرانى فى الكبير ، انظر الترغيب ج ٣ ص ٥٤٢ .

فقد أخبر النبى ﷺ فى هـذا الحـديث أن ثلاثة أمور لا ينفع معهن أى مع وجودهن عمل ، بمعنى لا يقبله الله ولا يصعد اليه مع وجود واحـد فهى مانعـة من القبول ، من هـذه الثلاثة « عقوق الوالدين » .

٨ — وعن « جابر بن عبد الله » ت ٧٨هـ رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال : يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم ، فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغى ، واياكم وعقـوق الوالدين فان ريح الجنة توجـد من مسـيرة ألف عام ، والله لا يجـدها عـاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شـيخ زان ، ولا جار ازاره خيلاء ، انما الكبرياء لله رب العالمين ، والكـذب كله اثم الا ما نفعت به مؤمنا ، ودفعت به عن دين ، وان فى الجنـة لسـوقا ما يبـاع فيهـا ولا يشـترى ، ليس فيها الا الصـور ، فمن أحب صـورة من رجل أو امرأة دخل فيهـا »(١٣) .

— والله أعـلم —

---

(١٣) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٤٤ .

الغيبـــة :

والغيبة : هى ذكرك أخاك المسلم بما يكره ولو كان فيه :

فعن « أبى هريرة » ت ٥٧هـ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أتدرون ما الغيبـــة ؟ قالوا : الله ورســوله أعــلم ، قال : ــ أى النبى ﷺ : « ذكرك أخاك بمـــا يكره ، قيل : أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهتـــه »(١) .

أى رميته بالبهتان : وهو أسوأ الكذب .

فهــذا الحديث الشريف بين تعريف « الغيبة » وهى : أن يتكلم الانسان فى غيبة أخيه المســـلم بما يكرهه ولو كان ذلك الامر فيه .

والغيبة من الامراض الاجتمــاعية الخطيرة والتى لا ينجو منها الا من قدر الله له الســـعادة فى الازل ..

والنهى عن الغيبة جاء فى العديد من الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية الصـــحيحة .

واليك قبســـا من ذلك ليتبين من خلال ذلك مدى خطورة الغيبة ، والعذاب الاليم الذى أعده الله تعالى للمغتابين :

---

(١) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، أنظر : الترغيب جـ ٥ ص ٢٥ .

قال الله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقو الله ان الله تواب رحيم »[٢] .

فانظر أخى المسلم كيف صور القرآن « الغيبة » وهول من شأنها ، حيث شبه المغتاب بالذى يأكل لحم أخيه بعد موته ، ومما لاشك فيه أنه لا توجد نفس تقدم على أكل جيفة أى انســان ، ومادام الامر كذلك أفلا يجب على المســلمين ترك الغيبة تلك العــادة الرذيلة التى تفشت بين المسلمين ، وأصبح لا ينجو منها الا أحباب الله المقربون .

وعن « أبى موسى الاشــعرى » ت ٤٤هـ رضى الله عنــه قال : قلت : يا رسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »[٣] .

فانظر أخى المسلم كيف جعل الاسلام المسلم الذى يحفظ لســانه من الوقوع فى أعراض اخوانه المسلمين فى أسمى الدرجات ، وجعله من أفضل عباد الله عند الله تعالى .

قال « يحيى بن معاذ » : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصــال لتكون من المحسنين :

أحدها : ان لم تسره فلا تغمه .

والثانية : ان لم تنفعه فلا تضره .

والثالثة : ان لم تمدحه فلا تذمه .

---

(٢) ســورة الحجــرات ١٢ .
(٣) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٧٤ .

وعن « أبى عبد الرحمن بلال بن الحـارث المزنى » رضى الله عنه ، أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قال :

« ان الرجل ليتكلم من رضـوان الله تعالى ما كا يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضـوانه الى يوم يلقاه ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سـخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه »[٤] . فانظر أخى المسلم كيف يرتفع الانسان بالكلمة الطيبة الى أعلى عليين ، وكيف ينحط بالكلمة الخبيثة حتى ينزل الى أسـفل سـافلين ؟

وعن « عقبة بن عامر » ت ٥٨هـ رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « امسك عليك لسـانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »[٥] .

انه لارشاد كريم ، وتوجيه سديد من النبى الذى بعثه الله رحمة للعالمين ﷺ حيث يرشد الانسان الى أسباب نجاته من عذاب الله ، واذا ما نجا الانسان من النار فقد فاز بالجنة والرضوان ، يشـير الى ذلك قول الله تعالى : « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقـد فاز »[٦] .

وتتمثل أسباب نجاة الانسان فى ثلاثة أمور :

الاول : أن يحفظ الانسان لسانه من الوقوع فى أعراض الناس ،

---

(٤) رواه مالك فى الموطا ، والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيـح انظر : رياض الصالحين ص ٥٧٥ .

(٥) رواه الترمذى ، وصححه ابن خزيمة،انظر : رياض الصالحين ص ٥٧٦

(٦) سـوة آل عمـران ١٨٥ .

وغير ذلك مما لا يتفق ومنهج الاسلام ، وشريعة نبينا « محمد » عليه الصلاة والسلام .

والثانى : أن يلزم الانسان بيته خوفا من الاختلاط بالاشرار ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النـــار »(٧) .

والثالث : أن يبكى الانسان على خطيئته ، ومعنى ذلك أنه يندم على فعلها **أشـــد الندم ويتوب الى الله تعالى** بنية صادقة ، فاذا ما علم الله صدق نيته قبل توبته ، وغفر زلته ، قال تعالى « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

وعن « أنس بن مـــالك » ت ٩٣هـ ٠ رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وســـلم :

« لمـــا عـــرج بى مـــررت بقـــوم لهم أظفـــار من نحـــاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم » .

ياللهـــول ، أنظر أخى المســـلم الى الحال التى ســـيكون عليها « المغتابون » يوم القيامة ، انهم سيكونون فى أقبح حالة ، وأبشـــع منظر حيث ستكون أظفارهم من النحاس ، وماذاك الا ليكون حـــادة قوية ، واذا بهم يسلطون على وجوههم وصدورهم يخمشونها بتلك الاظافر الحادة القوية ، حتى تتقطع جلودهم ، وتسوء حالهم ، وما ذاك

(٧) ســـورة هـــود ١١٣ ٠

الا شى يسير بالنسبة للعذاب الذى أعده الله لهم جزاء ما اقترفوه من الوقوع فى أعــراض اخوانهم فى الدنيــا ، فيا أيهــا المســلم أسألك بالله تعالى أن لا تكون من المغتابين كى تنجو من الناجين .

وعن « معــاذ بن جبــل » ت ١٧ هـ رضى اللــه عنــه قال : قلت : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى من النار ؟ قال : « **لقد سألت عن عظيم ، وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه :**

فتعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصــلاة وتؤتى الزكاة ، وتصــوم رمضــان ، وتحج البيت ، ثم قال : الا أدلك على أبواب الخير ؟

الصــوم جنة ، والصــدقة تطفىء الخطيئــة كما يطفىء المــاء النار ، وصــلاة الرجل من جوف الليل ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الامر وعموده ، وذروة ســنامه ؟

قلت : بلى يا رسول الله ، قال :

رأس الامر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟

قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه وقال كف عليك هــذا ، قلت : يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال : ثكلتك أمك ، وهــل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصــائد ألســنتهم »[٨] .

---

(٨) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح انظر : رياض الصــالحين ص ٥٧٦ .

انه لحديث جامع شامل ، من جـوامع كلم النبى عليه الصـلاة والسـلام ، فقد بين فيه النبى ﷺ ان الانسان اذا تمسك بوحدانية الله تعالى وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصـام رمضـان ، وحج بيت الله الحرام اذا استطاع لذلك سـبيلا ، ثم بين عليه الصـلاة والسلام أن الصوم وقاية من النار ، وأن الصدقة تمحو السيئة ، ثم بين النبى ﷺ أن رأس الامر الاسلام بمعنى أن من لم يدخل الاسلام قلبه فهو ميت كالجسد الذى قطعت رأسه ، وأن عمود الاسلام ، أى القاعدة الاساسية التى بدونها ينهار كل شىء الصـلاة » •

أن ذروة سنام الاسلام « الجهاد » سواء كان الجهاد بالنفس ، أو المـال ، أو الكلمة ، أو غير ذلك من الامور التى تعمل على أن تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى • ثم ختم النبى ﷺ هـذا التوجيه النبوى السامى بأن يحافظ الانسان على كل كلمة تخرج منه لانه سيحاسب عليها يوم القيامة ، وهى مكتوبة ومستطرة عليه فى صـحائف أعماله قال تعـالى : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيـد »(٩) •

بعد أن تحدثت عن الغيبة ، وذكرت العديد من الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية الواردة فى تحريمها ، أخالنى أجد سـؤالا يفرض نفسـه ، وكأن سـائلا قال : نريد أن تبين لنا حـكم الاستماع الى الغيبة وفقا لمنهج الكتاب والسـنة ؟

فأقول وبالله التوفيق :

لقد ورد النهى عن سماع الغيبة فى الكثير من الآيات القرآنية ،

---

(٩) سـورة ق ١٨ •

والاحاديث النبوية ، واليك قبسا من ذلك :

قال الله تعالى : « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين »[10] •

والمراد فى اللغو فى الآية الكريمة : « القول القبيح » ومما لا ريب فيه أن الغيبة تعتبر من أقبح الكلام •

ولذا نجد القرآن الكريم وصف المؤمنين المخلصين • بأنهم يعرضون عن سماع لغو الحديث ، اقرأ معى قول الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون »[11] •

وعن « عتبان بن مالك » رضى الله عنه قال : « كنت أصلى لقومى « بنى سالم » وكان يحول بينى وبينهم وأد اذا جاءت الامطار ، فيشق على اجتيازه قبل مسجدهم ، فجئت رسول الله ﷺ فقلت له : انى أنكرت بصرى ، وان الوادى الذى بينى وبين قومى يسيل اذا جاءت الامطار ، فيشق على اجتيازه ، فوددت أنك تأتى فتصلى فى بيتى مكانا اتخذه مصلى ، فقال رسول الله ﷺ : سأفعل فغدا على رسول الله ﷺ ، « وأبو بكر » رضى الله عنه بعدما اشتد النهار ـ أى بعد ما ارتفعت الشمس ـ واستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له ، فلم يجلس حتى قال : أين تحب أن أصلى من بيتك ؟

فأشرت له الى المكان الذى أحب أن يصلى فيه ، فقام رسول

---

(١٠) سورة القصص ٥٥ •
(١١) سورة المؤمنون ١ ـ ٣ •

الله ﷺ فكبر ، وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم ، وسلمنا حين سلم ، فحبسته على « خزيرة » تصنع له ، — والخزيرة : هى دقيق يطبخ بشحم — فسمع أهل الدار أن رسول الله ﷺ فى بيتى ، فثاب رجال منهم حتى كثر الرجال فى البيت ، فقال رجل ، ما فعل « مالك » لا أراه ؟ فقال رجل : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقل ذلك ، الا تراه قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله تعالى ؟؟ فقال : الله ورسوله أعلم ، أما نحن فوالله ما نرى وده ، ولا حديثه الا الى المنافقين ، فقال رسول الله ﷺ : فان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله »(١٢) .

فانظر أخى المسلم كيف رد النبى ﷺ غيبة « مالك » وأنكر على المغتاب قوله ، فياحبذا لو أن كل مسلم رد غيبة أخيه المسلم ، لو فعل المسلمون ذلك لانتهى المغتابون عن الوقوع فى أعراض الناس .

أو على الاقل لوجدنا المغتابين قلة لا تذكر .

وعنئذ ستقوى شوكة المسلمين حيث تسود المحبة والاخاء بين أفراد المجتمع الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها .

وعن « كعب بن مالك » ت ٥٣هـ رضى الله عنه فى حديثه الطويل ، فى قصة توبته قال : قال النبى ﷺ وهو جالس فى القوم بتبوك :

« ما فعل كعب بن مالك » ؟

---

(١٢) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول اللل حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه » .

فقال « معاذ بن جبل » ت ١٧هـ رضى الله عنه : « بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا » فسكت رسول الله ﷺ »(١٣) .

فانظر : أخى المسلم الى « معاذ بن جبل » كيف رد عن « كعب ابن مالك » غيبته .

اننى اتمنى من كل مسلم ومسلمة أن يسير على منوال « معاذ ابن جبل » كى نكون من المفلحين الذين هم عن اللغو معرضون .

الامور التى تباح فيها الغيبة :

بعد أن تكلمت عن تحريم الغيبة ، وبينت عدم جواز الاستماع اليها ، وجد سؤالا يفرض نفسه وهو :

فان قيل : أفلا تباح الغيبة فى بعض الامر نريد أن تبين ذلك ؟

أقول : لقد رخص الدين الاسلامى فى جواز « الغيبة » وأباحها ، لغرض صحيح شرعى لا يمكن الوصول اليه الا بها ، وذلك للاسباب الآتية :

أولا ــ التظلم :

فيجوز للمظلوم أن يتظلم من ظالمه فيقول : ظلمنى فلان بكذا وكذا الخ .

---

(١٣) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٨٠ .

والدليل على ذلك الحديث التالى :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها ت ٥٨هـ أنها قالت :

قالت « هنـــد » امراة أبى ســـفيان للنبى ﷺ : ان أبا ســـفيان رجل شحيح ، ــ أى بخيل ــ وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ما أخذت منـــه وهو لا يعـــلم ؟ فقال ــ أى النبى ﷺ : خذى ما يكفيك وولدك بالمعـــروف »[١٤] •

فهـــذا حديث صحيح متفق عليه ، وفيه دلالة واضحة على جواز غيبة الظالم ، وذلك حيث اغتابت « هند » زوجها فذكرته بما يكره بين يدى رسول الله ﷺ ولم ينكر عليها الرســـول الصـــلاة والســـلام ، اذ لو كان ذلك غير جائز لانكر عليها النبى ﷺ •

ثانيـــا :

تجوز غيبة أهل الفسق ، والفساد الخ •• من ســـائر الصـــفات الذميمة التى نها عنها الشرع الحنيف •

والدليل على ذلك الحديث الآتى :

فعن « عائشة » رضى الله عنها ، أن رجلا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ــ أى النبى عليه الصـــلاة والسلام ــ ائذناو له بئس أخو العشـــيرة »[١٥] •

فهـــذا حديث متفق عليه ، وهو يدل دلالة واضـــحة على جواز غيبة أهل الفســـق والعصـــيان •

---

(١٤) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٨٤ •
(١٥) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٨٣ •

ثالثــا :

تحذير المسلمين من الشر ، ونصيحتهم وذلك من وجوه :

أحدها : جرح المجروحين من الرواة ، والشهود . وذلك واجب للحاجة ، وهو جائز باجماع المسلمين .

ثانيها : المشاورة فى مصاهرة انسان أو مشاركته أو معاملته ، أو غير ذلك ، فانه يجب على المستشار أن لا يخفى حاله ، بل يجوز أن يذكر المساوىء التى فيه بنية النصيحة .

والدليل على ذلك الحديث الآتى :

فعن « فاطمة بنت قيس » رضى الله عنها قالت : أتيت النبى ﷺ فقلت : ان « أبا الجهم ، ومعاوية » خطبانى ؟ فقال رسول الله ﷺ : أما « معاوية » فصعلوك لا مال له ، وأما « أبو الجهم » فلا يضــع « العصى » عن عاتقه »(١٦) .

وفى رواية : وأما « أبو الجهم فضراب للنســاء »(١٧) .

فهــذا حديث صريح فى جواز الغيبة من أجل تحذير المســلمين من أصحاب ذوى الشر ، وأصحاب الصــفات الذميمــة ، والعادات القبيحة .

رابعــا :

أن يكون مجاهر بفسقه ، أو بدعته ، كالمجاهر بشرب الخمر ، وأخذ المكس ، وجباية الاموال ظلما الخ .

---

(١٦) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٨٣ .
(١٧) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٨٣ .

فتجوز غيبته بما يجاهر به كى يحذره الناس ، ولعله يرتدع ، وينزجر عن فسـقه .

والدليل على ذلك الحديث الآتى :

فعن « زيد بن أرقم » ت ٥٦هـ رضى الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سفر أصاب الناس فيه شـدة ، فقال : « عبد الله ابن أبى » كبير المنافقين :

لا تنفقوا على من عند رسـول الله حتى ينفضـوا ــ أى حتى يتفرقوا عن الرسـول ﷺ ــ وقال : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فأتيت رسـول الله ﷺ فأخبرته بذلك ، فأرسـل ــ أى النبى عليه الصلاة والسلام ــ الى « عبد الله بن أبى » فاجتهد يمينه :

ما فعل ــ أى حلف أنه ما فعل ما قاله « زيد بن أرقم » فقالوا ــ أى الصحابة رضوان الله عليهم ــ كذب « زيد » رسول الله ﷺ فوقع فى نفسى مما قالوه شدة ــ أى كرب شديد ــ حتى أنزل الله تعالى تصديقى فى قوله تعالى : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسـول الله والله يعلم انك لرسـوله والله يشـهد ان المنـافقين لكاذبون »[١٨] . الخ الآيات الواردة فى ذلك »[١٩] .

ــ والله أعلم ــ

(١٨) سورة المنافقـون ١ ــ ٨ .
(١٩) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٥٨٣ .

النميمـــة :

النميمة : هى افشاء السر ، وهتك الستر عما يكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه ، أو المنقول اليه ، وسواء كان الكشـــف بالقول ، أو الكتابة ، أو الايماء ، أو غير ذلك .

والنميمة من الصفات الذميمة التى تفشت ــ والعياذ بالله ــ بين المســلمين .

والنميمة من الكبائر المحرمة بالكتاب ، والسنة ، والاجماع :

قال الله تعـــالى : « ولا تطع كل حلاف مهين همـــاز مشـــاء بنميم »(١) .

ولشدة خطر النميمة فقد جاء الترهيب منها فى السنة المطهرة :

فعن « حذيفة » رضى الله عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وســلم : « لا يدخل الجنـــة نمـــام » (٢) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم :

« تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، ومن كان ذا لســانين فى الدنيا فان الله يجعل له لســانين من نار يوم القيــامة »(٣) .

---

(١) ســورة القـــلم ١٠ ـ ١١ .
(٢) رواه البخـــارى ومســلم .
(٣) رواه البخارى ومســلم .

وعن « عبد الله بن بسر » رضى الله عنه ، عن رسل الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس منى ذو حسد ، ولا نميمة ، ولا كهانة ، ولا أنا منه ، ثم تلا رسول الله ﷺ : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبو فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا »(٤) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : « كنا نمشى مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه ، فجعل لونه يتغير حتى رعدكم قميصه ، فقلنا : مالك يا رسول الله ، فقال : أما تسمعون ما أسمع ؟ فقلنا : وما ذاك يا نبى الله ؟ قال : هذان رجلان يعذبان فى قبورهما عذابا شديدا فى ذنب هين ، قلنا : فيم ذاك ؟

قال : « كان أحدهما لا يستنزه من البول ، وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ، ويمشى بينهم بالنميمة ، فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل فى كل قبر واحدة .

قلنا : وهل ينفعهم ذلك ؟ قال : نعم يخفف عنهما مادامتا رطبتين »(٥) .

وقال « الحسن البصرى » ت ١١٠هـ :

« من نقل اليك حديثا فاعلم أنه ينقل الى غيرك حديثك فاحذره » اهـ(٦) .

وقال « الامام الغزالى محمد بن محمد أبو حامد » ت ٥٠٥هـ « كل من حملت اليه نميمة ، وقيل له : قال فيك فلان كذا وكذا ، لزمه ستة أحوال :

---

(٤) رواه الطبرانى .
(٥) رواه ابن حبان .
(٦) انظر : الكبائر للذهبى ص ١٥٩ .

الاول : أن لا يصدقه لانه نمام فاسق ، وهو مردود الخبر .

الثانى : أن ينهاه عن ذلك ، وينصحه ، ويقبح فعله .

الثالث : أن يبغضه فى الله عز وجل لانه بغيض عند الله . .

الرابع : أن لا يظن فى المنقول عنه السوء ، لقول الله تعالى :

« اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم »(٧) .

الخامس : أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك ، فالله تعالى يقول : « ولا تجسسوا » .

السادس : أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكى نميمته » أ هـ(٨) .

وقد ورد أن رجلا ذكر « لعمر بن عبد العزيز » ت ١٠١هـ رضى الله عنه ، نم « رجلا بشىء فقال عمر » :

يا هذا ان شئت نظرنا فى أمرك ، فان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »(٩) .

وان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : « هماز مشاء بنميم »(١٠) .

---

(٧) سورة الحجرات ١٢ .
(٨) انظر : الكبائر ص ١٥٨ .
(٩) سورة الحجرات ٦ .
(١٠) سورة القلم ١١ .

وإن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنون ولا أعود اليه أبدا » اهـ[11] .

وعن « العلاء بن الحارث » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الهمازون ، واللمازون ، والمشاءون بالنميمة ، الباغون لكبرآء العنت يحشرهم الله فى وجوه الكلاب »[12] .

المعنى : أن وجوههم يوم القيامة تكون على صورة وجوه الكلاب .

وعن « عبد الرحمن بن غنم » عن النبى ﷺ قال : « خيار عباد الله الذين اذا رءوا ذكر الله وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت »[13] .

وروى عن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « النميمة ، والشتيمة[14] والحمية [15] فى النار .

وفى لفظ : « ان النميمة ، والحقد[16] فى النار[17] لا يجتمعان فى قلب مسلم »[18] .

— والله أعلم —

---

(١١) انظر : الكبائر للذهبى ص ١٥٨ .
(١٢) رواه ابن حبان ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٧٥٦ .
(١٣) رواه أحمد ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٧٥٦ .
(١٤) الشتيمة : السباب والتنابز بالالقاب .
(١٥) الحمية : أى الانفة بالباطل ، والعزة بالاثم .
(١٦) الحقد : هو الانطواء على العداوة واضمار الرغبة فى الانتقام .
(١٧) أى أنهما من خصال أهل النار .
(١٨) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٧٥٤ .

« أمور حرم الاســـلام فعلها »

هناك أمور حرم الشرع فعلها فعلى كل مسلم أن يتجنب هــذه الامور ، كى يكون من الفائزين • من هــذه الامور ما يلى :

أ) أذى الجـــار •

ب) أكل مال اليتيم •

جـ) ترك الصـــلاة •

د) الربـــــا •

هـ) الرشـــوة •

و) قتل النفس •

ز) قطيعـــة الرحم •

ح) منع الزكاة •

وهـــذا تفصـــيل الكلام عن هـــذه الامور فى ضـــوء الكتاب والســــــنة :

أذى الجـــار :

أذى الجار يتحقق بأى نوع من أنواع الاساءة اليه ، سواء كانت الاســاءة حســية ، أو معنوية ، وسواء كانت باللســان ، أو بســوء المعاملة ، أو بعدم الصلة ، أو بافشاء سره وكشــف عورته للناس الخ •

ولشــدة أذى الجار فقد جاء التحــذير ، والترهيب من ذلك فى العــديد من أحاديث النبى عليه الصــلاة والســلام : فتارة يخبر الرسول ﷺ بأن أذى الجــار منافيا للايمان ، يوضح ذلك الحــديث التالى :

فعن « أبى شريح الكعبى » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم :

« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : يا رســول الله لقــد خاب وخسر من هــذا ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه ، قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره »[1] •

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وســلم قال :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جــاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضــيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليســكت »[2] •

---

(١) رواه البخارى ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٧٧ •

(٢) رواه البخارى ومسلم ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٧٦ •

وتارة يغلظ النبى عليه الصلاة والسلام من شأن السيئة التى يفعلها الجار مع جاره حتى يجعلها تساوى عشر سيئات ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « المقداد بن الاسود » رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه :

« ما تقولون فى الزنا ؟ قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « لان يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره ، قال : « ما تقولون فى السرقة ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهى حرام ، قال : « لان يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره »[٣] •

وتارة يخبر النبى ﷺ وخبره صدق محض لانه لا ينطق عن الهوى ، أن أذى الجار يكون سببا فى دخول النار ، مهما تصدق الانسان ، أو صلى وصام ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ان فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها ، وصيامها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال ﷺ : « هى فى النار ، قال : يا رسول الله فان فلانة يذكر من قلة صيامها ، وصلاتها[٤] •

وأنها تتصدق بالاثوار من الاقط[٥] ولا تؤذى جيرانها ، قال :

---

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٧٦٠

(٤) أى أنها تقتصر على أداء الفرائض ، وتقلل من النوافل •

(٥) الاثوار : بالثاء المثلثة ، جمع ثور ، وهى القطعة ، والاقط : شىء يتخذ من مخيض اللبن ، أشبه بالجبن •

« هى فى الجنــة : وفى رواية « أبى بكر بن أبى شــيبة » : قالوا : يا رسول الله فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتؤذى جيرانها ؛ قال : « هى فى النار ، قالوا : يا رسول الله فلانة تصلى المكتوبات ، وتصدق من الاقط ولا تؤذى جيرانها ، قال : هى فى الجنة »[٦] .

وتارة يخبر النبى عليه الصلاة والسلام ، أن من يغلق بابه دون جاره فليس بمؤمن ، يوضح ذلك الحديث التالى :

فعن « عمرو بن شعيب » عن أبيه ، عن جــده ، عن النبى صلى الله عليه وســلم قال :

« من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله ، وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جــاره بوائقــه ، أتدرون ما حق الجار ؟ :

اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا افتقر عدت عليــه[٧] .

واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته ، واذا أصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تسطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها ، وان اشتريت فاكهة فأهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده »[٨] .

---

(٦) رواه أحمد ، والبزار ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٨٣ .
(٧) أى أحسنت اليه .
(٨) رواه الخرائطى ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٨٤ .

وتارة فيخبر الرسول ﷺ أن أذى الجار من الامور التى تقصم فقار الظهر ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « فضالة بن عبيد » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من الفواقر[٩] امام ان أحسنت لم يشكر ، وان أساءت لم يغفر ، وجار سوء ان رأى خيرا دفنه ، وان رأى شرا أذاعه ، وامرأة ان حضرت آذتك ، وان غبت عنها خانتك »[١٠] .

— والله أعلم —

(٩) جميع فاقرة ، والفاقرة : هى الداهية التى تقصم فقار الظهر والعياذ بالله .

(١٠) رواه الحبرانى باسناد جيد ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٨٦ .

أكل مال اليتيم ظلما :

لقد جاء الترهيب من أكل مال اليتيم ظلما فى الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية : فمن الآيات القرآنية : قول الله تعالى :

« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسـيصلون سـعيرا »[11] •

لقد تضمنت هـذه الآية الكريمة الوعيد الشـديد لمن يأكل مال اليتيم ظلما ، فقد أخبر الله تعالى فيها بأن الذى يأكل مال اليتيم ظلما فانه يأكل فى بطنـه نارا وذلك حيث يكون مصـيره الى النار وبئس القـرار •

كما جاء التحذير من أكل مال اليتيم ظلما فى قوله تعالى :

« ولا تقـربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبـلغ أشـده »[12] •

كما جاء التنفير من أكل مال اليتيم ظلما فى العديد من الاحاديث النبوية منها :

---

(١١) سورة النسـاء ١٠ •
(١٢) سـورة الانعـام ١٥٢ •

قوله عليه الصـــلاة والســـلام : «يبعث الله عز وجل قوما من قبورهم تخرج النار من بطونهم ، فقيل : من هم يا رسول الله ؟

قال : « ألم تر أن الله تعالى يقول : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا »[١٣] .

وفى حـــديث المعـــراج :

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فاذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا »[١٤] .

وقال « اســماعيل بن عبـــد الرحمن الســـدى » ت ١٢٧هـ :

« يحشر آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ، ومن مســـامعه ، وأنفه ، وعينـــه ، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم »[١٥] .

فيا أيها المسلم أما ينبغى لك أن تتحرج من أكل أموال اليتامى ظلما ، وأن تعمل على العطف عليهم والمحافظة على أموالهم ، كى تكون ممن قال فيهم النبى ﷺ : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكـــذا وأشـــار بالســـبابة والوسطى وفرج بينهما »[١٦] .

---

(١٣) انظر : الكبـــائر ص ٦٥ .
(١٤) رواه مسلم ، انظر : الكبـــائر ص ٦٤ .
(١٥) انظر : المصدر المتقدم ص ٦٥ .
(١٦) رواه البخارى ، وابو داود ، والترمذى ، انظر : الترغيب ج ٣ ص ٥٦٧ .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله ، وصام نهاره ، وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله ، وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين ، كما أن هاتين أختان ، وألصق أصبعيه السبابة والوسطى »(١٧) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قبض يتيما – يعنى أخذه وضمه اليه – من بين مسلمين الى طعامه وشرابه ، أدخله الله الجنة ألبتة ، الا أن يعمل ذنبا لا يغفر »(١٨) .

وعن « زرارة بن أبى أوفى » عن رجل من قومه يقال له « مالك » أو « ابن مالك » سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« من ضم يتيما بين مسلمين فى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه – أى حتى يتمكن من كسب قوته بنفسه ويصبح قادرا على العمل – وجبت له الجنة ألبتة ، ومن أدرك والديه ، أو أحدهما ثم لم يبرهما دخل النار ، فأبعده الله ، وأيما مسلم أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكة من النار »(١٩) .

---

(١٧) رواه ابن ماجه ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٥٦٨ .
(١٨) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٦٨ .
(١٩) رواه ابو يعلى ، والطبرانى ، وأحمد ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٦٩ .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه »[٢٠] .

وعن « أبى أمامة » رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا الله كان له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن الى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى »[٢١] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من يفتح باب الجنة ، الا أنى أرى امرأة تبادرنى — أى تسابقنى فى الدخول — فأقول لها : مالك ومن أنت فتقول : أنا امرأة قعدت على أيتام لى »[٢٢] .

يعنى مات زوجى وترك لى أولادا صغارا فقمت عليهم ولم أتزوج .

وعن « أبى الدرداء » رضى الله عنه قال :

أتى النبى ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه ، قال : أى النبى ﷺ « أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؟

---

(٢٠) رواه ابن ماجه ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٧٠ .
(٢١) رواه أحمد ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٧١ .
(٢٢) رواه أبو يعلى ، باسناد حسن ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٧١ .

ارحم اليتيم وامسح رأسه واطعمه من طعامك يلن قلبك ، وتدرك حاجتك »[٢٣] .

وعن « أبى هرير » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ، ولان له فى الكلام ، ورحم يتمه وضـــعفه ، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله »[٢٤] .

ــ والله أعــلم ــ

---

(٢٣) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٧١ .
(٢٤) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٧٢ .

ترك الصـــلاة عمدا باخراجها عن وقتهـــا :

ان التهاون فى أداء الصلاة فى أوقاتها من الكبائر التى حرمها الله تعالى .

وقد جاء التحذير ، والتخويف من تأخير الصلاة عن وقتها فى كل من : الكتاب ، والســـنة :

قال الله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشـــهوات فسوف يلقون غيا »(٢٥) .

قال « ابن عباس » رضى الله عنهما :

« ليس معنى « أضاعوها » تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن وقتها » أ هـ .

فمن مات وهو مصر على هـــذه الحالة ولم يتب ، فانه سيكون يوم القيامة فى واد من جهنم بعيـــد قعره خبيث طعمـــه وهـــذا هو « الغى » الوارد فى قوله تعالى : « فســـوف يلقون غيا » .

وقال تعـــالى : « فـــويل للمصـــلين الذين هم عن صـــــلاتهم ســـــاهون »(٢٦) .

---

(٢٥) ســورة مريم ٥٩ .
(٢٦) ســورة الماعون ٤ ــ ٥ .

ومعنى « ســاهون » أى غافلون عنها ، ومتهاونون بها •

قال « سعد بن أبى وقاص » ت ٥٥هـ على خلاف : رضى الله **عنه : « سألت رسول الله ﷺ** عن « الذين هم عن صلاتهم ساهون » فقال : « هو تأخير الوقت » أ هـ •

فالذين يؤخرون الصـــلاة عن وقتها أعد الله لهم يوم القيـــامة « الويل » وهو شـــدة العذاب •

وقيل : « الويل » واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شـــدة حره ، وهو مســـكن من يتهاون بالصـــلاة ، ويؤخرها عن وقتها ، الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على فرط منه ، فمن تاب ، تاب الله عليـــه •

وقال تعـــالى :

« يا أيها الذين آمنوا الا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[٢٧] •

قال بعض المفسرون : المراد بذكر الله فى هـــذه الآية : الصلوات الخمس »[٢٨] •

وعن « مصـــعب بن ســـعد » رضى الله عنه قال : قلت لابى : يا أبتاه أرأيت قـــوله تبارك وتعـــالى : « الذين هم عن صـــلاتهم ساهون »[٢٩] •

---

(٢٧) ســورة المنافقون ٩ •
(٢٨) انظر : تفسير الجلالين ص ٤٧٢ •
(٢٩) ســورة الماعــون ٥ •

أينا لا يسهو ، أينا لايحدث نفسه ؟ قال : ليس ذاك ، انما هو اضاعة الوقت يلهو حتى يضيع الوقت »[٣٠] .

فمن اشتغل بماله فى بيعه ، وشرائه ، ومعيشته ، وأولاده ، عن الصلاة وتركها حتى يخرج وقتها ، كان من الخاسرين :

فعن « ابن عباس » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « من جمع بين صلاتين من غير عذر ، فقد أتى بابا من أبواب الكبائر »[٣١] .

وقال الله تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم :

« ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين »[٣٢] .

وعن « عبادة بن الصامت » رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى رسول الله ﷺ بسبع خصال فقال : « لا تشرك بالله شيئا وأن قطعتم أو حرقتم ، أو صلبتم ، ولا تتركوا الصلاة متعمدين ، فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ، ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ، ولا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها »[٣٣] .

وقال « عبد الله بن شقيق العقلى » رضى الله عنه : « كان

---

(٣٠) رواه أبو يعلى باسناد حسن ، انظر : الترغيب جـ ١ ص ٤٨٦ .
(٣١) رواه الحاكم ، انظر : الترغيب جـ ١ ص ٤٨٧ .
(٣٢) سورة المدثر ٤٢ ـ ٤٨ .
(٣٣) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٧٥ .

أصحاب « محمد » ﷺ لا يرون شــيئا من الاعمــال تركه كفر غير الصــلاة »[٣٤] .

وعن « ثوبان » رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول :

« بين العبد وبين الكفر والايمان الصــلاة ، فاذا تركها فقــد أشرك »[٣٥] .

وعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصــلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ، ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجــاة ، وكان يوم القيــامة مع قارون ، وفرعــون ، وهامان ، وأبى خــلف »[٣٦] .

قال بعض العلمــاء :

« انما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الاربعة ، لانه انما يشتغل عن الصلاة اما بماله ، أو بملكه ، أو بوزارته ، أو بتجارته ، فان اشتغل عن الصلاة بماله حشر مع قارون وان اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، وان اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، وان اشتغل بتجارته حشر مع أبى بن خــلف »[٣٧] .

---

(٣٤) رواه الترمذى ، انظر : الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٧٦ .
(٣٥) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٧٦ .
(٣٦) رواه أحمد باسناد جيد ، انظر : الترغيب ج ١ ص ٤٨٥ .
(٣٧) انظر : الكبائر للذهبى ص ١٨ .

وعن « معاذ بن جبل » ت ١٧ هـ رضى الله عنه قال : « أوصانى رسول الله ﷺ بعشر كلمات قال : « لا تشرك بالله شيئا وان قطعت وحرقت ، ولا تعطى والديك وان أمراك أن تخرك من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا ، فان من ترك صـــلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشـــة ، واياك والمعصية فان المعصـــية حل ســـخط الله ، واياك والفرار من الزحف ، وان هلك الناس ، وان أصاب الناس موت فأثبت ، وانفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصـــاك أدبا ، وأخفهم فى الله »[٣٨] .

وعن « ثوبان بن بجدد » ت ٤٥هـ رضى الله عنه قال : « سمعت رســـول الله ﷺ يقول : « بين العبد وبين الكفر والايمان الصـــلاة ، فاذا تركها فقد أشرك »[٣٩] .

وعن « عبـــد اللـــه بن عمر » رضى اللـــه عنهما قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وســـلم :

« لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا صـــلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، انما موضع الصلاة من الدين كموضـــع الرأس من الجســـد »[٤٠] .

وعن « بريدة بن الحصيب » ت ٦٢هـ رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« بكروا بالصـــلاة فى يوم الغيم .

---

(٣٨) رواه الطبرانى فى الكبير ، انظر : الترغيب ج ١ ص ٤٨١ .
(٣٩) رواه الطبرانى باسناد صحيح ، انظر : الترغيب ج ١ ص ٤٧٦ .
(٤٠) رواه الطبرانى فى الاوسط والصغير ، انظر : الترغيب ج ١ ص ٤٧٧ .

المعنى : بادروا بصــلاة العصر اذا كان فى السماء غيم خشــية أن يخرج وقتها بغروب الشمس ــ فانه من ترك الصلاة فقد كفر »[٤١] •

وعن « عمر بن الخطــاب » ت ٢٣ ﻫ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم :

« من ترك الصــلاة متعمدا أحبط الله عمــله ، وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع لله عز وجل توبة »[٤٢] •

ــ والله أعــلم ــ

(٤١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى ، انظر : الترغيب ج ١ ص ٤٧٤ •
(٤٢) رواه الاصبهانى ، انظر : الترغيب ج ١ ص ٤٨٣ •

الربـــا :

لقد ثبت تحريم « الربا » بالكتاب ، والسنة ، والاجماع .

قال الله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشـــيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما ســـلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم »[٤٣] .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورســـوله وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »[٤٤] .

المعنى : يخبر الله تعالى بأن الذين يأخذون الربا ويســـتحلونه من غير وجه شرعى ، ويأكلون أموال الناس بالباطل قد أغراهم حب الدنيا ، وركبهم الشيطان ، وتغلب عليهم الهـــوى .

قال « قتادة بن دعامة السدوسى » ١١٨هـ : « ان آكل الربا يبعث يوم القيـــامة مجنـــونا ، ذلك علم على آكله الربا يعـــرفهم به أهل الموقف »[٤٥] .

---

(٤٣) سورة البقـــرة ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .
(٤٤) ســـورة البقـــرة ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .
(٤٥) انظـــر : الكبائر للذهبى ص ٦١ .

وعن « أبى سعيد الخـدرى » رضى الله عنه ، أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم :

قال : « لمـا أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم ، منضدين على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشـيا ، قال : فيقبلون مثل الابل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون ، فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون ، فيردونهم مقبلين ، ومدبرين ٠٠٠٠ قال ﷺ : فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ٠٠

وفى رواية :

قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم :

« لمـا عـرج بى سـمعت فى السـماء السـابعة فوق رأسى رعدا وصواعق ، ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ، ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال : هؤلاء آكلة الربا »[٤٦] ٠

ولشـدة حرمة « الربا » فقد طرد الله آكل الربا ، وموكـله ، وشاهده ، وكاتبه ، من رحمته :

فعن « عبـد اللـه بن مسـعود » رضى اللـه عنـه قال : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله[٤٧] ٠٠

---

(٤٦) رواه أحمد ، وابن ماجه ، انظر : الكبائر ص ٦١ ٠

(٤٧) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ٦١٨ ٠

وفى رواية : « وشاهديه ، وكاتبه » .

ولقد سد الاسلام الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا ، فحرم قليله وكثيره ، وأعلن الله الحرب على المرابين .

اقرأ معى قول الله تعالى : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله »[٤٨] .

وقد أخبر النبى ﷺ أنه اذا ظهر الربا ، والزنى فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله »[٤٩] .

فيا أيها المؤمنون خذوا لانفسكم الوقاية من عذاب الله ، وذروا ما بقى من الربا » أى اقطعوا المعاملة به فورا فضلا عن انشاء المعاملة به من جديد ان كنتم مؤمنين ، والا ــ أى ان لم تتركوا التعامل بالربا ، فلستم بكاملى الايمان .

وعن « أنس بن مالك » ت ٩٣هـ رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « الدرهم الذى يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية فى الاسلام »[٥٠] .

وقال « عبد الله بن مسعود » ت ٣٢هـ رضى الله عنه : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى اليه هدية فهى سحت » أ هـ[٥١] .

(٤٨) رواه الترمذى ، انظر : رياض الصالحين ص ٦١٨ .
(٤٩) رواه الحاكم .
(٥٠) رواه ابن ابى الدنيا ، والبيهقى ، انظر : الكبائر ص ٦٣ .
(٥١) انظر : الكبائرص ٦٣ .

وتصديقه من قول النبى عليه الصلاة والسلام : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا »[٥٢] .

وقال « الحسن البصرى » ت ١١٠هـ رحمه الله : « اذا كان لك على رجل دين فأكلت من بيته فهو سحت » أ هـ .

وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم : « كل قرض جر نفعا فهو ربا »[٥٣] .

واعلم أيها المسلم أن الربا نوعان :

الاول — ربا بالنسيئة : أى التأخير فى أجل الدفع ، والزيادة فى الدين ، كما كان يحصل فى الجاهلية اذا حل الدين يقول : اما أن تدفع ، واما أن تؤجل ويزيد الين ..

والثانى — ربا الفضل : وهو الزيادة المشروطة للدائن بغير مقابل .

فعن « عبادة بن الصامت » ت ٣٤هـ رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد »[٥٤] .

---

(٥٢) أخرجه أبو داود ، انظر : الكبائر ص ٦٤ .
(٥٣) انظر : الكبائر ص ٦٣ .
(٥٤) رواه مسلم ، انظر : سبل السلام جـ ٢ ص ٣٧ .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الذهب بالذهب ، وزنا بوزن ، مثلا بمثل ، والفضة بالفضة ، وزنا بوزن ، مثلا بمثل ، فمن زاد أو استزاد فهو ربا »(٥٥) .

فان قيل : نريد أن نتبين حكمة تحريم الربا ؟

أقول : ان الدين الاسلامى دين تعاطف وتراحم ، وبر وخير وعون ومساعدة واخوة صادقة فى الله ، دين يحافظ على الصلات الطيبة بين جميع الافراد ، وان تحل المروءات محل المصالح الخاصة ، لهذا شرع الاسلام الصدقة ، بها يشعر الفقير بالعطف من الغنى .

وقد جعل الله النقدين : الذهب والفضة ، أو ما يقوم مقامهما كأوراق البنكنوت لتقويم السلع ، ولم يخلقها للاستغلال عن طريق الحاجة ، لان هذا يؤدى الى تكديس الثروة بسبب الربا فى أيدى جماعة من الناس . والتعامل بالربا يقطع صلة التراحم بين الناس ، ويولد البغضاء فى النفوس ، ويوجد الحقد والحسد بين الاغنياء والفقراء ، وغير ذلك مما يجعل الناس يتعاملون مع بعضهم كالحيوانات الجائعة كل ينتهز الفرصة ، ويتربص بأخيه كى ينقض عليه ، وفى هذا بلا شك ، هلاك للامة ، وهو خسران مبين .

وان الاعتماد على الربا يمنع الكثيرين من الاشتغال بالاعمال المشروعة ، وذلك لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا

---

(٥٥) رواه مسلم ، انظر : سبل السلام جـ ٢ ص ٣٨ .

من تحصيل الدرهم الزائد خف عليه اكتساب سبب معيشته ولا يريد أن يتدمل مشـــقة الكسب عن التجارة والصـــناعات الشـــاقة وذلك يقضى الى انقطاع منـــافع الخـــلق .

ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم الا بالتجارة ، والحرف ، والصـــناعات .

ـ والله أعـــلم ـ

الرشـــوة :

الرشوة نوع من أنواع أكل أموال الناس بالباطل • وقـد جاء الترهيب من أكل أموال الناس بالباطل فى كل من الكتاب والسنة :

قال الله تعالى :

« يا أيهـا الذين آمنـوا لا تأكلوا أمـوالكم بينكم بالبـاطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسـكم ان الله كان بكم رحيما • ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسـيرا »[٦٥] •

وعن « ثوبان » رضى الله عنه قال :

لعن رسول ﷺ الراشى ، والمرتشى ، والرائش »[٥٧] •

فالراشى : هو الدافع للرشـوة •

والمرتشى : هو القابض لها •

والرائش : هو الواسـطة بينهما •

واللعن : هو الطرد من رحمة الله تعالى •

---

(٥٦) سـورة النسـاء ٢٩ ـ ٣٠ •
(٥٧) رواه أحمد ، والبزار ، والطبرانى ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٣١٨ •

والرشـــوة من الامراض الاجتمــاعية الخطيرة التى تفشت فى المجتمعات ، وبخاصة بين الرؤساء ، والمرءوسين ، وأصبح لا يتحرز منها ويبتعد عن أخذها الا من رضى الله عنه ، وأعد له جنات النعيم •

فيا أيها المســلم تدبر العواقب ، واحــذر عقوبة المعاقب ، قال الشـــاعر :

أمــا والله لو عــلم الانام
لمــا خلقوا لما هجعوا وناموا
لقــد خلقوا الامر لو رأته
عيون قلوبهم تاهوا وهــاموا
ممـــات ثم قبــر ثم حشر
وتوبيخ وأهــوال عظـــام
ليوم الدشر قد عملت رجال
فصــلوا مخافته وصــاموا
ونحن اذا أمــرنا أو نهينــا
كأهل الكهف أيقــاظ نيــام

وقد أعد الله للراشى ، والمرتشى النار وبئس القرار :

فعن « عبد الله بن عمر » رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الراشى والمرتشى فى النار »[٥٨] •

---

(٥٨) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣١٧ •

والرشوة قد تجر الى الوقوع فى الكفر — والعياذ بالله — وذلك اذا كانت سببا فى أن يحكم الانسان بغير ما أنزل الله .

فقد ورد عن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه قوله :

« الرشـــوة فى الحكم كفر ، وهى بين الناس سحت »[٥٩] .

— والله أعـــلم —

---

(٥٩) رواه الطبرانى موقوفا باسناد صحيح ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٣١٩ .

قتل النفس بغير حــق :

من الامور التى حرمها الله تعالى قتل النفس بغير حق • وقــد ورد فى عقــوبة قتل النفس بغير حق الآيات القرآنيــة والاحــاديث النبوية : فمن الآيات القرآنية : قول الله تعالى :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما »(٦٠) •

لقد بينت هــذه الآية الكريمة أن من يقتل مؤمنا متعمدا ، قاصدا قتله بما يقتل غالبا كالرصاص ، أو الآلة الحــادة كالســيف مثلا ، فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضــب الله عليه ، وطرده من رحمته ، وأعد له عذابا عظيما ، لا يدرى كنهه الا الله المنتقم الجبار •

ومن الاحاديث النبوية :

قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه :

« اجتنبوا السبع الموبقات » وذكر منها « قتل النفس التى حرم اللــه الا بالحــق » •

وقال رجلٌ للنبى ﷺ : أى ذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خالقك ، قال : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشــية أن

---

(٦٠) ســورة النســاء ٩٣ •

يطعم معك ، قال : ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك » فأنزل الله تصديقا لذلك « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا »[٦١] ٠

وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبة حجة الوداع :

« لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »[٦٢] ٠

فيا أيها المسلمون ثوبوا الى رشدكم ، وخافوا عقاب ربكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ٠

ــ والله أعلم ــ

(٦١) سورة الفرقان ٦٨ ــ ٦٩ ٠
(٦٢) متفق عليه ٠

قطيعة الرحم :

الرحم : قرابة الانسان ، سواء كان من جهة أبيه ، أو من جهة أمه .

وقطيعة الرحم : أى عدم برها وصلها .

وقد جاء التحذير ، والترهيب من قطيعة الرحم فى كل من الكتاب ، والسنة :

فمن الكتاب قول الله تعالى :

« فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم »(٦٣) .

هاتان الآيتان تضمنتا وصفين للذين يقطعون أرحامهم ، ولم يصلوها :

الوصف الاول :

انهم صم عن سماع منهج القرآن ، وهدى النبى عليه الصلاة والسلام لان كلا منهما جاء بالترغيب فى صلة الرحم ، فمن قطع رحمه فهو كالاصم الذى لا يسمع ما يقال له .

---

(٦٣) سورة محمد ٢٢ ـ ٢٣ .

الوصــف الثــانى :

انهم عمى عن ادراك الطريق الصحيح الذى رسمه لهم المنهج الاسلامى ، فأصبحوا يتخبطون فى حياتهم كالاعمى الذى لا يبصر من حـــوله ..

كما تضــمنتا وعيدا شــديدا اللذين يقطعون أرحامهم ألا وهو طردهم من رحمة الله ، والنبى ﷺ يحــذر أشد التحذير من قطيعة الرحم لمــا فيه من الوعيد الشديد ، والاثم الكبير :

فعن « عبد الرحمن بن عوف » رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول :

« قال الله عــز وجل : أنا الله وأنا الرحمن ، خــلقت الرحم ، وشـــققت لها اسما من اسمى ، فمن وصــلها وصــلته ، ومن قطعها قطعته ، أى قطعته . أو قال : بتته »[٦٤] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان الله تعالى خلق الخق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هــذا مقام العائذ بك من القطيعة[٦٥] .

قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى[٦٦] .

---

(٦٤) رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حســـن صحيح انظــر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٥٦ .

(٥) أى هذا موقف المستجيربك المحتمى بحماك من خوف القطيعة وعدم الصلة .

(٦٦) أى رضيت بذلك .

قال : فذاك لك ، ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا ان شئتم قول الله تعالى : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم »(٦٧) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الرحم شجنة من الرحمن(٦٨) .

تقـول : يارب انى قطعت ، يارب انى أسىء الى ، يارب انى ظلمت ، يارب ، فيجيبها : الا ترضين أن أصل عن وصـلك وأقطع من قطعك »(٦٩) .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن اليهم ويسيئون الى ، وأحلم عليهم ويجهلون على ، فقال : ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل(٧٠) .

ولا يزال معك ظهير من الله عليهم مادمت على ذلك »(٧١) .

وعن « على بن أبى طالب » رضى الله عنه قال :

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« ألا أدلك على أكـرم أخلاق الدنيا والآخرة : أن تصـل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وأن تعفو عمن ظلمك »(٧٢) .

---

(٦٧) رواه البخارى ومسلم ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٥٦ .
(٦٨) أى اشتق اسمها ن الرحمن فلهابه صلة وارتباط .
(٦٩) رواه أحمد باسناد جيد قوى ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٥٨ .
(٧٠) أى فكأنما تضع الرماد الحار فى أفواههم حين تعاملهم بخـلاف ما يعاملونك به .
(٧١) رواه مسلم انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٦٠ .
(٧٢) رواه الطبرانى فى الاوسط ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٦٢ .

وعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنه قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال : « يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم ، فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى ، واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ، ولا جار ازاره ، انما الكبرياء لله رب العالمين »(٧٣) .

وعن رجل من خثعم قال :

« أتيت النبى ﷺ وهو فى نفر من أصحابه فقلت : أنت الذى تزعم انك رسول الله ؟

قال : نعم ، قال قلت : يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله ، قال : « الايمان بالله ، قال قلت : يا رسول الله ثم مه ، قال : « صلة الرحم ، قال قلت : يا رسول الله ثم مه قال : ثم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال قلت : يا رسول الله أى الاعمال أبغض الى الله ؟ قال : « الاشراك بالله ، قال قلت : يا رسول الله ثم مه ؟ قال : « قطيعة الرحم ، قال قلت : يا رسول الله ثم مه ؟ قال « ثم الامر بالمنكر ، والنهى عن المعروف »(٧٤) .

ـ والله أعلم

---

(٧٣) رواه الطبرانى الاوسط ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٦٥ .

(٧٤) رواه أبو يعلى باسناد جيد ، انظر : الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٥١ .

منع الزكاة :

الزكاة أحد أركان الاسلام ، فمن أنكر وجوبها فقد كفر والعياذ بالله تعالى •

ان الزكاة فى حقيقتهـا ، وفى واقع الامر هى حق الله تعالى فى اموال الاغنيـاء ، لان المـالك الحقيقى للمال هو الله جـلت قدرته ، وما الاثرياء والاغنياء الا وكلاء فى مال الله تعالى ، فمن أحسن الوكالة استمر فى وكالته ، ومن أسـاء اليها سحبت منه الوكالة •

وفى هـذا المعنى يشير قول الله تعالى : « وآتاهم من مال الله الذى آتاكم[٧٥] •

ويؤيده أيضا الحديث الذى رواه « أبو هريرة » رضى الله عنه حيث قال : « ما من يوم يصـبح العباد فيه الا ملكـان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخـر : « اللهم أعط ممسـكا تلفا »[٧٦] ••

ويقول الله تعـالى :

« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »[٧٧] •

---

(٧٥) سـورة النـور ٣٣ •
(٧٦) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٥٩ •
(٧٧) سـورة سـبأ ٣٩ •

ويقول : « وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »[٧٨] .

وان كلمة « الزكاة » فى اللغة العربية لها معنيان هما : الطهارة — والزيادة والنمـــاء .

ولقد اختار الاســـلام هـــذه الكلمة ليعبر بهـــا عن الفريضـــة الاسلامية تعبيرا عاما وشاملا ، لان هـــذا اللفظ — الزكاة — يكشف عما يقصـــده الاسلام من وراء هـــذه الفريضـــة .

فالزكاة طهارة لنفس الغنى من الشح البغيض . وصدق الله حيث يقـــول :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[٧٩] .

وبالاضافة الى أن الزكاة طهـــارة لنفس معطيها ، هى فى الوقت نفسه طهارة لنفوس الفقراء من الحســـد ، والضغينة على الاغنياء ، لان الاحسان من شأنه أن يستميل قلوب المحسن اليهم ، الى المحسن وهو المعطى .

كما أن من شـــأن الاحســـان أن يملأ قلوب الفقـــراء بالمحبـــة للاغنيـــــاء .

ثم الزكاة طهارة للمال الذى تعلق به حق الغير ، وفى هـــذا يقول النبى ﷺ : « حصنوا أموالكم بالزكاة »[٨٠] .

---

(٧٨) ســـورة البقـــرة ٢٧٢ .
(٧٩) ســـورة الحشر ٩ .
(٨٠) رواه أبو داود ، انظر : كيف السبيل الى الله ص ١٩٢ .

وكما أن الزكاة تطهير لنفس المسلم من الشح هى أيضا تدريب على صفة البذل والانفاق ، فمما هو معروف أن للعبادة أثرها العميق فى خلق الانسان ، وسلوكه ، وتوجيهه .

هـذا المسلم قد يصبح الاعطاء ، والانفاق صـفة أصـيلة من صفاته ، وخلقا عريقا من أخلاقه .

وهـذا هو المقصود من أثر اخراج الزكاة فى تربية المسـلم على الفضـيلة ، وتخليصه من الشح والرذيلة .

والانسـان اذا ما تطهر من الشح والبخل ، واعتـاد البـذل والعطاء ، ارتقى من حضيض الشح الانسانى الى صفة الكرم والجود .

عن « أبى أمامة صدى بن عجلان » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسك شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعـول ، واليد العليـا خير من اليـد السـفلى »[(٨١)] .

والزكاة من جهة أخرى تعتبر تنبيها للقلب على واجبه نحو خالقه ورازقه .

كما تعتبر علاجا للقلب من الاسـتغراق فى حب الدنيـا وحب المـال .

---

(٨١) رواه مسلم ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٦٠ .

ولقد اقتضت حكمة الشارع تكليف مالك المال باخراج جزء من ماله ، ليصير ذلك الاخراج كسرا لنفسه ، وشهواته من شدة الميل الى حب المال ، ومنعا من انصراف النفس بالكلية اليه ، وتنبيها على أن سعادة الانسان لا تحصل عند الاشتغال بحب المال ، وانما تحصل بانفاق المال فى طلب مرضاة الله تعالى ، اذا فايجاب الزكاة خير علاج لازالة مرض حب الدنيا عن القلب .

عن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »(٨٢) .

وقد جاء الترهيب مع منع الزكاة فى كل من الكتاب والسنة .

فمن الكتاب قول الله تعالى :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لانفسكم فذقوا ما كنتم تكنزون »(٨٣) .

وقال تعالى :

« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »(٨٤) .

---

(٨٢) متفق عليه ، انظر : رياض الصالحين ص ٢٥٩ .
(٨٣) سورة التوبة ٣٤ .
(٨٤) سوة آل عموان ١٨٠ .

ومن السنة المطهرة ما يلى :

١ ــ عن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع ، حتى يطوق به عنقه ، ثم قرأ علينا النبى ﷺ مصداقه من كتاب الله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »(٨٥) .

٢ ــ وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة ، يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم ، فيقول الله عز وجل : وعزتى وجلالى لأدنينكم ولابعدنهم ، ثم تلا رسول الله ﷺ : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »(٨٦) .

٣ ــ وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها

---

(٨٥) رواه ابن ماجه ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٧٠٨ .
(٨٦) رواه الطبرانى ، انظر : الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٧١٠ .

الا اذا كان يوم القيـــامة صـــفحت له صـفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سـنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سـبيله اما الى الجنة ، واما الى النار ، قيل يا رسـول الله : فالابل ؟ قال : ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ، ومن حقها حلبها يوم وردها — أى وردها المـاء لتشرب — الا اذا كان يوم القيـامة بسطح لها بقاع قرقر — القرقر : الارض المطمئنـة اللينة — أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها ، وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سـنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله اما الى الجنة ، واما الى النـــار .

قيل يا رسول الله : فالبقر والغنم ؟

قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ، أوفـر ما كانت ، لا يفقد منها شـيئا ، ليس منها عقصـاء — وهى ملتوية القرن — ولا جلحاء — وهى التى لا قرن لها — ولا عضباء — وهى مكسورة القرن — تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافهـا ، كلما مر عليه أولها ، رد عليه آخرها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العبـاد ، فيرى سـبيله اما الى الجنة ، واما الى النـار .

قيل يا رسول الله : فالخيل ؟

قال : الخيل ثلاثة : هى لرجل وزر — أسـبب للوزر وارتكاب الآثام — وهى لرجل ستر — أى بعد عن ذل السؤال وهـى لرجل أجر :

فأما التى هى له وزر ، فرجل ربطها رياء وفخرا ، ونواء لاهل الاســـلام[٨٧] • فهى له وزر •

وأما التى هى له ستر ، فرجل ربطها فى سبيل الله ، ثم لم ينس حق الله فى ظهورها ، ولا رقابها ، فهى ستر •

وأما التى هى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله لاهل الاسلام ، فى مرج — والمرج : هى الارض الواســعة التى فيها نبات كثير — أو روضة ، فما أكلت من ذلك المرج ، أو الروضة من شىء الا كتب له عدد ما أكلت حســـنات ، وكتب له عدد أرواثها ، وأبوالهـــا حســـنات ، ولا تقطع طولها فاستنت شرفا أو شرفين — أى جرت بقوة شــوطا نحو ميل أو شوطين — الا كتب له عدد آثارها ، وأرواثها حســنات ، ولا مر بها صــاحبها على نهر فشربت منــه ، ولا يريد أن يســقيها الا كتب الله تعالى له عدد ما شربت حســـنات •

قيل يا رسول الله : فالحمر ؟

قال : ما أنزل الله على فى الحمر الا هــذه الآية الفذة — أى المفردة — « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[٨٨] •

— والله أعـــلم —

---

(٨٧) النـــواء : بكسر النون ورفع الواو مع المد : أى معاداة للمسلمين •
(٨٨) رواه البخارى وسلم ، انظر : الترغيب والترهيب ج ١ ص ٧٠٤ •

« نظـام الأسرة المسـلمة »

ان منهج الامة الاسلامية هو دسـتورها الذى يتمثل فى كتاب الله تعالى ، وسـنه نبيه عليه الصـلاة والسـلام .

فالقرآن ، والسـنة هما الأصـلان اللذان لا عـدول عنهما ، والعصمة والنجاة لمن تمسك بهما ، وسـار على منهجهما .

اذ يجب على سائر المسـلمين فى شـتى بقاع الارض الرجوع اليهما ، والاحتكام بما جاء فيهما ، قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمـا شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسـهم حرجا مما قضيت ويسـلموا تسـليما »(١) .

ومن يطـالع القرآن الكريم ، والسـنة المطهرة بفكر وانعـام نظر ، يجد أن هـذين المصدرين قـد نظما للامة الاسـلامية منهجا متكاملا فى شتى نواحى الحيـاة :

فى الاخلاق ، والعبادات ، والمعـاملات ، وفى صلة الفرد بالله تعالى ، وبأسرته ، وبجيرانه ، وبمجتمعه ، وبحاكمه الى غير ذلك .

وصدق الله حيث قال : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء »(٣) .

---

(١) سـورة النسـاء ٦٥ .
(٢) سـورة الانعـام ٣٨ .

ويهمنى أن أتحدث عن « المنهج » الذى رسمه لنا دستورنا فى « نظام الاسرة المسلمة » وذلك لأن الاسرة هى الامة الصغيرة للمجتمع ، فاذا ما صلحت صلح المجتمع كله ، واذا ما فسدت فسد المجتمع أيضا •

اذ الاسرة مثلها فى ذلك مثل القلب بالنسبة للانسان ، وصدق الرسول ﷺ حيث قال : « ان الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » ؟ •

فمن الاسرة تعلم الانسان أفضل أخلاقه الاجتماعية •

ومنها تعلم الرأفة ، والمحبة والحنان •

واذا تتبعنا سائر الفضائل ، والمناقب الخلقية المحمودة بلغنا بها فى أصل من أصولها — على الاقل — مصدرا من مصادر الحياة فى الاسرة •

فالغيرة ، والعزة ، والوفاء ، ورعاية الحرمات ، كلها قريبة النسب من فضائل الاسرة •

اذا فلابد أن يكون هناك نظام قائم على الحب ، والعطف ، والتراحم ، والتعاون بين أفراد الاسرة الواحدة حتى تظل متماسكة فيما بينها •

ولذلك فقد تعاقب المفكرون ، والفلاسفة ، والمصلحون فى وضع نظم ، وقوانين ، ينظمون بها حياة الاسرة الواحدة •

ولكن سرعان ما نجد هـذه النظم ، وتلك القـوانين تنهـار ، لـما يظهر فيها من خلل وقصـور .

فان قيل ما سبب ذلك ؟

أقول : ان صـاحب كل نظام ، أو قانون ، ، يحتاج الى منهج للنظام ، أو القانون الذى يريد أن يضعه ، وكل منهج اذا ما أريد له أن يكون سليما لابد لصـادبه عند ارادة وضـعه أن يلاحظ الامور الآتيـة :

أولا — الشـمول :

بمعنى أنه ينبغى عند ارادة وضع قانون ، أو نظام يكفل سعادة الاسرة أن يكون هـذا القانون شـاملا لجميع أفراد المعمورة أصحاب العقيـدة الواحـدة .

وهل يستطيع الفرد بامكانياته المحدودة أن يفعل ذلك ؟ الجواب : « لا » .

الامر الثانى — العموم :

بمعنى أنه ينبغى على صـاحب القـانون أن يسـتقصى جميع العوامل التى يتوقعها أن تكون سببا فى سعادة الاسرة ، ليكون القانون شـاملا ، والا كان ذلك القانون ناقصـا اذا ما تناول بعض الحالات دون البعض ، وهل يمكن لأى انسان أن يفعل ذلك ؟

الجـواب : « لا » .

الامر الثالث : العمق :

بمعنى أنه ينبغى على كل مقنن أن يضع الحلول ، والعلاج لجميع المشاكل الموجودة فى عصره ، والتى ستجد فى المستقبل البعيد ، أى بعد آلاف السنين ، اذا ما أراد أن يكتب لقانونه الاستمرار ، ويكون صالحا لكل زمان ومكان .

وهل يستطيع الانسان الذى يعجز عن معرفة ما سيحدث فى الغد القريب فضلا عن البعيد أن يفعل ذلك ؟

الجواب : «لا » بل ألف « لا » .

لذلك نجد النظم ، والقوانين التى من وضع البشر سرعان ما يظهر عدم صلاحيتها ، ويظهر قصورها ، فتنهار وتزول .

ولهذا نجد العالم فى اضطراب مستمر :

يوضع قانون ، ثم يوضع للقانون قانون مفسر ، ثم يلغى القانون ، لانه اكتشفت فيه أخطاء ، وعيوب ، وقصور ، وهكذا .

أما نظام الاسرة فى الاسلام ، فهو ثابت ، ولن يحتاج الى أى تغيير أو تعديل .

فان قيل : لماذا ؟

أقول : لأن الواضع لهذا النظام هو الله تعالى وفقا لمنهج مرتب دقيق ، فالله تعالى لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ،

وصـــدق الله حيث قال :

« ان الله لا يخفى عليه شى فى الارض ولا فى الســـماء هو الذى يصـــوركم فى الارحام كيف يشـــاء لا اله الا هو العزيز الحكيم»[٣] .

اذ علمه تعالى قد شـــمل جميع أفراد بنى الانسان ، وغير أفراد بنى الانســـان من ســـائر المخـــلوقات ، وهـــذا هو الجـــانب « الشمولى » .

كما أنه تعالى عالم بجميع الأشـــياء :

ظاهرها ، وباطنها ، صغيرها وكبيرها ، كما قال تعالى : « يعـــلم خائنة الاعين وما تخفى الصـــدور »[٤] . .

وهـــذا هو جانب « العموم » .

أما من ناحية « العمق » فالله تعالى هو الذى ســـيرث الارض ومن عليها ، وهو مالك يوم الدين .

اذا فليس هنـــاك نظام ، ولا قانون للاسرة أنفع ، ولا أشمل ولا أدق ، من القانون الاسلامى ، لانه من هدى الحكيم الخبير .

ـ والله أعـــلم ـ

---

(٣) ســـورة آل عمـــران ٦٥ .
(٤) ســـورة غـــافر ١٩ .



« كيفيــة اختيــار كل من الزوجين للآخر »

لمـا كانت مكانة الاسرة عظيمة فى « منهج الامة الاســلامية » وكان الزوجان هما أساس الاسرة ، كان من عناية الاســلام الا يرتبط الزوجان الا على أساس متين ، حرصا على بقــاء النوع الانسانى .

وقد أرشد الله عز وجل الى الأسس التى يجب أن تتوفر فى كل أسرة وفقا للمنهج الاســلامى الصحيح ، وهــذه الاسس ثلاثة وهى :

الاســاس الاول : الســكون النفسى .

الاســاس الثانى : المــودة .

الاســاس الثالث : الرحمــة .

وهــذه الاسس الثلاثة هى التى عليها مدار السعادة الزوجية ، التى يترتب عليها ســعادة الانسانية كلها :

فالســـكون :

هو الهدوء ، والاســتقرار الذى يترتب عليه سكون الاعصاب بعد هــذا العناء الشــديد ، والعمل المتواصل : سواء كان ذهنيا ، أو بدنيا ، الذى يجده الزوج أثناء السعى على طلب المعيشــة ، هــذا الســكون لا يشــعر به الزوج الا من زوجة مؤمنة ، حكيمة ، تفتح قلبها لزوجها ، وتقابله بالكلمة العــذبة الرقيقة فتزيل عنــه الكثير من الآلام .

ولقد ضربت لنا السيدة « خديجة » أم المؤمنين رضى الله عنها المثل الاعلى فى تخفيف الآلام عن رسول الله ﷺ .

وسيرتها العطرة فى ذلك فاقت كل شىء ، وأصبحت مضرب الامثال فى الحب ، والوفاء ، والاخلاص ، والحنان لزوجها عليه الصلاة والسلام . .

وفى كل هذه المعانى النبيلة يقول الله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٥) .

ولما كان الزواج بهذه المنزلة فى نظر « منهج الاسلام » فقد أرشد كلا من الرجل ، والمرأة الى أن يحسن كل منهما اختيار شريكه .

فعلى الرجل أن يختار لنفسه زوجة مؤمنة ، صالحة ، عفيفة ، تساعده على تكوين أسرة كريمة .

والصفات التى ينبغى أن تتوفر فى الزوجة كما رسمها لنا « منهج الامة الاسلامية » تتمثل فيما يلى :

أولا :

التمسك بالدين الاسلامى الحنيف : اذا فأول شروط الزوجة أن تكون صالحة ذات دين ، يشير الى ذلك قول الله تعالى :

---

(٥) سورة الروم ٢١ .

« فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله »[٦] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

عن النبى ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمـــالها ، وجمالها ، وحســـبها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » اهـ[٧] .

وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنه

مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال :« لا تزوجوا[٨] النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأمرالهن ، فعسى أموالهن أن يطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة ســـوداء ذات دين أفضـــــل » أ هـ[٩] .

ثانيـــا :

أن تكون الزوجة عفيفة مطيعة :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ سئل أى النســـاء خير ؟ فقال : الذى تسره اذا نظر ، وتطيعـــه اذا أمر ، ولا تخـــالفه فيمـــا يكره فى نفســـها وماله » اهـ[١٠] .

ثالثـــا :

أن تكون ســـهلة الصـــداق :

---

(٦) ســـورة النســـاء ٣٤ ·
(٧) رواه الشـــيخان ·
(٨) لا تزوجوا : أصله لا تتزوجوا بتاءين فحذفت احداهما تخفيفا ·
(٩) رواه ابن ماجه ، والبيهقى ·
(١٠) رواه النســـائى والحـــاكم ·

فعن « ابن عباس » رضى الله عنهما

ان النبى ﷺ قال « خير النســاء أحسنهن وجوها ، وأرخصهن مهــورا » اه[١١] .

رابعــا :

أن تكون طيبة الرائحة ، ســليمة الجسم :

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنــه

أن النبى ﷺ أرســل الى « أم ســليم » ان تنظر الى جــارية فقال : « شمى عوارضها ، أى أسنانها التى فى عرض الفم ، وانظرى الى عرقوبها ، وهو ما فوق العقب » أ ه[١٢] .

وعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكــاحها فليفعل » .

قال أى « جابر بن عبد الله » فخطبت جارية من « بنى سلمة » فكنت أختبىء لها تحت الكرب[١٣] حتى رأيت منها بعض ما دعــانى الى نكاحها فتزوجتها » اه[١٤] .

خامســا :

أن تكون من بيئــة صــالحة .

---

(١١) رواه ابن حبان وصححه .
(١٢) رواه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم ، والبيهقى .
(١٣) الكرب : بفتحتين : جريد النخل .
(١٤) رواه أبو داود ، والبيهقى ، والحاكم وصححه .

فعن « أبى سعيد الخدرى » رضى الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال : « اياكم وخضراء الدمن ، قيل : وما خضراء الدمن ؟

قال « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » أ هـ[١٥] ٠

سادسا :

أن تكون متعلمة :

وأقصد من قولى « متعلمة » أن تكون متعلمة ما تصحح به عبادتها ، مع تعلمها الكيفية السليمة لادارة منزلها ، ورعايتها ، لأبنائها ٠

ولا أقصد من قولى : « متعلمة » أن تكون حاصلة على احدى الشهادات الجامعية ، أو غيرها ، فقد علمنا التاريخ أن خير تعليم للمرأة هو معرفتها لآداب دينها ، وتقاليد مجتمعها الاسلامى الحنيف ، ولله در القائل :

الام مدرسة ان اعددتها

اعددت شعبا طيب الاعراف

كما حدثنا التاريخ عن كثير من الزوجات العظيمات ، دون أن يكن حاصلات على شهادات دراسية ، اللهم الا الشهادة التى منحتها لها والدتها وأسرتها ، فى كيفية معاشرة زوجها ، وادارتها لشئون منزلها ، ورعايتها لأبنائها ، ومحافظتها على حقوق جيرانها ٠

---

(١٥) رواه الدارقطنى ٠

أيها المسـلمون بعد أن حدثتكم عن « منهج الاسلام » فى اختيار « الزوجة » انتقل الحديث عن منهجه أيضا فى كيفية اختيار « الزوج » فأقـــول :

اذا كان من حق الرجل أن يختار زوجته وفقا لأمور رسـمها لنا « منهج الاســلام » •

فان من حق ولى أمر المرأة أن يحسن اختيار « الزوج » وفقـا لشروط معينة بينها لنا نبينا « محمد» عليه الصــلاة والســلام •

فان قيل :

نريد أن نتبين هــذه الشروط ؟

أقـــول :

من هــذه الشروط ما يلى :

أولا — الكفـاءة :

فعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها

أنهـا أخبرت أن فتاة دخـلت عليها فقالت : « ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا كارهة » • •

فقالت : أى عائشة رضى الله عنها : « اجلسى حتى يأتى رسول الله ﷺ •

فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأرسـل — أى الرسول ﷺ — فجعل الامر اليها •

فقالت — أى الفتاة — : يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى ،

وانمـا أردت أن أعـلم النسـاء أن ليس الى الآباء من الامـر شىء » أ هـ(١٦) .

ويحـدثنا التـاريخ : أن « بريدة » كانت جارية من جـوارى « أبى لهب » عليـه غضـب الله ، فزوجهـا « عبـدا » مـا كانت « بريدة » لترضاه لو كان أمرها اليها ، فأشـفقت عليها « عائشـة » أم المؤمنين ، فاشترتها ، واعتقتها ، فقال رسـول الله ﷺ : « ملكت نفسك فاختارى » .

وكان زوجها يمشى خلفها يترضـاها ويبكى ، وهى تأباه ، فقال النبى عليه الصـلاة والسـلام :

« ألا تتعجبـون من شـدة حبه لها ، وبغضـها له » ثم قال : ــ أى الرسول عليه الصلاة والسـلام ــ « اتقى الله فانه زوجك ، وأبو ولدك » .

فقالت : « أتأمرنى » ؟

فقال : « لا انما أنا شـافع » .

فقالت : « اذا فلا حاجة لى اليه » أ هـ .

ثانيـا :

يشترط فى الزوج أن يكون صالحا : لأن ذلك أدعى الى السعادة ، والاسـتقرار ، وانجاب الذرية الصـالحة .

---

(١٦) رواه النسـائى .

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن النبى ﷺ قال : « اذا أتاكم من ترضــون دينه ، وأمانتــه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفســاد كبير » أ هـ(١٧) .

ويحدثنا التاريخ :

أن « بلالا ، وصهيبا » رضى الله عنهما أتيا أهل بيت من العرب فخطبا اليهم ، فقيل لهما : من أنتما ؟

فقال : « بلال » : « أنا بلال ، وهــذا أخى صهيب ، كنا ضالين فهدانا الله ، وكنا مملوكين فأعتقنا الله ، وكنا عائلين فأغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله ، وان تردونا فسبحان الله » فقالوا : بل تزوجان والحمد لله .

فقال « صهيب » لبلال : « لو ذكرت مشــاهدنا ، وسوابقنا مع رســول الله ﷺ » ؟

فقــال ــ أى بلال ــ : « أســكت ، فقــد صــدقت فأنكحك الصـــدق » أ هـ(١٨) .

ــ والله أعــلم ــ

---

(١٧) رواه الترمذى ، وحسنه .
(١٨) انظر : الاحيــاء جـ ٢ ص ٤٠ .

« حقوق الزوج على زوجته »

ان « منهج الاسلام بين حقوق كل من الزوجين على الآخر .

ومن ينعم النظر فى « منهج الاسلام » يستطيع أن يتعرف على حقوق الزوج على زوجته .

واليك أيها المسلم أهم هذه الحقوق :

الحق الاول : الطاعة :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، دخلت جنة ربها » أ هـ(1) .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما قال :

« جاءت امرأة الى النبى ﷺ وقالت : يا رسول الله انى رسول النساء اليك ، وما منهن امرأة الا وتهوى مخرجى اليك ، الله رب الرجال والنساء وأنت رسول الله الى الرجال والنساء ، كتب الله الجهاد على الرجال ، فان أصابوا أثروا ، وأجروا ، وان استشهدوا كانوا عند ربهم يرزقون ، فيما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟

قال ـ أى الرسول ﷺ ـ : « طاعة أزواجهن ، والمعرفة بحقوقهم ، وقليل منكن من يفعله » أ هـ(2) .

---

(1) رواه ابن حبان .
(2) رواه الطبرانى .

حقـــا : انه لتوجيه عظيم ، وارشـــاد جليل ، وفضـــل كبير ، حيث قرر « منهج الاســـلام » على لســـان نبى الاسلام الذى لا ينطق عن الهوى أن طاعة المرأة لزوجها يعدل الجهاد فى ســـبيل الله .

وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال :

« ســـمعت رســـول الله ﷺ يقول : « ان المرأة اذا خرجت من بيتها ، وزوجها كاره لعنها كل ملك فى الســـماء ، وكل شىء مرت عليه غير الجن والانس حتى ترجع » أ هـ(٣) .

ياللهول ، انه لـــذنب عظيم ، وجرم كبير وتحـــذير لكل امرأة ألا تخرج من بيتها بدون اذن زوجهـــا لانها ان فعلت ذلك فســـيكون عقابها اللعن والطرد من رحمـــة الله تعـــالى .

الحق الثانى : حفظ العرض والمـــال :

أى من حقوق الزوج على امرأته أن تحفظ عرضـــه ، وماله ، أثناء وجوده ، وفى حالة غيـــابه ، أى فى جميع الاحوال كلها .

فعن « عمرو بن الاحوص » رضى الله عنه :

انه سمع رســـول الله ﷺ فى حجة الوداع : « ألا أن لكم على نســـائكم حقـــا ، ولنســـائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشـــكم من تكرهونه ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهونه » .

وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما قال :

« أتت امرأة من « خثعم »(٤) الى رســـول الله ﷺ فقـــالت :

---

(٣) رواه الطبـــرانى .
(٤) خثعم : قبيلة من قبائل العرب .

« انى امرأة أيم ، أى غير متزوجــة ، وأريد أن أتزوج فمــا حق الزوج ؟

قال : « ان من حق الزوج على زوجته اذا أرادها فراودها عن نفســها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ، ومن حقه ألا تعطى شــيئا من بيته الا باذنه ، فان فعلت ذلك كان عليها الوزر والاجر له » أ هـ(٥) .

نعم : انها امرأة جليلة فاضلة ، أرادت قبل أن تتزوج أن تتعلم من النبى ﷺ الحقوق التى تجب للزوج على زوجته كى تســير عليها وفقا لمنهج الاســلام ، وكى تحظى ، وتندرج فيمن قال الله فيهن :

« فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله »(٦) .

ثالثــا — التودد لزوجها ، والتزين له :

فعن « أم ســليم » بنت « ملحان » :

لمــا مات ولــدها ، قالت لزوجها « أبو طلحة » حين دخل عليها وسألها عن ولده وهو لا يعــلم بموته ، قالت له : « هو أســكن ما كان » فظن أنه عوفى ، فأكل ، ثم تزينت وتطيبت ، فنام معهــا ، وأصــاب منها ، فلما أصبح قالت له : « احتسب ولدك » .

فذهب الى النبى ﷺ وذكر له ذلك ، فقال له النبى عليه الصلاة والســلام : « بارك الله لكما فى ليلتكما » فجاءت بولد » أ هـ .

حقــا : انها امرأة صابرة ، محتسبة ، عاقلة ، مؤمنة مخلصة ،

---

(٥) رواه البيهقى .
(٦) ســورة النســاء ٣٤ .

سـارت على « منهج الاسـلام » فصـبرت على مصـيبتها ، وذلك بفقدها ولدها ، وفلذة كبدها ، واحتسـبت ذلك عند الله تعالى عملا بقـوله :

« ولنبلونكم بشيء من الخـوف والجـوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصـابرين الذين اذا أصـابتهم مصـيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صـلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون »[7] .

ويحدثنا التـاريخ :

أن « أسـماء بنت خارجة الغزارى » قالت لابنتها عند التزوج فى شأن زوجها : « احفظى أنفه ، وسمعه ، وبصره ، فلا يشمن منك الا طيبـا ، ولا يسـمع ولا ينظر الا جميلا كونى له أما يكن لك أبا ، وكونى له فراشا ، يكن لك غطـاء ، ولا تدخلى أحدا فى بيته يكرهه ، ولا تجلسى أحدا على فراشـه بغير اذنه ، اذا تحدث فلا تكذبيه ، واذا تكلم فلا تقاطعيه ، واذا اشـتكى لك فاسـمعى له ، وان احتاج فأعينيه » أ هـ[8] .

أجل : انها لأم عاقلة حازمة ، متعلمة مجربة ، لقد قدمت لابنتها أعظم هدية بمناسـبة عرسـها وزفافها ، هـذه الهدية تتمثل فى تلك النصـيحة الغالية ، التى لو سـارت عليها بنتها لعاشت مع زوجها فى أسـعد حياة ، وأطيب معيشـة .

ـ والله أعـلم ـ

---

(٧) سـورة البقـرة ١٥٥ ـ ١٥٧ .
(٨) انظـر : الاحيـاء جـ ٢ ص ٦١ .

« حقوق الزوجة على زوجها »

بعد أن تحدثت عن الحقوق التى بينها « منهج الاسلام » للزوج على زوجته ، انتقل للحديث عن الحقوق التى كفلها الاسلام للزوجة على زوجها ، فأقول وبالله التوفيق :

من يقرأ القرآن الكريم ، وينعم النظر فى السـنة المطهرة يمكنه أن يتعرف على الدقوق التى للزوجة على زوجهـا .

وها أنا ذا أشير الى بعض هـذه الحقوق فيما يلى :

أولا — الصـداق :

قال الله تعالى مشـير الى ذلك :

« وآتوا النسـاء صدقاتهن نحلة »[1] .

المعنى : أى أعطوا النسـاء عند ارادة التزوج بهن مهورهن حالة كونكم طيبة بها نفوسـكم .

وقال تعالى : « وان أردتم اسـتبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا »[2] .

---

(١) سـورة النسـاء ٤ .
(٢) سـورة النسـاء ٢٠ .

ثانيــا – النفقــة :

قال تعالى : « لينفق ذو ســعة من ســعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »[٣] •

نعم : لقد تضمنت هــذه الآية الكريمة أسمى ، وأرقى نموذج لنظام الانفاق ، فكل انســان عليه أن ينفق على أهل بيته بمــا فيهم زوجته فى حدود حالته المــادية ، دون تقتير ، أو اسراف • •

وبناء عليه ينبغى على زوجة الرجل مســتور الحال ألا تتطــلع الى زوجة الرجل ميســور الحال ، ثم بعد ذلك تطالب زوجها بنفقة مثل أولئك الذين رزقهم الله سعة فى المــال •

فان ذلك المســلك كثيرا ما يكون سببا فى هــدم الاسرة بكمالها ، وفى تخريب البيــوت ، لأنه قــد يجر على بعض الرجــال الويلات ، ويوقعهم فى ارتكاب كثير من المحرمات ، من أجل كسب غير مشروع ، فالله ســبحانه وتعالى لا يكلف نفسا الا ما آتاها •

ثالثا : احســان العشرة واحتمال الأذى :

قال الله تعالى مشيرا الى ذلك :

« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » • سورة النساء – ١٩ •

---

(٣) ســورة الطــلاق ٧ •

(٤) الجشــمى : بضم الجيم ، وفتح الشين •

وعن « عمرو بن الأحوص الجشمى »[٤] رضى الله عنه

أنه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول : « استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان لكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك ، الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن » أ هـ[٥] .

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » أ هـ[٦] .

وعن « سمرة بن جندب » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان المرأة خلقت من ضلع[٧] فان أقمتها كسرتها فداوها تعش بها » أ هـ[٨] .

رابعا — الاعتدال فى الغيرة :

وحقيقة **ذلك ألا يتغافل** عن الأمور التى تخشى غوائلها ، ولا يبالغ فى اساءة الظن ، وتحسس البواطن :

فعن « جابر بن عبد الله » رضى الله عنه قال :

---

(٥) رواه الترمذى ، وابن حبان .
(٦) رواه ابن حبان .
(٧) من ضلع : أى أن فيها ما فى الضلع من عوج
(٨) رواه ابن حبان .

« نهى رســول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم ، أو يطلب عثراتهم » أ هـ[٩] .

وعن « جابر » أيضـــا رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله ﷺ : « ان من الغيرة غيرة يبغضــها الله عز وجل ، وهى : غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » أ هـ[١٠] .

حقـــا : أن الاعتـــدال فى الغـــيرة من أهم الصـــفات التى يجب أن يتحلى بها الرجال .

فكثيرا ما نجـــد المغـــالاة فى الغيرة تجر على الزوجين الكثير من الشـــقاق ، والبغضاء ، بل أحيانا تكون سببا والعياذ بالله فى الطلاق .

فيا أيهـــا الرجال اســـتمعوا الى توجيه نبيكم عليه الصـــلاة والســـلام ، وابتعدوا عن المغالاة فى الغيرة ، وخير الامور أوساطها .

خامســـا : العدل بين الزوجات :

من الحقوق التى رســـمها لنا « منهج الاســـلام » العـــدل بين الزوجـــات :

وذلك اذا كان الرجل متزوجا بأكثر من واحدة ، فانه يجب عليه أن يعدل بينهن ، عملا بقول الله تعالى : « فانكحـــوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعـــدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »[١١] .

---

(٩) رواه مســـلم .
(١٠) رواه أبو داود ، وابن حبان ، والنسائى .
(١١) ســـورة النســـاء ٣ .

والعدل المطلوب من الرجل هو العــدل فى الامور المدســوسة مثل : المبيت ، والنفقة وما شــابه ذلك .

أما الأمور المعنوية مثل : المحبة القلبية ، فان الانسان بطبعه لا يستطيع المســاواة فى ذلك حتى بين أبنائه .

لذلك فقــد قال الله تعالى : « ولن تســتطيعوا أن تعدلوا بين النســاء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة »(١٢) .

حقــا : لن يستطيع أى انسان أن يســوى فى حبه بين اثنين أو أكثر ، مهما اشــتد حرصه على ذلك ، لأن العاطفة من الامور المعنوية التى لا يستطيع الانسان أن يتحكم فيها .

ولكن الذى يجب على الانسان هو عدم المبالغة فى الميل الى احدى الزوجات دون الاخرى ، لأن ذلك يقلب الحياة جحيما ، وقد يترتب عليه الكثير من المنــازعات والشــقاق ، كما يكون ســببا فى الكثير من الامراض الجثمانية ، والنفســية .

فيا أيهــا الرجال اتقوا الله تعــالى ، ولا تجودوا فى الميل بين الزوجات ، فان ذلك ســيكون سببا فى غضب الله تعالى ، لانه يعتبر عملا مخالفا « لمنهج الاســلام » .

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رســول الله ﷺ قال : « من كانت عنــده امرأتان فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط ، أو جنبه مائل ، وذلك فضيحة له بسبب ظلمه وجوره » أ هـ(١٣) .

---

(١٢) ســورة النســاء ١٢٩ .
(١٣) رواه الترمذى ، والحــاكم .

نعم : ان الجزاء من جنس العمل ، ولا يظلم ربك أحدا ، وأى فضيحة أعظم من هــذه يوم يقوم الناس لرب العالمين « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من ســوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفســه والله رءوف بالعباد »[١٤] .

وانى لارجو من الرجال الذين لا يعــدلون بين زوجــاتهم أن يتقوا الله تعالى ، ويقلعوا عن ذلك ، ويتوبوا الى الله عز وجل ، ومن تاب تاب الله عليه والله غفور رحيم .

وعن « عبد الله بن عمرو بن العاص » رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ : « ان المقســطين عند الله على منــابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين : الذين يعــدلون فى حكمهم ، وأهليهم ، وما ولوا » أ هـ[١٥] .

وقد أجمل الله تعالى حقوق الزوجات على أزواجهن فقال :

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »[١٦] .

حقــا : لقد بينت هــذه الآية فى ايجاز أن للزوجات من الحقوق على الأزواج مثل ما للأزواج عليهن من حقوق سواء ســواء .

فهل هناك عدالة ، أو مســاواة ، مثل هذا المنهج الذى ســلكه وأمر به ديننا الاســلامى الحنيف ؟

ــ والله أعــلم ــ

(١٤) ســورة آل عمران ٣٠ .
(١٥) رواه مســلم .
(١٦) ســورة البقــرة ٢٢٨ .

« الاســلام أفضــل من أنصــف المرأة »

أيها المسلمون بعد أن قدمت « منهج الاسلام » فى بيان حقوق كل من الزوجين على الآخر •

أخالنى أجد ســؤالا يفرض نفســه ، لانه يتردد على ألســنة الكثيرين من أعــداء الاســلام ، ونجدهم من حين لآخر يثيرون هــذه القضــية بشــتى الوســائل المختلفة :

سواء منها المرئية ، أو المســموعة ، أو المقروءة الى غير ذلك من وســائل الاعلام •

والســؤال هو :

نريد أن تبين « منهج الاسلام » وموقفه من حقوق المرأة ؟

وهل الاســلام أنصــفها بما فيه الكفاية ، أو لم تزل مظلومة ، ومهضــومة الحقوق ؟

أقول وبالله التــوفيق :

هــذه القضية ، أى قضية حقوق المرأة ، احدى القضايا الكبرى التى اهتم بها « الاســلام » منذ أن بعث الله نبينا « محمدا » عليه الصلاة والســلام ، ولم ينتقل ﷺ الى الرفيق الاعلى الا والمرأة قد أخذت جميع حقوقها كاملة غير منقوصة فى شتى النواحى : المعنوية ، والمــادية ، والانســانية ، بما لم تحظ بمثــله أى امرأة فى التاريخ القديم والحديث ، بل الى أن يرث الله الارض ومن عليها •

وتفاصيل ذلك فيما يلى :

ففى أواخر القرن السادس الميلادى ، ووسط ذلك الظلام المخيم على قضـيـة المرأة فى جميع أنحـاء العالم المتمدين ، وغير المتمدين يؤمئذ ، انطلق من قلب الجزيزة العربية ، من « مكة المكرمة » انطلق صوت السماء على لســان نبينا « محمد » ﷺ ووضع الميزان الحق لكرامة المرأة ، وأعطاها حقوقها كاملة غير منقوصـــة ورفع عن كاهلها وزر الاهانات التى لحقت بها عبر التاريخ الطويل •

ويعلن انسانيتها الكاملة ، وأهليتها الحقوقية التامة ، ويصونها من عبث الشهوات ، وفتنة الاســتمتاع بها ، ويجعلها عنصرا فعــالا فى نهــوض المجتمعات •

وتتلخص المبادىء الاصــلاحية التى أعلنها « الاســلام » على لسان نبى الاســلام « محمد » عليه الصــلاة والسلام ، فيما يتعلق بانصــاف المرأة فيما يلى :

المبــدأ الاول :

ان المرأة كالرجل فى الانسانية سواء بسواء ، وفى هــذا المعنى يقول الله تعــالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »(١) •

فهــذه الآية تقرر فى جلاء ووضوح أن الانسان : ذكرا كان ، أو أنثى ، من أصل واحد ، وهو « آدم » و «حواء » عليهما السلام •

---

(١) ســورة النســاء ١ •

اذا فلا داعى للتفرقة العنصرية ، ولا للعبودية ، ولا للاستبداد .

ويقول الله تعالى فى آية أخرى وفى نفس المعنى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »[2] .

المبـــدأ الثـــانى :

رفع « الاســـلام » عن المرأة « التبعية » التى كان يلصقها بها رجال الديانات الســـابقة : وهى أن خروج « آدم » من الجنة لم يكن ناشـــئا عن عصيان « حواء » وحدها ، وذلك بالأكل من الشجرة التى نهى الله عز وجل عن الأكل منها .

بل كان ذلك بسبب مخالفة « آدم ، وحواء » معا .

يشـــير الى ذلك قول الله تعـــالى : « فأزلهما الشـــيطان عنهـــا فأخرجهما مما كان فيه »[3] .

وقوله : « وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواءتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشـــيطان لكما عدو مبين »[4] .

فالآيتان صريحتان فى أن الخروج من الجنة كان بسبب عصيان كل من « آدم ، وحواء » على حـــد ســـواء .

---

(٢) ســـورة الحجـــرات ١٣ .
(٣) ســـورة البقـــرة ٣٦ .
(٤) ســـورة الاعـــراف ٢١ ــ ٢٢ .

المبـــدأ اثـــالث :

من ناحية التدين والعبادة : يقرر « القرآن » أن « المرأة » أهل للتدين ، والعبادة ، وأنها تستحق دخول الجنة ان هى أحسنت العمل لله تعالى ، مثلها فى ذلك مثل الرجل ســـواء بســـواء ٠

يشير الى ذلك قول الله تعالى :

« من عمل صـــالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »(٥) ٠

بل نجـــد « القرآن » يخبر بأن المرأة كالرجل فى الجـــزاء يوم القيامة وذلك بما أعده الله لهما من المغفرة والاجر العظيم ٠

قال تعـــالى : « ان المســـلمين والمســـلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصـــابرين والصـــابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »(٦) ٠

فهـــذه عشرة صفات قرن « القرآن » المرأة والرجل فى الوصف بهن ، ثم أخبر فى نهاية الآية بأن عاقبتهما معا واحدة ، وهى أن الله أعد لهما مغفرة وأجرا عظيما ٠

المبـــدأ الرابع :

الترحيب بميلاد البنت ٠

---

(٥) ســـورة النحـــل ٩٧ ٠

(٦) ســـورة الاحـــزاب ٣٥ ٠

وذلك أن العرب كان من عادتهم التشـــاؤم بميلاد البنت الى أن دفعهم ذلك التشـــاؤم الى وأدها أى دفنهـــا حية خوف العار تارة ، وخوف الفقر تارة أخرى .

فلما جاء الاسلام حارب تلك العادة القبيحة وذمها ، وشنع على مقترفيهـــا ..

وبناء على ذلك أقلع المسلمون عن عادة وأد البنت ، وتابوا الى الله تعـــالى .

وهـــذه نتيجة طيبة فى تاريخ المرأة منذ ولادتها .

يقول الله تعالى مشيرا الى عادة وأد البنت والتشاؤم بمقدمها :

« واذا بشر أحـــدهم بالانثى ظل وجهـــه مســـودا وهو كظيم يتوارى من القوم من ســـوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ســـاء ما يحكمون »(٧) .

وقال تعالى : « واذا الموءدودة سئلت بأى ذنب قتلت »(٨) .

المبـــدأ الخـــامس :

أمر « الاســـلام » باكرام المرأة : ســـواء كانت بنتا ، أو أما ، أو أختا ، أو زوجة ، أو من ذوى الارحام ، وبمعنى أعم أمر الاســـلام باكرام المرأة فى جميع أطوار حياتها : أما اكرامها كبنت :

فقد جاء فى ذلك أحاديث كثيرة أقتبس منها ما يلى :

---

(٧) ســـورة النحـــل ٥٩ .
(٨) ســـورة التـــكوير ٩ ـ ١٠ .

فعن « أنس بن مالك » رضى الله عنـــه

عن النبى ﷺ قال : « من عال جـــارتين[٩] حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه » أ هـ[١٠] •

حقا : انه لفضل كبير لمن يقوم بتربية بنتين حيث سيفوز ويكون مع الرسول ﷺ فى الجنة ، وهل هناك فضل ، أو ثواب أعظم من هـــذا ؟

وعن « عائشة » أم المؤمنين رضى الله عنها قالت :

« دخلت امرأة ومعها ابنتان لها تســـأل فلم تجد عندى شـــيئا غير تمرة واحدة ، فأعطيتها اياها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، قامت فخرجت ، فدخل النبى ﷺ علينا ، فأخبـــرته فقال : «من ابتلى من هـــذه البنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » أ هـ[١١] •

ياللعجب : أنظر أيها المسلم كيف هذب « الاسلام » النفوس ، وطيب القلوب ، أين صنيع هـــذه المرأة مما كان يفعله أهل الجاهلية قبل مجىء الاســـلام : من وأد البنـــات •

وعن « عائشة » رضى الله عنها قالت :

« جاءتنى مســـكينة تحمل ابنتين لها ، فأطعمتها ثلاث تمـــرات ، فأعطت كل واحـــدة منهمـــا تمرة ، ثم رفعت الى فيهـــا تمرة لتأكلهـــا ، فاســـتطعمتها ابنتاها[١٢] فشـــقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبنى شأنها ، فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال :

---

(٩) أى قام بالانفاق على بنتين ، وتعاهدهما حتى تبلغا •
(١٠) رواه مســـلم •
(١١) متفق عليـــه •
(١٢) أى طلبا منها أن تطعمهما •

« ان الله تعالى قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار » أ هـ[13] .

حقا : هل هناك تشريع يحث على مثل هذه الفضائل ، ويدعو للرحمة والعطف ؟

نعم : انه تشريع الاسلام ، دين المحبة والسلام .

وأما اكرام المرأة « كزوجة » فى « منهج الاسلام » فهناك أكثر من نص من الكتاب ، والسنة فى هذا المقام :

قال الله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف »[14] .

وقال : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »[15] .

فالآية الاولى تأمر الازواج بمعاشرة زوجاتهم معاشرة حسنة كريمة بالمعروف .

والمعروف : هو ما تعارف عليه الناس حسب بيئاتهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم التى تتفق ومنهج الاسلام .

ولذلك نجد « القرآن » يوضح ذلك فى قول الله تعالى :

« لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا »[16] .

---

(١٣) رواه مسلم .
(١٤) سورة النساء ١١ .
(١٥) سورة البقرة ٢٢٨ .
(١٦) سورة الطلاق ٧ .

وأما الآية الثانية فهى تبين أن المرأة لها من الحقوق ، والواجبات مثل ما عليها للزوج : فهى مأمورة ، بأن تطيع زوجها ، وأن تحافظ على أمواله وعرضـــه •

وهو كذلك مأمـــور بأن يحفظ كرامتها ، ويصـــون آدميتها ، وأن يعاملها بالحسنى •

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنســـاء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضـــلع ، وان أعوج ما فى الضـــلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا » أ هـ(١٧) •

وعن « معاوية بن حيدرة » رضى الله عنه قال :

« قلت : يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟

قال : « أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسبت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر البيت » أ هـ(١٨) •

وعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رســـول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين ايمانا أحســـنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنســـائهم » أ هـ(١٩) •

وأما اكرام المرأة كأم ، فقد ورد الامر بذلك فى كل من الكتاب ، والســـنة • فمن القرآن قول الله تعـــالى :

---

(١٧) متفق عليـــه •
(١٨) رواه ابو داود •
(١٩) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح •

« وقضى ربك ألا تعبدو الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »[٢٠] .

وقوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير »[٢١] .

وقوله تعالى : ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين »[٢٢] .

ومن السنة الاحاديث الآتية :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

« جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك » أ هـ[٢٣] .

---

(٢٠) سورة الأسراء ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢١) سورة لقمان ١٤ .
(٢٢) سورة الاحقاف ١٥ .
(٢٣) رواه البخارى ، ومسلم .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه قال :

« أتى رجل رسـول الله ﷺ فقال : « انى أشـتهى الجهـاد ولا أقدر عليه ، قال : « هل بقى من والديك أحد ؟ قال : أمى ، قال : « قابل الله فى برها ، فـاذا فعـلت ذلك فأنت حـاج ، ومعتمـر ، ومجـاهد » أ هـ(٢٤) .

وعن « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه قال :

« سـألت رسـول الله ﷺ : أى العمل أحب الى الله ؟ قال : « الصـلاة على وقتهـا ، قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين ، قلت ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » أ هـ(٢٥) .

وأما اكـرام المرأة اذا كانت من ذوى الأرحام فقد ورد الامر بذلك والحث عليه فى كل من الكتاب والسـنة :

فمن القرآن قول الله تعـالى : « وأعبـدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمسـاكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا »(٢٦) .

ومن السـنة المطهرة الاحـاديث الآتية :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه

أن رسـول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر

---

(٢٤) رواه أبو يعلى ، والطبرانى فى الصغير ، واسنادهما جيد .
(٢٥) رواه البخارى ، ومسلم .
(٢٦) سـورة النسـاء ٣٦ .

فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » أ هـ(٢٧) .

وعن « أنس بن مالك » رضى الله عنه

أن رسـول الله ﷺ قال : « من أحب أن يبسـط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره(٢٨) فليصل رحمه » أ هـ(٢٩) .

المبـدأ السـادس – حق الارث :

من يقرأ التاريخ يجـد أن « الاسـلام » هو أول تشريع على الاطلاق نظم حق المرأة فى الميراث ، وأعطـاها حقوقها فى ذلك كاملة غير منقوصـة : سـواء كانت بنتا ، أو أما ، أو أختا ، أو زوجة .

وفى هـذا يقول اللـه تعـالى :

« يوصيكم اللـه فى أولادكم للذكر من حظ الانثيين فان كن نسـاء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحـدة فلها النصـف ولأبويه لكل واحد منهما السـدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثـلث فان كان له اخوة فلأمه السـدس من بعد وصـية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما .

ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصـية يوصـين بها أو دين ولهن الربع

---

(٢٧) رواه البخارى ، ومسلم ، انظر : الترغيب جـ ٣ ص ٥٤٩ .
(٢٨) أى يؤخر له فى أجله ، وسمى الاجل أثر لانه يتبع العمر .
(٢٩) رواه البخارى ، ومسلم ، انظر الترغيب جـ ٣ ص ٥٤٩ .

مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحـد منهما السـدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم »(٣٠) .

ويقـول تعـالى : « يسـتفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثـان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثتين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم »(٣١) .

هاتان الآيتان قد نظمتا حقوق المرأة فى الميراث .

ولقد ثارث ثائرة بعض المنافقين ، والملحـدين — الذين يعملون بشتى الوسائل للتشويش على « منهج الاسلام » .

ولكن أنى لهم ذلك ، فهم كمثل الكـلب ان تحمل عليـه يلهث أو تتركه يلهث ..

لقد قال هؤلاء الملحدون : كيف يكون للذكر ضعف نصيب الانثى فى الميراث ؟

أليس فى هـذا هضم لحقوق المرأة ؟

ويقولون : نحن نريد أن تتساوى المرأة بالرجل فى الميراث ، الى

---

(٣٠) سـورة النسـاء ١١ ـ ١٢ .
(٣١) سـورة النسـاء ١٧٦ .

آخر تلك الحملات المغرضة المسمومة ، والتى ليس لها هدف الا محاولة التشكيك والطعن على « منهج الاســلام » •

وأقول : لهؤلاء وأمثالهم :

رويدا رويدا ، ان الله الذى خلق كل شىء بمقدار أعطى كل ذى حق حقه بقدر معلوم ، ولا يظلم ربك أحدا ، ونحن لو تبصرنا فى ذلك لوجدنا حكمة لتشريع فى هــذا واضحة جلية :

وذلك أن المــال هو عصب الحياة كما يقولون ، والمرأة حاجتها الى المــال أقل بكثير من حاجة الرجل ، وبيــان ذلك فيما يلى :

فان المرأة قد تكفل الرجل بالانفاق عليها وفقا لامر الله تعالى ، سواء كانت بنتا ، أو أما ، أو زوجة ، أو عمة ، الى غير ذلك من ذوات الأرحــــام ••

أما الرجل فهو المكلف بالانفاق على الاسرة بمــا فيهم الزوجة ، والوالدان ، والابناء ، كمــا أنه عليه تبعات أخــرى غير ذلك ألقاها المجتمع ، والعرف على كاهلة مثل :

المجاملات الاجتماعية التى لا تنقطع أبدا •

أما المرأة فهى فى حل من كل هــذا •

أليس من الواضح حينئذ أن الرجل فى حاجة الى المــال أكثر من المرأة ؟

من هــذا يتبين أن « منهج الاسلام » عندما جعل للرجل ضعف نصيب المرأة فى الميراث كان هــذا هو عين الانصــاف لكلا الطرفين •

فهل بعد ذلك يقال : ان التشريع الاسلامى لم ينصف المرأة ، فى الوقت الذى أعطاها بعد حرمان ، وهم يعلمون ذلك ؟

المبــدأ الســابع — حق الطلاق :

لقد نظم « منهج الاســلام » قضــية الطلاق بما يمنع تعسف الرجل ، واستبداده ، فجعل للطلاق حــدا لا يتجاوزه الرجل ، وهو : ثلاث فقط •

علما بأنه كان عند العرب قبل الاســلام بدون حــد •

من هــذه المبــادىء التى قدمتهــا يتبين بجلاء ووضــوح أن « منهج الاسلام » أعطى المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ، وأعطاها المكانة اللائقــة بها ، وبهــذا يعتبر الدين الاســلامى أفضل من أنصف المرأة •

— والله أعــلم —

حكمة التشريع الاســلامى
فى جعل شــهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين

أيها المسلمون بعد أن قدمت سبعة مبادىء من المبادىء الاصلاحية التى اعلنها « منهج الاسلام » فيما يتعلق بحقوق المرأة ، وانصافها ، أجد عدة أسئلة يثيرها من حين لآخر بعض أعداء الاسلام الذين لا هم لهم الا تشكيك ضعاف الايمان فى عدالة « منهج الاسلام » نحو انصاف المرأة وتكريمها •

وأنا بدورى سأعرض لك أيها المسلم بعض هــذه الأسئلة ، ثم أجيب عليها اجابة واضحة بحيث يتبين بجلاء ووضوح ، وبما لا يدع مجالا للشك حكمة « التشريع الاسلامى » فى مثل هــذه الامور :

يقول أعداء الاسلام :

« ان منهج الاسلام » جعل شهادة الرجل تعدل امرأتين ، وهــذا دليل واضح على عدم المساواة بين الرجل والمرأة ، كما أنه يدل على تحقير الاسلام للمرأة ، واهانته لها •

الى غير ذلك مما يثيره هؤلاء الملحدون حول هــذه القضية ، وذلك لغرس بذور العداوة ، والبغضاء بين الرجال والنســاء • •

واليك أيها المسلم الاجابة الشافية التى لا تدع مجالا للشك فى عدالة « منهج الاســلام » مع بيان حكمة التشريع فى ذلك :

لقد جعل الاسلام الشهادة التى يترتب عليها اثبات الحقوق : شهادة رجلين عدلين ، أو شهادة رجل وامرأتين •

يشير الى ذلك قول الله تعالى :

« يا أيها الذين أمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى »[1] .

وعن « ابن عباس » رضى الله عنهما

أن رسول ﷺ قضى للمدعى بيمينه وشاهد واحد »[2] .

وهذا الحكم فى الاموال وما يفضى اليها فعدد الشهود فيها كما قرره كل من الكتاب والسنة رجلان ، أو رجل وامرأتان ، أو شاهد ويمين ، وهذا ما عليه جمهور السلف .

فمن الواضح أن هذا التفات فى الشهادة فى هذه الاحوال لا علاقة له بالانسانية ، ولا بالكرامة .

فمادامت المرأة فى الانسانية مثل الرجل لم يكن اشتراط اثنتين مع رجل واحد الا لأمر خارج عن كرامة المرأة ، واحترامها .

واذا لاحظنا أن الاسلام مع اباحته للمرأة التصرفات المالية ، يعتبر فى الوقت نفسه رسالة المرأة الاجتماعية والاساسية هى التوفر

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ .
(٢) رواه الخمسة الا البخارى ، انظر : التاج جـ ٣ ص ٦٢ .

على القيــام بشــئون الاسرة ، وهــذا يقتضى أن تلزم المرأة بيتهــا فى غالب الاوقات ، اذا ما لاحظنا كل هــذا أدركنا أن شهادة المرأة فى حق يتعلق بالمعاملات المــالية بين الناس لا يقع الا نادرا ..

ومادام الامر كذلك فليس من شأن المرأة أن تحرص على تذكره حين مشاهدته ، لانها تمر به مرورا عابرا ولا تلقى له بالا .

فاذا جاءت لتشــهد كان هناك احتمال نسيانها ، أو خطئها ، أو وهمها ، فاذا شــهدت امرأة أخرى بمثل ما تشــهد به زال احتمــال النســيان ، والخطأ ، لان الحقوق المــالية لابد فيها من التثبيت .

وقد جاء النص عليه صراحة فى الآية الكريمة حيث قال تعالى : « أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى » .

ومع هــذا فان « منهج الاسلام » قبل شهادة المرأة وحدها فى الامور التى لا تطلع عليه الا النساء دون الرجال :

فقد قرر فقهاء الاسلام أن شهادة المرأة وحدها تقبل فى اثبات بكارة المرأة ، أو ثيوبتها ، وغير ذلك من العيوب الجنســية التى عند المرأة .

من هــذا يتبين أن المسألة ليست مسألة كرامة ، أو اهانة ، أو عــدم مســاواة .

وانما هى مسألة تثبت فى الاحكام ، والاخذ بالاحــوط فى القضــاء ، وهــذا ما يحرص عليه « منهج الاسلام » .

ولذا نجــد « الاســلام » لا يقبل شــهادة الذى لا تتوفــر فيــه العدالة ، يشير الى ذلك الحديث التالى :

فعن « عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده » :

أن النبى ﷺ رد شـــهادة الخائن ، والخائنة ، وذى الغمر على أخيـــه[٣] .

وفى رواية :

« لا تجـــوز شـــهادة خـــائن ، ولا خـــائنة ، ولا زان ، ولا زانيـــة » أ هـ[٤] .

كما أن « منهج الاسلام » حرم شـــهادة الزور :

فعن « أبى بكرة » رضى الله عنه :

عن النبى ﷺ قال : « ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟

قـــالوا : بلى يا رســـول الله ، قال : « الاشراك بالله وعقـــوق الوالدين ، وشهادة الزور ، أو قول الزور ، قال : فمازال يقولها حتى قلنـــا ليته ســـكت » أ هـ[٥] .

من هـــذا تبين أنه لا معنى للتشنيع على « منهج الاسلام » فى هـــذه القضية ، واثارتها من حين لآخر ، تحت ادعاء أن « الاسلام » انتقص من حق المرأة ، وعـــاملها الرجل ، بعد أن بينت أن « منهج الاســـلام » يعتبر أرقى ، وأســـمى منهج عرفته البشرية فى تاريخها الطويل ، بل الى أن يرث اللـــه الارض ومن عليها ، ويكفى فى ذلك قـــول الله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »[٦] ..

— والله أعـــلم —

---

(٣) ذو الغمر : هو صاحب الحقد والعدواة ، فلا تجوز شهادة عـــدو عـــلى عدوه ، وهذا ما عليه جمهور الفقهـــاء .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذى ، انظر : التاج جـ ٣ ص ٦٣ .

(٥) رواه الشيخان ، والترمذى ، انظر : التاج جـ ٣ ص ٦٤ .

(٦) ســـورة البقـــرة ٢٢٨ .

حكمة التشريع الاسلامى فى جعل نصيب الرجل
فى الميراث ضعف نصيب المرأة

أيها المســلمون ان من الأســئلة والمغالطات التى يثيرها أعداء الاسلام حول « منهج الاسلام » فيما يتعلق بحقوق المرأة فى الميراث السؤال التالى :

يقول المرتابون فى عدالة التشريع الاسلامى :

ان « منهج الاسلام » جعل نصيب الرجل فى الميراث ضعف نصيب المرأة ، وهــذا ان دل على شىء فانمــا يدل على التفــرقة بين الرجل والمرأة ، وهــذا يتنافى مع مبدأ المســاواة ، الى آخر ما يثار من حين لآخر حول هــذه القضــية •

واليك أيها المســلم تحليلا دقيقا «لمنهج الاسلام » **فى ذلك** :

لقد أثبت التشريع الاســلامى تقــديره للمرأة ، ورعايته لحقوقهــا فأعطاها نصيبها فى الميراث خلافا لمــا كان عليه الكثيرون من الشعوب القــديمة •

وسألقى لك أيها المسلم الأضواء على المعاملة التى كانت تعــامل بها المرأة قبل أن يظهر نور الاسلام ، ليتبين لك بعد ذلك مدى اهتمــام « منهج الاسلام » بالمرأة وتكريمها :

المرأة عنــد اليهــود :

كانت المرأة فى المجتمع اليهــودى مملوكة لأبيها قبل زواجهــا ،

تشترى منه عند نكاحها ، لان المهر كان يدفــع لابيها ، أو لاخيهــا ، على أنه ثمن شرائها ، ثم تصير مملوكة لزوجها ، وهو سيدها المطلق ، فاذا مات زوجها ورثها وارثه على أنها جزء من التركة (١) .

وبديهى أن المرأة التى تورث كالمتاع لا حق لها فى الميراث .

فالقــاعدة عنــدهم أن الرجل اذا مات وليس له أبنــاء ، ورثه بنو عشيرته ، أما النســاء فلا نصيب لهن مما ترك الرجل .

وكانت البنت اذا مات عنها والدها ورثها أقرب الرجال اليها .

ثم عدلت هــذه القاعدة فى عصر متأخر وسمح للبنت أن ترث أباها اذا لم يكن له ولد(٢) .

واذا آل الميراث الى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر لم يجز لها أن تتزوج من وســط آخر ، وإلا يحق لهــا أن تنقل ميراثهــا لغير ســبطها ..

المرأة عنــد اليــونان :

كانت المرأة فى المجتمع اليونانى محتقرة حتى سموها رجسا من عمل الشــيطان .

أما من الوجهة القانونية فقد كانت المرأة عندهم كســقط المتاع تباع وتشترى فى الأســواق ، وهى مسلوبة الدرية ، والمكانة فى كل ما يرجع الى حقوقها المدنية ، ولم تعط حقها فى الميراث وأبقوها طيلة

---

(١) انظر : المراة فى الشعر الجاهلى لاحمد الحوفى ص ٣١ ط القاهرة .
(٢) انظر : المراة فى الشعر الجاهلى لاحمد الحوفى ص ٢٢ ط القاهرة .
(٣) انظر : المراة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعى ص ١٩ ط حلب .

حياتها خاضعة لسلطة رجل يوكل اليه أمر زواجها ، وعهدوا اليه الاشراف على أموالها ، فهى لا تستطيع أن تتصرف بدون موافقته •

ومما يعجب له فان فلاسفة اليونان لم يعملوا على السمو بمركز المرأة :

فهذا « أفلاطون » قسا عليها ، كما قسا قانون « مانو » الهندى القديم ، وأكد أن الواجب تداول النساء كما تتداول الحاجات • •

ثم ان « أرسطو » لم يحاول أن يبدل هذه النظرة ، فقد قرر أن الخير قد يوجد فى أشخاص من كل نوع ، مع أن المرأة أميل الى الشر منها الى الخير •

أما عن الحقوق المالية فكانت المرأة لا تملك ، ولا ترث ، فاذا مات أبوها ورثه أخوتها الذكور وحدهم •

وان لم يكن لها اخوة تزوجها الاكبر من ورثة أبيها الأقربين ، وينسب ابنهما الى جده والد أمه ، واليه ينتقل أرث جده[٤] • •

المراة عند الرومان :

كانت المرأة عند قدماء الرومان شرا يجتنب ، وهى دائما خاضعة للرجل ، أبا ، أو زوجا ، وهى فى نظر المجتمع « أمة » لا قيمة لها ، بيد أبيها أو زوجها حق حياتها ، وحق موتها[٥] • •

وكانت سلطة رب الاسرة على أبنائه وبناته تمتد حتى وفاته ،

---

(٤) انظر : المرأة فى الشعر الجاهلى للحوفى ص ٦٤ ــ ٦٥ ط القاهرة •
(٥) انظر : المرأة بين الفقه والقانون مصطفى السباعى ص ١٥ فما بعدها •

وكانت هــذه السلطة تشــمل النفى ، والتعــذيب ، فكانت ســلطته سلطة مالك لا ســلطة حمــاية ..

ولم يبلغ ذلك الا فى قانون « جوستنيان » ت ٥٦٥م فان ســلطة الأب فيه أصبحت لا تتجاوز حد التأديب .

أما الأهلية المــالية فلم يكن للبنت حق التملك ، واذا اكتسبت مالا أضيف الى أموال رب الاسرة .

وفى عصر « قسطنطين » تقرر أن الاموال التى تحوزها البنت عن طريق ميراثهــا أمهــا تتميز عن أمــوال أبيهــا ولكن له الحق فى استعمالها ، واســتغلالها .

وعلى الجملة فقد تحولت الســلطة على المرأة فى عهد الازدهار العلمى للقانون الرومانى من سلطة ملك الى سلطة حماية ، ولكنها مع ذلك ظلت قاصرة الأهلية .

أيها المسلمون بعد أن قدمت لكم نماذج للمعاملة غير الكريمة التى كانت تعامل بها المرأة عند الأمم الســابقة قبل مجىء الاســلام .

أعود بعد ذلك لمواصلة حديثى عن بيان حكمة التشريع الاسلامى حيث جعل نصيب الرجل فى الميراث يساوى ضعف نصيب المرأة فأقول :

ان نصيب المــرأة فى أحكام الارث يختــلف من حــالة الى حــالة ، واليك القاء الضــوء على ذلك :

أولا :

يكون نصيب المرأة مثل نصيب الذكر ، كما فى الاخوات لأم ، فان

الواحدة منهن اذا انفردت تأخذ السدس ، كما يأخذ الأخ لأم اذا انفرد السـدس أيضـا .

أما اذا كان الاخوة لأم اثنين فأكثر وكانوا ذكورا واناثا فانهم يشتركون جميعا فى الثلث « للذكر مثل حظ الانثيين » .

ثانيـا :

يكون نصيب المرأة مثل نصيب الرجل ، أو أقل منه ، كما فى الأم مع الأب ، اذا كان للميت أولاد فان ترك معهما ذكورا فقط ، أو ذكورا واناثا كان لكل من الأب والأم السدس من التركة .

وان ترك الميت مـع الاب والام اناثا فقط كان لـكل من الاب والام السدس ، ثم يأخذ الاب بعد ذلك ما بقى من التركة بعد أصحاب السهام .

فهل هـذا يعتبر نقصا فى انسانية المرأة ؟

كلا ليس فى الامـر شىء من هـذا ، فمن المسـتحيل أن ينقض الاسـلام ما أثبته فى ناحية أخرى ، وأن يضع مبدأ ثم يضع بعد ذلك أحـكاما تخـالفه .

ولكن الامر أى جعل نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة فى الميراث يتعلق بالعدالة فى توزيع الاعباء ، والواجبات :

فالاسـلام يلزم الرجال بأعباء ، وواجبات مالية لا يلزم المرأة بمثلها ، واليك بيان ذلك :

فالرجل هو الذى يدفع الصـداق للزوجة ، ثم عليه بعد ذلك أن ينفق على بيت الزوجية ، والاولاد ، والوالدين الخ .

أما المرأة فانها لا تكلف شرعا بشىء من نفقات البيت ، لا على نفسـها ، ولا على أولادها ، حتى ولو كانت غنيـة •

ومن هنا كان من العدالة أن يكون نصيب المرأة فى الميراث أقل من نصيب الرجل ••

وقد كان « منهج الاسلام » مع المرأة كريما حين طرح عنها كل هـذه الأعباء ، وألقاها على عاتق الرجل ، ثم أعطاها مع ذلك نصف ما يأخذ الرجل من الميراث •

لنفرض مثلا أن رجلا مات عن : « ابن وبنت » وترك لهما مالا ، فماذا يكون مصير هـذا المـال بعد تقسـيمه بين الابن ، والبنت ؟

أما بالنسبة الى البنت فان المـال الذى أخذته لا ينقص ••

وأمـا بالنسبة الى أخيهـا الشاب فان نصـيبه سينقص للاسـباب الآتيـة :

أنه سيدفع من نصيبه الصـداق الذى سيقدمه لمن يريد أن يتـزوج منهـا •

ثم بعذ ذلك عليه أن يقوم بنفقات العـرس •

ثم عليه بعـد ذلك أن ينفق على نفسـه ، وعلى زوجته ، وعلى أولاده الخ •

أفلا يتضح أن ما تأخذه البنت من تركة أبيها سيبقى مدخرا لها لأيام النكبـات ؟

بينما يكون ما يأخذه الابن معرضا للاستهلاك بسبب أعبائه المالية التى لابد له من القيام بها .

من هذا يتضح بجلاء أن « منهج الاسلام » بعد أن أعلن موقفه الصريح من انسانية المرأة ، وأهليتها وكرامتها ، نظرا الى طبيعتها ، وما تصلح له من أعمال الحياة ، فأبعدها عن كل ما يناقض تلك الطبيعة .

ولهذا خصها ببعض الاحكام عن الرجل زيادة أو نقصانا .

كما أسقط عنها بعض الواجبات الدينية والاجتماعية : مثل صلاة الجمعة ، والجهاد فى غير أوقات النفير العام .

وليس فى هذا ما يتنافى مع مبدأ مساواتها بالرجل فى الانسانية ، والكرامة الاجتماعية .

ولا تزال القوانين فى كل عصر تخص بعض الأفراد ببعض الأحكام لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص دون أن يفهم منه أى مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين فى الأهلية والكرامة .

من هذا الاستعراض لموقف « منهج الاسلام » من المرأة أستطيع أن أستخلص الحقائق الآتية :

أولا : ان موقف الاسلام من المرأة كان ثورة على المعتقدات والآراء الفاسدة ، من حيث الشك فى انسانية المرأة ، والتى كانت سائدة قبل مجىء الاسلام بل بعد مجيئه . .

ثانيا : ان التشريع الاسلامى كان انسانى النزعة ، والعدالة ، حين

قرر للمرأة حقوقها دون ثورة النساء ، بينما لم تحصل المرأة الفرنسية مثلا على حقوقها الا بعد ثورات ، واضطرابات •

ثالثـا : ان التشريع الاسـلامى نبيل الغاية والهدف حين أعطى المرأة حقوقها من غير تملق لأنوثتها ، أما فى الحضارة الغربية الحديثة فانه سمح للمرأة بالخروج ، والتبرج وحضور المجتمعات •

بينما كان «منهج الاسلام » على العكس من ذلك فقد قرر لها كل ما تتم به كرامتها الحقيقية ، ونظم كيفية خروجها للمجتمعات بما فيه مصـلحة الاسرة والمجتمع •

أن « منهج الاسلام » كان فى هـذا الموقف جـد حكيم حيث لم يحرض المرأة على هجر البيت ، ومزاحمة الرجال ، وترك شـئون الاسرة ، كما هو شأن الحضـارة الحـديثة •

ـ والله أعـلم ـ

« حكمة التشريع الاسلامى من تعدد الزوجات »

أيها المسلمون ان الكثيرين من أعداء الاسلام يشنون من حين لآخر حملة قاسية على الاسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات ، ويتخذون من ذلك دليلا كاذبا على اضطهاد الاسلام للمرأة ، واستغلال المسلمين لها فى ارضاء شهواتهم ، ومما لا ريب فيه أنهم فى ذلك متهافتوا المنطق ، ومفضوحوا النية .

وذلك لان الاسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات ، بل التعدد كان موجودا فى معظم الأمم القديمة التى سبقت الاسلام مثل : الاثينيين ، والصينيين ، والهنود ، والأشوريين ، والبابليين والمصريين .

ولم يكن لتعدد الزوجات عند أكثر هذه الأمم حد محدود :

فالديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، وأنبياء التوراة كانت لهم زوجات كثيرات : فيحدثنا التاريخ أن « نبى الله سليمان » عليه السلام كان له ما يقرب من سبعمائة امرأة .

وقد ثبت تاريخنا أيضا أن بين المسيحيين الأقدمين من كان يتزوج بأكثر من واحدة »[1] .

يقول الأستاذ العقاد :

---

(١) انظر : المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعى ص ٧٢ .

« من المعلوم أن اقتناء السراري كان مباحا في المسيحية على اطلاقه كتعدد الزوجات ، وربما نصح بعض الأئمة عند النصارى بالتسري ، لاجتناب الطلاق في حالة عقم الزوجة الشرعية »[٢] .

والمسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد في أفريقيا ، فقد وجدت الارساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي وهو تعدد الزوجات لدى الأفريقيين الوثنيين ، ورأو أن الاصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية .

وبناء على ذلك قال المبشرون :

« انه ليس من السياسة أن نتدخل في شئون الوثنيين الاجتماعية التي وجدناهم عليها ، وليس من الكياسة أن نحرم عليهم التمتع بزوجاتهم ماداموا نصارى يدينون بدين المسيح »[٣] .

وفي عام « ١٩٤٩م » تقدم أهالي « بون » عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب الى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص في الدستور الألماني على اباحة تعدد الزوجات[٤] .

ويقول أحد الأساتذة الأوروبيين :

« اذا نحن حاكمنا الموضوع محاكمة منطقية بعيدة عن العاطفة وجدنا للتعدد حسناته ، وسيئاته ، وحسناته ليست من حيث التعدد ذاته ، فما من شك أن وحدة الزوجة أولى وأقرب الى الفطرة ، وأدعى

---

(٢) انظر : حقائق الاسلام واباطيل خصومه للعقاد ص ١٧ .
(٣) انظر الاسلام والنصرانية في أواسط أفريقيا النورجية ص ٩٢ .
(٤) انظر المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي ص ٧٥ .

الى تماسك الاسرة ، وتحاب أفرادها ، ومن أجل ذلك كان هو النظام الطبيعى الذى لا يفكر الانسان المتزوج العاقل فى العدول عنه الا عند الضرورات ، وهى التى تسبغ عليه وصف الحسن ، وتضفى عليه الحسنات •

ثم يقول : وضرورات التعدد تنقسم الى قسمين :

الاول : ضرورات اجتماعية •

والثانى : ضرورات شخصية •

فالضرورات الاجتماعية التى تلجىء الى التعدد كثيرة ، نذكر منها حالتين لا ينكر أحد وقوعهما :

الحالة الاولى :

عند زيادة عدد النساء على عد الرجال فى الاحوال العادية ، كما هو الشأن فى كثير من البلدان كشمال أوربا ، فان النساء فيها فى غير أوقات الحروب ، وما بعدها يفقن الرجال بكثير •

ففى هذه الحالة يكون التعدد أمرا واجبا ، أخلاقيا واجتماعيا ، وهو أفضل بكثير من تسكع النساء الزائدات عن الرجال فى الطرقات ، ولا عائل لهن ، ولا يوجد انسان يحترم استقرار النظام الاجتماعى يفضل انتشار الدعارة على تعدد الزوجات الا أن يكون مغلوبا على هواه :

كأن يكون رجلا أنانيا يريد أن يشبع غريزته الجنسية دون أن يحمل نفسه أى التزامات أدبية ، أو مادية نحو من يتصل بهن ، ومثل هؤلاء خراب ، ودمار على المجتمع ، وأعداء للمرأة نفسها •

ثم يقول : ومنـــذ أوائل هـــذا القـــرن تنبه عقلاء الغربيين الى مـــا ينشـــأ من منع تعـــدد الزوجـــات من تشرد النســـاء ، وانتشـــــار الفاحشـــة ، وكثرة الأولاد غير الشرعيين ، وأعلنوا أنه لا علاج لذلك الا السماح بتعدد الزوجات .

الحـــالة الثـــانية :

عند قلة الرجال عن النســـاء نتيجة الحـــروب الطاحنة ، أو الكوارث العـــامة .

وقد دخلت « أوربا » حـــربين عـــالميتين فنى فيهـــا ملايين الشبان ، وأصبح الجماهير من النساء بدون عائل ، وليس أمامهن الا التعرف على الرجال .

فقام نتيجـــة لذلك فى « ألمـــانيا » جمعيـــات نســـائية تطالب بالسماح بتعدد الزوجـــات » أ هـ(٥) .

أيهـــا المســـلمون :

بعد أن حدثتكم عن ضرورات تعدد الزوجات الاجتماعية ، أحدثكم عن ضرورات التعدد الشخصية فأقول :

هناك حالات كثيرة قد تلجىء الانسان الى التعدد أذكر منهـــا عـــلى ســـبيل المثال ما يلى :

أولا :

أن تكون الزوجـــة عقيمـــا ، والرجل يحب الذرية ، ومثل هـــذا الرجل ليس أمامه الا أحد أمرين :

---

(٥) انظر : مجلة المنار المجلد الرابع عشر ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

اما أن يطلق زوجه العقيم •

واما أن يتزوج بأخرى عليها •

ولا شـــك فى أن الزواج عليها أكرم بأخـــلاق الرجال ومروءاتهم من تطليقها •

وعدم الطلاق يعتبر فى مصلحة المرأة العاقر ، لانه خير لها أن تبقى مع زوجها ومعها امرأة أخرى تشاركها حياتها الزوجية من أن تفقد بيت الزوجية ثم لا أمل هناك بعد ذلك فيمن يرغب فى الزواج منها بعد أن يعلم الرجال أن طلاقها كان بسبب عقمهـــا •

فهى حينئذ مخيرة بين التشرد ، أو العودة الى بيت أسرتها ، وبين البقاء فى بيت زوجها ، ولها كل الحقوق الزوجية مثل ما لزوجته الثانية من حقوق ، ونفقـــات •

مما لا شك فيه أن المرأة العاقلة تفضل التعدد عن التشرد •

ثانيـــا :

أن تصاب الزوجـــة بمرض مزمن ، أو معـــد ، أو منفر — والعيـــاذ لله — بحيث لا يستطيع الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج •

فالزوج هنا بين حـــالتين :

اما أن يطلقها ، وليس فى ذلك شىء من الوفاء ، ولا من المروءة ، ولا من كرم الاخلاق ، لان فيه الضياع ، والمهانة للمرأة المريضة •

واما أن يتزوج عليها امرأة ثانية ، ويبقيها فى عصمته ، ولها أن ينفق عليها ويأتيها بكل ما تحتاج اليه •

مما لا رب فيه أن بقاءها مع التزوج عليها أكرم ، وأنبل ، وأضمن لسعادة الزوجة المريضة •

ثالثا :

أن يكون الزوج بحكم عمله كثير الاسفار ، وتكون اقامته فى غير بلدته تستغرق فى بعض الاحيان شهورا ، وهو لا يستطيع أن ينقل معه زوجته وأولاده كلما سافر ، كما لا يستطيع أن يعيش وحيدا فى سفره تلك الايام الطويلة ، وهنا يجد نفسه كرجل بين حالتين :

اما أن يفتش عن امرأة يأنس بها عن طريق غير مشروع •

واما أن يتزوج أخرى ويقيم معها اقامة مشروعة •

مما لا شك فيه أن الزواج خير وأفضل عند الله تعالى من عدم الزواج •

رابعا :

قد يكون الرجل عنده من القوة الجنسية ما لا يكتفى معها بزوجة واحدة ، وذلك لكثرة الايام التى لا تصلح فيها زوجته للمعاشرة الجنسية ، وهى أيام الحيض ، والنفاس •

فهل يقال للرجل : اصبر على هذه الحالة ، وهو لا طاقة له على الصبر •

أو نغمض أعيننا عن الواقع ، ونبيح له الاتصال الجنسى الحرام ؟

أو نقول له : تزوج زواجا شرعيا •

مما لا شك فيه أن الزواج الشرعى خير ، وأفضل من غيره بكثير •

أيها المسـلمون بعد أن حـدثتكم عن ضرورة تعـدد الزوجات الاجتماعية ، والشخصية ، أنتقل للحديث عن تشريع التعدد فى « القرآن الكريم » وفقا « لمنهج الاسلام » فأقول : جاء فى سورة النساء قول الله تعـالى :

« وان خفتم ألا تقسـطوا فى اليتامى فانحكـوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »(٦) •

وقال تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النسـاء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيمـا »(٧) •

هاتان الآيتان تفيدان بمجموعهما الاحكام الآتية :

أولا :

اباحة تعدد الزوجات حتى الأربع ، فلفظ « فانكحوا » وان كان لفظ أمر الا أنه هنا للاباحة لا للوجوب ، وعلى ذلك جمهور العلماء •

ولا عبرة بمن خالف ذلك وقال ان الآية تفيد اباحة التعدد بأكثر من أربع •

ثانيـا:

التعـدد مشروط بالعدل بين الزوجات ، فمن لم يتأكد من قدرته على العدل فلا ينبغى له أن يتـزوج بأكثر من واحدة ، ولو تزوج بأكثـر

---

(٦) سـورة النسـاء ٣ •
(٧) سـورة النسـاء ١٢٩ •

من واحدة كان العقد صحيحا بالاجمـــاع ، وكان عليه الاثم بسبب عـــدم العـــدل بين الزوجـــات •

فعن « معاوية بن حيدرة » رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟

قال : « أنتطعمهـــا اذا طعمت ، وتكســـوها اذا اكتســـيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر الا فى البيت » أ هـ[٨] • •

وقد أجمع العلماء على أن المراد بالعدل بين الزوجات هو العدل المــادى فى المسكن ، واللباس ، والطعام ، والمبيت ، وكل ما يتعلق بمعاملة الزوجات مما يمكن فيه العـــدل •

ثالثـــا :

أفادت الآية الثانية وهى قوله تعـــالى :

« ولن تستطيعوا أن تعـــدلوا بين النســـاء ولو حرصتم » ان العدل فى الحب بين الزوجات غير مستطاع ، وأن على الزوج أن لا يميـــل كل الميل الى احـــدى الزوجات ، ويذر الاخرى كالمعلقـــة التى لا هى متزوجة ، ولا مطلقة ، بل عليه أن يعاملها باللطف والحسنى ما استطاع الى ذلك ســـبيلا •

وقد حـــاول بعض من لا علم لهم بالشرع ، ولا بفهم كتاب الله تعالى ، وســـنة نبيه عليه الصـــلاة والســـلام أن يزعم أن « القرآن الكريم » يمنع تعدد الزوجات ، ويستدل على ذلك بالآيتين السابقتين ويقول : الآية الاولى تبيح تعدد الزوجات بشرط العدل بينهن •

---

(٨) رواه أبو داود ، وقال : حديث حسن •

والآية الثانية تقطع باستحالة العدل بينهن ، فكأن التعدد مشروط بما يستحيل امكانه اذا فهو ممنوع ..

وأقول لهؤلاء : ان قليلا من النظر والتفكر فى معنى الآيتين يرد هـذا الزعم لأمور كثيرة ، أذكر منها ما يلى :

أولا :

العدل المشروط فى الآية الاولى غير العدل المقطوع باستحالته فى الآية الثـانية :

فالعـدل فى الآية الاولى هو الذى يمكن للزوج أن يفعله ، وهو العدل المـادى مثل : المسكن ، والمبيت ، والطعام ، الى غير ذلك .

والعدل فى الآية الثانية هو العـدل المعنوى مثل : الحب والمنزلة القـلبية .

وعلى هـذا فلا علاقة بين العـدلين فى الآيتين الا من حيث انه عدل بين الزوجات .

ويكون تعـليق العـدد بالعدل المـادى بين الزوجات لا يزال مشروطا وقائما ، فمن لم يعدل بين زوجاته يكون آثما .

وأما عدم العدل فى الامور القلبية التى ليس للانسان ارادة فيها كالحب مثلا ، فلا يعاقب عليه الانسان .

ثانيـا :

لو كان الامر كمـا زعم هؤلاء لمـا كان لقـول الله تعـالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » معنى ، ولكان الاولى أن يمنع التعدد رأسا وبلفظ واحد ، لا أن يبيح الله التعدد ،

ثم يعلقه بشرط مستحيل ، فهذا نوع من العبث ، يصان عنه أى انسان عاقل ، ناهيك بالله تعالى الذى لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء العزيز الحكيم .

ثالثا :

من المعلوم لدى الجميع أن النبى ﷺ كان لا يفعل محرما ، ولا يأمر به ، ولا يقر أحدا عليه ، وقد ثبت تاريخيا أن العرب الذين دخلوا فى الاسلام تحت الكثيرين منهم أكثر من أربع زوجات ، فأمرهم النبى ﷺ أن يختار كل واحد أربعا من زوجاته ، ويفارق ما زاد على ذلك .

ولو كان التعدد ممنوعا لأمرهم النبى ﷺ باختيار واحدة فقط من سائر نسائه .

ومن الثابت أيضا أن الكثيرين من صحابة رسول الله ﷺ قد عددوا الزوجات فى حياته ﷺ وعلى مسمع منه وعلم ، ولم يثبت انه عليه الصلاة والسلام أنكر عليهم ذلك .

ولا أعتقد أن عاقلا يزعم أن رسول الله ﷺ وصحابته ، والتابعين ، وجمهور المسلمين ، خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة لم يفهموا المقصود من الآيتين حق الفهم .

لقد جاء الاسلام ونظام تعدد الزوجات شائع شائع فى كل شرائع العالم ، وشعوبه تقريبا ، ولكنه لم يكن له حد ولا نظام .

فكان أول اصلاح صنعه « منهج الاسلام » أن قصر التعدد على أربع زوجات فقط .

وكان من اصلاح « منهج الاسلام » فى هـذا الامر أيضـا أن ربى ضمير الزوج المسلم على خوف الله تعالى ، ومراقبته ، وخشيته ، وبذلك يكون الرجل مع زوجاته مؤمنا ، مراقبا لنفسه فيما يكون قد قصر فيه نحو احـدى زوجاته • •

ومثل هـذه التربية تجعل التعدد قليل المسـاوىء ، ولذا نشـأ البيت الاسلامى فى صـدر الاسلام تعمره الفضيلة ، ويملؤه الحب ، ويشـيع بين جنباته الوفاء ، والاخلاص •

ـ والله أعلم ـ

« حكمة التشريع الاسلامى فى اباحة الطلاق »

أيها المسلمون ، يسعدنى أن أحدثكم عن قضية من أهم القضـــايا التى لها صلة وثيقة بالاسرة المســلمة ، ألا وهى قضــية « الطلاق » مع بيان حكمة التشريع الاسلامى فى اباحته فأقول وبالله التوفيق :

لقد حرص الاسلام على صيانة الاسرة ، وحفظ كيانها ، والاهتمام بروابط الزوجية ، فبين الله ســبحانه وتعالى أن الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة ، يشير الى ذلك قول الله تعالى : « يا أيها النـــاس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونســاء »(١) .

وقوله تعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »(٢) .

كما بين ســبحانه وتعالى أن من آياته لذوى البصــائر أن خلق الزوجة لتكون سكنا للرجل ، وجعل بينهما مودة فقال تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفســكم أزواجا لتســكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٣) .

كل ذلك لتوطيد روابط المحبة والمودة بين الرجل والمرأة ، وادامة العلاقة الطيبة بينهما .

---

(١) ســورة النســاء ١ .
(٢) ســورة الاعــراف ١٨٩ .
(٣) ســورة الروم ٢١ .

وذلك لان الاسرة لبنـــة من لبنـــات الامة ، والاسرة هى الامة الصغيرة للمجتمع الذى يتكون من مجموعة أسر ، يرتبط بعضها بعض •

ومن الطبيعى أن البناء المكون من لبنات يأخذ ما لهـــذه اللبنات من قوة وضـــعف ، وكلما كانت اللبنات قوية ذات تماســك ومناعة ، كانت الامة المكونة منها كذلك قوية ذات تماسك ومناعة •

وكلما كانت اللبنـــات ذات ضعف وانحلال ، كانت الامـــة كذلك ذات ضعف وانحلال •

ومن هنا كانت تقوية الاسرة من أهم الامور •

اذا فـــلابد أن يكون هنـــاك نظـــام قائم على الحب ، والتراحـــم ، والتعاون بين أفراد الاسرة الواحدة ، حتى تظل متماسكة فيما بينها ، ومن هنا يأخذ الزواج نفس العنـــاية التى تأخذها الاسرة ان لم يكن أقـــوى وأشـــد •

ونظرا لمـــا للزواج من هـــذه العناية السامية ، والمكانة الرفيعة فى حياة الفرد والاسرة والامة ، فقد اهتم « منهج الاسلام » به ونوه بشـــأنه ورفعـــه عن أن يكون مجرد عقـــد تتم التزامـــاته بالايجـــاب ، والقبول وشهادة الشـــهود ، فجعله ميثاقا غليظا ، وعهدا قويا ، يتعـــذر حـــله ، فالزواج يربط القـــلوب ، ويحفظ المصـــالح ، ويندمج به كل من الطرفين فى صاحبه ، فيتحد شـــعورهما ، وتلتقى رغباتهمـــا ، ويكون شخصـــه دائما ماثلا بين أعينهما ، يشير الى هـــذه المعانى قول الله تعالىٰ : « وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقـــد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا »[٤] •

---

(٤) سـورة النسـاء ٢٠ ـ ٢١ •

ومن نظر بتفكر وتدبر قول الله تعالى فى شأن العلاقة الزوجية : « هى لباس لكم وأنتم لباس لهن »(٥) .

أدرك أن العلاقة الزوجية أسمى فى معنى الترابط والاندماج من سـائر العلاقات .

بل نجـد القرآن يشـير الى العلاقة الزوجيـة المتينة المبنيـة على السكون النفسى ، والمودة والرحمة ، كما قال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٦) .

وقد جاء « منهج الاسـلام » يحث كلا من الزوجين عـلى أن يحسن الى الآخر :

فعن « أبى هريرة » رضى الله عنه قال :

قال رسـول الله ﷺ : « استوصـوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضـلع ، وان أعوج ما فى الضـلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء » أ هـ(٧) .

وعن « أم سـلمة » رضى الله عنها قالت :

قال رسـول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنهـا راضى دخلت الجنـة »(٨) ..

---

(٥) سـورة البقـرة ١٨٧ .
(٦) سـورة الروم ٢١ .
(٧) متفق عليـه .
(٨) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

واحســـان العشرة من الزوج ليس قاصرا على كفاية الزوجة من الطعام والشراب ، وغير ذلك •

كما أنه من الزوجة ليس قاصرا على تهيئة الطعام الخ •

وانما هو معنى ينبعث من قلب أحـــدهما نحو الآخر ، مــدفوعا بروح المحبة ، والمودة ، والشعور بالمهمة المشتركة بينهما ، والملقاة على عاتقهما فى تذليل ســبل الحياة ، وتربية الأبناء ، بمـــا يضـــفى على الجميع متعة الحياة الدنيا •

وان « منهج الاســـلام » لم يقف من أجل حفظ الحياة الزوجية ، واسعادها ، عند حـــد الامر بالاحسان ، بل قدر أن النفوس البشرية عرضة للتقلب ، وان لنزعات القلوب أثرا سيئا فى تغيير عواطف الحب والمودة والرحمة ، وتقطيع كل ما يكون من صلات بين الزوجين •

فاذا ما حدث مثل هـــذا وفتر الحب ، أو تغير القلب ، فاننا نجد الله تعالى مع كل هـــذا يأمر بحسن المعـــاشرة فيقول : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثـــيرا »[٩] •

كما أرشد الله تعالى المرأة الى أن تعالج ما بينها وبين زوجها من شـــقاق فقال :

« وان امرأة خافت من بعلها نشـــوزا أو اعراضا فلا جناح عليهمـــا أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خـــير »[١٠] •

---

(٩) ســـورة النســـاء ١٩ •
(١٠) ســـورة النســـاء ٣٨ •

وإذا لم يستطع الزوجان معالجة ما بينهما من شقاق ، كان على أسرتيهما ، أو على ولى الامر ، أو على جماعة المسلمين أن يساعدوهما فى انهاء ذلك الخلاف ، وفى هـذا المعنى يقول الله تعالى :

« وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا »[11] .

فى هـذه الآية الكريمة بين سبحانه وتعالى أن أول ما ينبغى على الحكمين عمله هو التحرى فى معرفة أسباب هـذه الخلافات ، والدواعى التى أدت بالزوجة الى أن تسىء معاملة زوجها ، وكذلك معرفة ما لدى الزوج من أسباب دفعته الى سوء معاملة زوجته ، فان أمكن الوصول الى ازالة الخلاف بحيث تعود الحياة الزوجية الى وضعها الطبيعى ، فهـذا هو المرجو ، والمقصود ، وان لم تثمر مساعيهما وأصر كل من الزوجين على الطلاق ، فهـذا أمر له أحكامه ، وتوابعه .

فمن رحمة اللـه تعالى بعباده أنه لم يجعـل الطلاق مرة واحـدة ، واذا تتبعنا آيات الطلاق فى القرآن نجدها كما يلى :

أولا :

اذا هجر الرجل فراش زوجته غاضبا ، أمهل مدة حتى يرجع الى ما كان عليه حالة الصلح والا طولب بايقاع الطلاق .

ومدة الامهال أربعة أشهر ، وهى التى تستطيع المرأة فى الغالب أن تحتملها بعيدا عن الرجل ، وفى هـذا يقول الله تعالى :

---

(١١) سـورة النسـاء ٣٥ .

« للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشـــهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم »[١٢] .

ثانيـــا :

اذا أنفذ الرجل عزمه ، وطلق زوجته ، تربصت المرأة ثلاثة قروء ، أى قريبا من ثلاثة أشهر ، ويجوز للرجل خلال هـــذه الفترة أن يراجع زوجتـــه .

وهـــذه الفترة انما جعـــلت للتروى ، ومراجعة النفس عسى أن يزول ما بنفســـيهما من شقاق ، وتعـــود الحيـــاة الزوجية الى حالتها الطبيعية ، وفى ذلك يقول اللـــه تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفســـهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلف الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليـــوم الآخـــر وبعـــــولتهن أحق بردهن فى ذلك أن أرادوا اصــــــلاحا »[١٣] .

وبالتأمل فى الآيات الكريمة الســـابقة نراها تفضل الابقاء على الحياة الزوجية قبل انهائها ، يشـــير الى ذلك قول الله تعالى : « واذا طلقتم النســـاء فبلغن أجـــلهن فأمســـكوهن بمعـــروف أو سرحوهن بمعروف »[١٤] .

واذا انقضت عـــدة المرأة من طلاقها الاول ، أو الثانى ، ثم بدا للزوجين أن يعود الى حياتهما الزوجية مرة ثانية فليس لولى الامر منع

---

(١٢) ســـورة البقـــرة ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
(١٣) ســـورة البقـــرة ٢٢٨ .
(١٤) ســـورة البقـــرة ٢٣١ .

المرأة من التزوج مرة ثانية بزوجها الاول حرصا على اعادة الصلة بينهما ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

« واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف »(١٥) .

من هذا يتبين أن الاسلام حدد للطلاق منهجا خاصا لا يجوز تعديه ، وأمر باحصاء العدة ، ونهى عن اخراج المرأة من بيتها الذى كانت فيه الا لضرورة ظاهرة من جانبها .

وهذا هو المنهج كان حريصا على انقاذ الاسرة من التفكك والانهيار ، حتى اذا نفذت جميع وسائل الاصلاح التى تعمل على بقاء أواصر الزوجية ، كان من المصلحة أن يتفرقا حتى يجد كل من الزوجين ما يسعد به حياته ، وهو عين الحكمة والصواب ، كما قال تعالى : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته »(١٦) .

فهذا النموذج الذى وضعه « منهج الاسلام » للاصلاح بين الزوجين انما هو من وضع العليم الخبير ، الذى يعلم ما يصلح النفوس ، ويحقق لها السعادة ، « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟(١٧) .

— والله أعلم —

تم ولله الحمد بالمدينة المنورة
يوم الجمعة ٧ رجب سنة ١٤٠٢هـ
الموافق ٣٠ أبرايل سنة ١٩٨٢م .

---

(١٥) سورة البقرة ٢٣٢ .
(١٦) سورة النساء ١٣٠ .
(١٧) سورة الملك ١٤ .

فهـــرس فى رحـــاب الاســـلام

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

ــ تم ولـلـــه الحمــد ــ

« كتب للمؤلف »

١ ــ المستنير فى تخريج القراءات ثلاثة أجزاء
٢ ــ المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها جزءان
٣ ــ التذكرة فى القراءات الثلاث وتوجيهها جزءان
٤ ــ الارشادات الجلية فى القراءات السبع
٥ ــ المجتبى فى تخريج قراءة أبى عمر الدورى
٦ ــ الرســالة البهيــة
٧ ــ التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية
٨ ــ مرشد المريد الى علم التجويد
٩ ــ الرائد فى تجويد القرآن
١٠ ــ ارشاد الطالبين الى ضبط الكتاب المبين
١١ ــ التعليق على كتاب النشر فى القراءات العشر
١٢ ــ التعليق على اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الاربع عشر
١٣ ــ المختار شرح الشاطبية
١٤ ــ نظام الاسرة فى الاسلام
١٥ ــ الهادى الى تفسير كلمات القرآن
١٦ ــ اعجــاز القــرآن
١٧ ــ العبادات فى ضوء الكتاب والسنة
١٨ ــ أركان الاسلام

تابع كتب للمؤلف

١٩ ــ الصـــــلاة

٢٠ ــ الصـــــوم

٢١ ــ الحـــــج

٢٢ ــ المحرمات فى ضوء الكتاب والسنة

٢٣ ــ الفضائل فى ضوء الكتاب والسنة

٢٤ ــ الادعية المستجابة فى ضوء الكتاب والسنة

٢٥ ــ فى رحاب القــرآن — جزءان

٢٦ ــ فى رحاب الاســلام

٢٧ ــ أبو عبيد القاسم بن سلام حياته وآثاره اللغوية

٢٨ ــ أبو بكر ابن الانبارى حياته وآثاره

٢٩ ــ الوقف والوصل فى اللغة العربية

٣٠ ــ تاريخ القــرآن

٣١ ــ الاشباه والنظائر فى توجيه القراءات

٣٢ ــ المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية

ــ تم ولـلـه الحمد ــ

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية	٨٤/٣٩٣٧

الفنيـة للطبـاعة والنشر
٤٨ ش جـــوده ـ راس التين
ت : ٨٠٣٢٥٠ الاسكندرية